



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

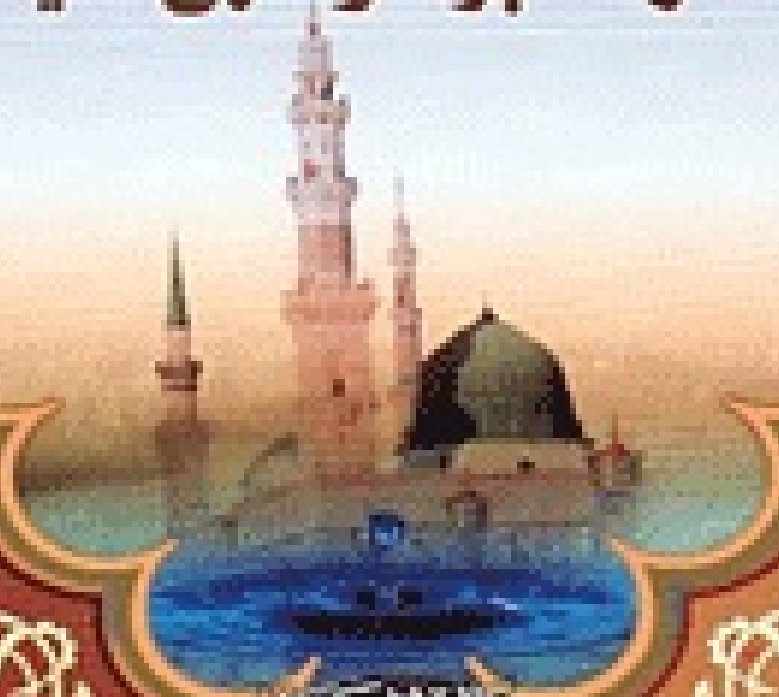
.org

.net

.ir

الإمام الضادق (ع)

عطر النبوة ومنهج حياة



الإمام الضادق (ع)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الامام الصادق (عليه السلام) عطر النبوه و منهج حياه

كاتب:

حسين ابراهيم الحاج حسن

نشرت فى الطباعة:

مجهول (بي جا ، بي نا)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٢	الامام الصادق عليه السلام عطر النبوه و منهج حياه
١٢	اشاره
١٢	تقديم
١٤	كلمه شكر و تقدير
١٦	توطئه
١٦	اشاره
١٨	السيره الكريمه
١٨	المنبت الحسن
٢٢	النص عليه بالخلافه
٢٢	تلامذه الامام الصادق ورواه حديثه
٢٩	ما قاله الأعلام فى فضائل الامام الصادق
٢٩	اشاره
٣٤	مناقب راقيه و فضائل ساميه
٣٤	اشاره
٣٥	العلم
٣٧	الحلم
٣٧	الصبر
٣٨	العباده
٣٨	الصدقات
٣٨	الكرم و السخاء
٣٨	مكارم الأخلاق
٣٩	وصاياه
٣٩	اشاره

٣٩	وصايا الأفراد
٣٩	وصيه لولد الكاظم
٤٠	و من وصيه له لسفيان الثوري
٤١	من وصيه أوصى بها لعبدالله بن جندب
٤٣	من وصيه له لجميل بن دراج
٤٤	من وصيه له الى المنصور العباسي
٤٤	منتخب من وصيته لأبي جعفر محمد بن النعمان الأحول
٤٥	من وصيه له لعنوان البصري
٤٧	وصايا الجماعات
٤٧	و من وصيه له الى أصحابه
٤٧	و من وصيه له الى بعض أصحابه
٤٧	و من وصيه له الى بعض أصحابه كتبها اليه جوابا لكتابه
٤٧	و من وصيه له قبيل فراقه الحياه
٤٧	رسالته الى جماعه شيعته و أصحابه
٤٩	دعوه الامام الاصلاحيه
٤٩	العقيده و السياسه
٤٩	اشاره
٥٢	الانسان هو محور التغيير
٥٢	اشاره
٦٠	اقتران العلم بالأخلاق
٦٢	بين دعوه الامام الاصلاحيه و دوله المنصور العباسيه
٦٢	اشاره
٦٧	خديعه يحيى بن محمد العباسي شقيق السفاح
٧٢	اخباره مع المنصور
٧٣	دعاء لدفع الظالم
٧٤	الحركه الاصلاحيه الكبرى عند الامام الصادق

٧٤ اشاره
٧٦ صيانه الخط الاسلامى أمر واجب و قيمه أساسيه
٧٨ رفض عرض تاريخى عرضه عليه مؤسس الدوله العباسيه
٧٨ اساليب الأئمه فى تدعيم العمليه الاصلاحيه
٧٩ مراعاة ظروف الأمه
٨٠ التقيه
٨٠ اشاره
٨١ خطط الامام الصادق فى التغيير
٨١ اشاره
٨١ خطه عمل يدعو شيعته للتمسك بضامينها
٨٢ خطه ثانيه لتابعيه
٨٤ مصلحه الامه الاسلاميه و رعايه شؤونها
٨٦ التدريج فى عمليه التغيير
٨٧ التدرج فى التخطيط
٨٨ التدرج فى التطبيق
٨٩ العموميه و الخصوصيه فى عمل الامام
٩٠ مفردات حركه الامام الخاصه
٩٠ اشاره
٩٢ رد الشبهات فى صفحات ناصعات
٩٢ اشاره
٩٢ الرد على الزنادقه
٩٩ حواره مع النعمان بن ثابت (أبى حنيفه)
١٠٣ مناظراته مع المعتزله
١٠٦ الامام الصادق موسوعه علميه و علوم انسانيه
١٠٦ اشاره
١١٣ امام العلماء و ملهم الكيمياء

- ١١٤ نسبه هذه العلوم الى الامام الصادق
- ١١٦ مؤلفات الامام الصادق
- ١٢٥ السموم و دفع مضارها
- ١٢٥ اشاره
- ١٢٧ الامام الصادق فى محراب العلوم الطبيعى (الكونيه)
- ١٢٧ فى رحاب الطب
- ١٣٠ حاسه العين
- ١٣٠ اشاره
- ١٣٤ اعضاء جسد الانسان
- ١٣٤ اشاره
- ١٣٧ الحلق
- ١٣٧ الأذن
- ١٣٨ القلب
- ١٣٩ منافع الأغذيه
- ١٤٢ و مما قاله فى خلق الانسان و تركيبه
- ١٤٥ دور الامام فى الحياه الاجتماعيه
- ١٤٥ الامام الصادق... و تطور المجتمع
- ١٤٥ اشاره
- ١٤٦ الصادق... و الأخلاق
- ١٤٨ الصادق و العدالة
- ١٥٠ عالميه الاسلام
- ١٥١ دور العلماء فى الحياه الاجتماعيه
- ١٥٤ الامام الصادق و سياسه الأمر الواقع
- ١٥٧ دور مدرسه أهل البيت
- ١٦١ الدوله العباسيه و شعار: الولاء لأهل البيت
- ١٦٩ نشاط الامام الصادق العلمى و التبليغى

١٧٠	مدلول التقيه العملى
١٧٢	الامام الصادق دقق حضارى و انسانى دائم
١٧٩	السياسه التربويه العقائديه
١٧٩	اشاره
١٨١	الخط التربوى العام
١٨١	اشاره
١٨١	العمل على تنميه حركه علميه واسعه
١٨٢	حمله واسعه ضد المنحرفين و الملحدين
١٨٣	تبيين الموقف الصائب من مسأله أصحاب الرأى
١٨٤	توضيح الموقف السليم من الحاكمين و أصحاب الأغراض و الأهواء
١٨٥	الحفاظ على الأخلاق العامه
١٨٦	الخط التربوى الخاص
١٨٦	اشاره
١٨٦	التمسك بخط أهل البيت فكرا و قلبا
١٨٦	التحلى بالورع
١٨٧	الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر
١٨٧	اداء الأمانات الى أصحابها
١٨٧	الدعوه الى العمل الصالح و الالتزام بالمنهج الأصيل
١٨٧	التربيه على الصمود و الثبات و الالتزام
١٨٨	الانضباط و التقيه
١٨٨	التحذير من التعاون من السلطه
١٨٨	تطهير الاعتقاد من الغلو و الرجاء الكاذب
١٨٨	انسانيه المذهب الجعفرى
١٨٨	اشاره
١٩٦	منهجيّه الصادق الفقيهيه
١٩٦	اشاره

- ١٩٤ السنه النبويه
- ١٩٤ مسيره الأئمه
- ١٩٤ علم المعصوم
- ١٩٧ الاتجاه الانساني فى التشريع الصادقى
- ١٩٧ فى البناء الاجتماعى
- ٢٠٠ التشريع الصادقى للحريه
- ٢٠٣ الاتجاه الانساني للعلم الصادقى
- ٢٠٧ صمود المذهب الجعفرى أمام الحكام
- ٢٠٨ التشيع و المذاهب الأخرى
- ٢٠٩ انتشار المذهب الجعفرى
- ٢١٠ معارضه المنصور و الرشيد للمذهب الجعفرى
- ٢١٨ مدرسه العصمه:تعريف العصمه
- ٢١٩ الأدله على عصمه أهل البيت
- ٢٢٢ الثوره الصامته
- ٢٢٤ مواقف اماميه فاعله
- ٢٢٧ الأدب المطبوع عند الامام الصادق
- ٢٢٧ اشاره
- ٢٣٤ ادب المناظرات
- ٢٣٤ اشاره
- ٢٣٤ عمق الفكر و دقه الملاحظه و غزاره المعانى
- ٢٣٧ تنوع المعرفه وسعه الاطلاع على الثقافات المختلفه
- ٢٣٧ ادب توجيهى لتقويه روح الجماعه
- ٢٣٨ البلاغه و جمال السبك
- ٢٤٢ درر مضيئه من حكمه الخالده على صدر الزمان
- ٢٤٢ اشاره
- ٢٤٤ الحكم الدينيه

٢٥٢	الحكم الاجتماعي
٢٥٨	الحكم الأخلاقي
٢٧٠	الحكم السياسي
٢٧٨	الحكم النفسي
٢٨٣	الحكم الاقتصادي
٢٩١	الحكم العلمي
٢٩٥	الحكم الفلسفي
٣٠٥	في رحاب الفلسفة
٣٠٥	اشاره
٣٠٥	فلسفه الخلق
٣٠٨	فلسفه التوحيد
٣٠٩	فلسفه التنزيه
٣١٠	قيمه الحكم الصادقيه
٣١٢	افضل الجهاد
٣١٢	اشاره
٣١٦	موقف الامام من الظالمين
٣١٦	اشاره
٣١٩	حثه على مساعده المحتاجين
٣٢١	حثه على العمل و الرزق الحلال
٣٢٢	حثه على صلہ الرحم
٣٢٣	الخاتمه
٣٢٤	پاورقى
٣٤٩	تعريف مركز

المؤلف: حسين ابراهيم الحاج حسن

النشر: حسين ابراهيم الحاج حسن

الطبعه: الثانى

طبع فى سنه: ١٤٢٨ ق / ٢٠٠٧ م

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يظهركم تطهيرا) صدق الله العلى العظيم. [الأحزاب الآيه: ٣٣]. العظماء من العلماء قليلون فى كل حقبة من حقبات التاريخ، و أقل منهم الذين يتحملون عبء الرسالات الانسانيه، شرحا، وفهما، و جهادا، و كفاحا من أجل ابقاء كلمه الله العليا، و أقل و أقل الذين يخلدون بفضل معطياتهم الجليله، و أعمالهم النبيله و علومهم الخيره الكريمه عبر التاريخ هؤلاء هم صفوه الصفوه، و من هؤلاء العظماء و العباقره العلماء كان الامام جعفر الصادق عليه سلام الله. و أبو عبد الله غنى عن التعريف فهو ريحانه قريش و عميد آل البيت تهفو اليه القلوب و تشرئب نحوه الأعناق من كل حدب و صوب و كل يريد ان يعترف من بحر علمه ما يحتاج اليه. و هل يمكننى الاحاطه بالامام جعفر الصادق عليهم السلام و علومه و آثاره و حكمه و موافقه، و هل يمكن افراغ البحر بصدفه؟. كان الامام الصادق اماما للمسلمين كافه، من كل بقاع الأرض، تشد اليه الرحال من أقاصى البلاد طلبا للعلم و المعرفه، و شرحا لقضايا دينيه و علميه و اجتماعيه؛ كان يستنبط الأحكام الشرعيه من القرآن الكريم، و سنه جده رسول رب العالمين، تلبيه لما كانت تطرحه الحياه الاجتماعيه بوقائعها و مشاكلها، و لم يكن يرقى الى وضع قواعد مذهب معين لفئه معينه، و انما غايته تقديم العلم و المعرفه [صفحه ٦] للطالب مما أخذه عن آباءه الأوصياء الكرام، و عن جده الرسول الأعظم رسول الهدى و الرحمه. و الدليل على

ذلك تلامذته، أصحاب المذاهب الأفضاب أمثال أبي حنيفة و مالك بن أنس و سفیان بن عیینة، و سفیان الثوری و هشام بن الحكم و غیرهم من رؤساء المذاهب الاسلامیه المختلفه و جهابذه العلم. و بعبارة صریحه كان ینشر مذهب رسول الله صلی الله علیه و آله وسلم، بصیغ متطوره لحاضر سعید و مستقبل اجتماعی متقدم. ان الأقوال و النعوت التي تبرز دور الامام الصادق علیهم السلام و تظهر علو مقامه و سمو فضله قد صدرت عن كبار علماء الاسلام من شتى الفرق و المذاهب، و ما زالت آثارها باقیه حتى الآن، و الحوزات العلمیه الیوم هی امتداد لتلك الحوزه العلمیه العظیمه. و الامام الصادق هو صاحب مدرسه عظیمه جدا مدت جذورها عمق التاريخ و بقیة مبارکه طیبه أصلها راسخ فی الأرض و فروعها فی السماء تؤتی أكلها كل حین باذن ربها. و صاحب المدرسه هذه وحده موسوعه علمیه، تقف وراء طاقاته التكوینیة المتینة أسباب جلیله ساهمت جمیعها فی شحن المعارف الواسعه الی فكره المركز، و ارادته المعتصمه بالمران الأصل. لكن كل هذه الطاقات المبارکه، و ان تكن متنوعه المواهب، فهی موحده القصد و المخرج، و تصب كلها فی بوتقه واحده بوتقه بناء مجتمع صالح. لذلك یمكننا اعتبار الامام جعفر الصادق خطأ سیاسیا قائما بذاته، ولكنه ملون بولائه الامامی فی اداره شؤون الأمة الاسلامیه و صیانتها من الضیاع و الهدر. و هنا لا بد لنا من طرح سؤال یتناوله أكثر الناس، و هو تعاطی الامام علیه السلام سیاسه؟ و هل نجح فی ممارستها؟ و کیف وفق بینها و بین العقیده؟ هذا و اننی قد قسمت الكتاب الی سته فصول، تتضمن سیرته الکریمه، و دعوته الاصلاحیه، و دوره فی الحیاة الاجتماعیه،

كلمه شكر و تقدير

هذه المباره و البحوث التى تقدم للمشاركة فى مهرجان عظيم لكوكب عظيم، من كواكب الاسلام، أضاء الدنيا بنمير علمه، و عطر الحياه بأريج أخلاقه، و بعث فى ضمير الأمة الاسلاميه الجهاد الأمثل لمستقبل أفضل، تعد هذه المباره الفكرية و العلميه و الأدبيه من أفضل الأعمال الداله على مدى تعلق الأمة بعظماؤها العظام، و رجالاتها الكرام، و تاريخها الاسلامى العريق، و بصوره خاصه فى هذه الأيام الصعبه التى تحاك فيها المؤامرات، و تشن فيها الحملات من الغزو الثقافى و الفكرى من قبل أعداء الأمة المستكبرين، لقطع الأواصر التى تشدها التى تراثها الاسلامى و عقيدتها الاسلاميه. تعد هذه المباره لقاء أخويا تتآلف فيه قلوب أبناء الأمة على اختلاف مذاهبهم و تتعاقب فيه الأقلام الاسلاميه الملتزمه لتبديد سحب الطمس و التزييف التى مورست و ما زالت تمارس لاقصاء رساله الاسلام عن واقع الحياه. كما تعد أيضا مناسبة كريمه للحوار و تلاقح الأفكار و تبادل الآراء لاختيار خلاصه جهود المشاركين الفكرية لتعريف الأمة بالمزيد من عظماؤها، شامخه فى الأفق العلمى و الجهاد الفكرى. ذلك هو: الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام الذى كان كالأئمه السابقين حاميا لرساله الاسلام، مدافعا عن المستضعفين بمواقفه التاريخيه المشهوده، و تصديه لمناظره الفرق الضاله، و مجاهدا صابرا بما لاقى من مؤامرات أمويه و عباسيه، و عالما متألقا بما خلفه من تراث علمى ضخم غزير فى مختلف مجالات العلم و المعرفه. فتحية شكر و تقدير لكل من ساهم بهذه الدراسات و البحوث العلميه فى سبيل [صفحه ٨] الافاده و التنوير. و احياء القضايا الكبرى فى المجتمع الانسانى. و لا أرى أية قيمه لدراسه أو رساله ما

لم تكن في خدمه قضيه انسانيه في مجتمع انساني. و لا- يطيب قلم باحث أو كاتب ما لم يعالج قضيه كبرى يتبناها و يعيش أهدافها الشاهده على صحتها؛ لأن القضايا الجليله هي الشعاع الذى يستضىء به فكرنا، والدافع لأشواقنا و المحيى لوجداننا و عقيدتنا. ان جهودكم المشكوره التى وجهت الدعوه العامه لتقديم دراسه جديده عن الامام جعفر بن محمد الصادق، شبيهه هى بالدراسات الناجحه التى قدمت عن الأئمه المعصومين السابقين و كان لى الشرف بالمشاركه فيها و القضيه العظيمه التى غاصوا بها و حملوها على عاتقهم أمانه هى ذاتها عندهم جميعا عليهم السلام. و من أجل هذه القضيه العظيمه شهر الامام على عليه السلام سيفه ذا الفقار و قصف الامام الحسن عليه السلام حسامه، حقنا للدماء، وصونا لوحده المسلمين. و من أجل القضيه نفسها سار الامام الحسين عليه السلام من مكه الى كربلاء لا بسا عباة جده التى ما طاب له الا أن يصبغها بدماء وريده الشريف. هذه الدماء الزكيه التى قال عنها جده النبى الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم: «ان فى دماء الحسين حراره لا تبرد فى قلوب المؤمنين مدى الحياه». و من أجل القضيه جاهد الامام السجاد زين العابدين و استشهد مسموما على أيدي الحكام الأمويين المجرمين. و من أجلها أيضا ناضل الامام الباقر عليه السلام و استشهد بعد أن ساهم ببناء المدرسه الكبرى التى أتمها و نهض بها ولده الامام الصادق عليه السلام الذى نعيش مع علمه و فكره و ثقافته فى هذه الأيام المباركه و نستلهم من جهوده النضاليه و سيرته المثاليه و أخلاقه المحمديه و تعاليمه الاسلاميه الخالده على صدر الزمان مهما ساءت الظروف و الأحوال. لقد كانت القضيه واحده، ولكن التعبير عنها قد

جاء مع كل واحد من كواكب الاسلام المشرقه، بلون ميزه عن الآخر. فشكرا جزيلا لجهودكم التى حركت فى نفسى شوقا ساميا أتلّمظ به طمعا لذيذا من لقاح العنفوان و الكرامه تحيا به كل النفوس التى تأبى الذل و الهوان و ترغب فى صون الكرامه الانسانيه و رساله الاسلاميه على مدى الزمان. [صفحه ٩]

توطئه

اشاره

نداء القلم: أيها القلم الرفيق الأمين اسمع ندائى و لب دعوتى لقد وجهت اليك بالأمس دعوه تناديك الى ولوج مأدبه خاصه من المآدب الحسينيه الكريمه فليبت النداء مشكورا. ثم تتالى اليك النداء مشفوعا برايه خضراء عصرت منها زيتا لسراجك تكحلت به نورا الى دار الامام السجاد، دار الجهاد و الأمجاد. ثم جاءك بالأمس القريب نداء ثالث يشدك الى داره الامام الباقر فسهرت معه الليالى الطويله حتى شروق الصباح الأبيض فهرولت مسرعا مشتاقا تلبس رداء الصبر مجاهدا عزيزا. و اليوم يا قلمى الأمين تأتيك دعوه جديده أشعر أنها مثل الدعوات السابقات تهزنى هزا، فهل تهزك أنت و تلبى النداء؟. قال القلم: ان بى تعب شديدا لأننى أجاهد معك باستمرار، و أنت أعلم بحالى معك. فرحت أطبع على ثغره قبلا-تى الحاره التى تشرح بالنشوه و تفيض بالحنان الى أن استعاد نشاطه و وعيه و استوعب ما أنا أستحثة اليه. فيا صديقى الوفى ويا رفيقى الأبى أعرف جيدا كم أجور عليك و كم أحملك من الأثقال و ذلك لأنى أدرك أن فيك شوقا حارا يدفعك الى اقتحام حلبات المصارعه مع أقلام حره جريئه جاءتك من جميع البلدان العرييه. كما أدرك أيضا أنك صياد ماهر تعرف كيف تقتنص الكلمات فتلبسها زيا جميلا و لونا بهيجا و سحرا [صفحه ١٠] جليلا، فأنت فنان ماهر

يا قلمي الجيب، و أنت غواص قادر يا صديقي العزيز تغوص الى أعماق البحار لتأتى بالدرر الثمينه و اللآلىء الكريمه. و أنت مراقب ساهر تقتفى أثر الخطوات الكبيره لتأخذ من وقعها قوه ساحره تزنر بها خصر الكلمات. عندها اهتر القلم فى كفى و اعترته نشوه غريبه و انتفاضه نشطه و قال: لبيك، لبيك اننى قبلت الدعوه و أنا بين يديك رفيقا مطيعا و صديقا صدوقا، ألبى النداء فابرنى بسكينك ما شئت و اسقنى من ديمه هطول لا- ينقطع غيثها، فلا آخذ الكلمه الا منك و لا أبنها الا بخفقه معصمك وضوء عينيك و حراره قلبك. و راح القلم الحبيب يخاطب المحبره كأنه يستجديها لتمده بريقها ثم هفت الى لتأخذ - له - منى الجواب. صدقت يا رفيقى الحبيب و أنا مثلك مشتاق و مشتاق لأخوض معك غمار المعركه، معركه الحياه التى تعطينا المدد بعون الله و تبرى أقالمنا و تسقينا من حبرها، نلون بها الصفحات البيضاء الخرساء لنجعلها تنطق بالحقيقه المحقه و الحق المبين. نأخذ من الحياه الكلمه الحره و من العقيدته الجمله الحاره و نبني بها أساسا راسخا و عماره قويه صامده فى وجه الأعاصير. فإذا كان لنا الجمع بين الأصيل و الغوص العميق، فذلك من معانيها الصحيحه و من أهدافها النبيله المزهديه بجمال الصدق و قوه الغوص. فالصدق و التجرد و الغوص يا قلمي العزيز يبنون النفس البشريه و يرشدونها الى جمال التصوير و جلال الحياه فكلانا قوه يا قلمي فى كفها الكريم. تلك هى القضايا الكبيره، تنبت منها الكلمات الكبيره و يصدر عنها التعبير الجميل و لا يخفى عليك أن المعرفه و الشوق هما الصيادان الماهران اللذان يقتنصان التعبير المسبوك من حقيقه

القضيه، و يعبران عن حقيقه جلالها. أما هذه الدعوه الجديده التى يحفزك و يحفزنى الحب الى جعلها جليله، فلا أظنك الا متهيبا مثلى جديده خوض الحلبه لأن لها فى مجال التاريخ الكبير قضيه كبيره تفتش عن حقيقه الانسان. [صفحه ١١] عديدون هم الكواكب المشرقه الذين تناولت سيرهم العظيمه، ولكن لم تعترنى هزه، و هم العظام، كالهزه التى تملكتنى و أنا أتتبع خطوات الامام جعفر بن محمد الصادق، صادق القول و صادق العمل و صادق المعرفه و صادق الضمير. جاهد و كافح و ناضل من أجل الحفاظ على الرساله الاسلاميه و من أجل بناء مجتمع سليم قويم تتعزز فى تطويره كل السبل. هكذا عمل أبوه و أجداده فى حقيقه الرساله، و هكذا قالت الوصيه و هكذا قالت له الامامه الهاجعه فى ضميره الحى و فى وجدانه المكين. تلك هى المسيره العظيمه، و تلك هى القضيه العظيمه خطها و نفذها أجدادك العظام. عرفوا الحق و دافعوا عنه، و قاوموا الظلم و ضحوا من أجله و ساهموا فى بناء المجتمع و ما قصروا فى كل مجالاته. تلك هى الكلمه التى أدعوك الى جلوه حروفها يا قلمى العزيز و يا رفيق عمري الكريم. فالامام جعفر الصادق حياه الكلمه و هل بينى مجتمع سليم بغير هذه الكلمات. فسلام عليك يوم ولدت و سلام عليك يوم توفيت و سلام عليك يوم تبعث حيا. [صفحه ١٣]

السيره الكريمه

المنبت الحسن

الفروع تتبع الأصول، و الأصل الطيب يعطى نباتا طيبا و ثمرا طيبا. أسماء الأئمه و ألقابهم نزل بها الروح الأمين من المولى الجليل على الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم فيحدث سلمان الفارسي أن النبي صلى الله عليه و آله و

سلم ذكر خلفاءه الاثنى عشر الذين اختارهم الله للامامه و أوجب على الأمه معرفتهم بأسمائهم و أنسابهم، و أنه لا ايمان لمن لم يتولهم و لا- يتبرأ من عدوهم. هذه الأرومه الطيبه المطهره و العتره الطاهره هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا. قال تعالى: (.. انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا) [١] فالتطهير هو الدرجه العليا للبشر، و الاختصاص به بين المسلمين المؤمنين يجعل لأهل البيت حقوقا و امتيازات تؤهل لامامه الدين و امامه الدنيا، أى خلافه الدين و الدنيا. و ثمة سنن مرويه فى تفضيل على و بينه و جعلهم من الأوصياء أو الأئمه. قال الفقهاء عموما و المفسرون خصوصا فى تعريف أهل البيت: ان أهل البيت هم: رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و على و فاطمه، و الحسن و الحسين عليهم السلام يؤيدهم فى ذلك حديث أم سلمه أم المؤمنين أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أجلس الأربعة حوله على كساء له [صفحه ١٤] وضعه فوق رؤوسهم و أوماً بيده اليمنى الى ربه عزوجل ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل البيت، فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا». و الامامه كما ذكر الفقهاء تثبت فى الأعقاب و لا تعود فى أخ و لا عم و لا غيرهما من القرابات. جاء عن أبى عبدالله عليه السلام قال [٢]: لا تعود الامامه فى أخوين بعد الحسن و الحسين أبدا، انما جرت من على بن الحسين كما قال الله تبارك و تعالى: (و أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) [٣]. و الامام جعفر الصادق هو امام معصوم ابن الامام

محمد

الباقر ابن الامام على زين العابدين ابن الامام الحسين ابن الامام على بن أبى طالب عليهم جميعا أفضل السلام. الاسم: جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم أفضل الصلاة و أزكى السلام. مولده: ولد فى المدينه يوم الجمعه أو يوم الاثنين عند طلوع الفجر فى السابع عشر من ربيع الأول يوم ميلاد جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله و سلم سنه ٨٠ عام الجفاف أو سنه ٨٣ على روايه المفيد و الكلينى و الشهيد. أبوه: الامام محمد الباقر عليه السلام. أمه: أم فروه (فاطمه) بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر و أمها أسماء بنت عبدالرحمن بن أبى بكر. جده: الامام زين العابدين، على بن الحسين بن على بن أبى طالب الملقب بالسجاد. كنيته: أبو عبدالله و أبواسماعيل، و أبو موسى و أولها أشهرها. ألقابه: له ألقاب كثيره أشهرها الصادق، و منها الصابر، و الفاضل و الطاهر و القائم و الكافل و المنجى. [صفحہ ١٥] نقش خاتمه: ما شاء الله، لا قوه الا بالله، أستغفر الله، و روى: الله عونى و عصمتى من الناس، و روى: اللهم أنت ثقتى فتنى شر خلقك و روى: الله خالق كل شىء. زوجاته: حميده بنت صاعد المغربى، فاطمه بنت الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب. أولاده: كان له عشره أولاد سبعة ذكور و ثلاث بنات و هم: الذكور: اسماعيل الأمين، و عبدالله، و موسى الكاظم، و اسحاق و محمد الديباج لأم ولد، و العباس و على لأم ولد. البنات: أم فروه و يظهر من المناقب أن اسمها أسماء و أم فروه كنيتهما. و فاطمه الكبرى أمها حميده، و فاطمه الصغرى. شعراؤه: السيد الحميرى، و أشجع السلمى، و الكميت بن زيد الأسدى، و

أبوهريره الأبار، و جعفر بن عفان. بوابه: المفضل بن عمر كما فى الفصول المهمه و جاء فى المناقب: بوابه: محمد بن سنان. تلاميذه: أخذ عنه العلم و الحديث أكثر من أربعه آلاف رجل [٤]. مؤلفاته: قال الشيخ المظفرى: ما روى عنه بلا واسطه ثمانون كتابا، و بواسطه سبعون كتابا [٥] و سوف نأتى على تفصيلها فى باب علومه. المصنفون من تلاميذه: صنف المئات من تلاميذه فى مختلف العلوم و الفنون [٦]. مده امامته: أربع و ثلاثون سنه. [صفحه ١٦] صفته: كان الصادق عليه السلام ربع القامه ليس بالطويل و لا القصير، أبيض الوجه أزهر له لمعان كأنه السراج المضاء، حالك الشعر جعده [٧]، أشم الأنف [٨]، قد انحسر الشعر عن جبينه فبدا مزهرا، رقيق البشره على خده خال أسود [٩]. ملوك عصره: أ- عاصر من بنى أميه: هشام بن عبدالملك، يزيد بن عبدالملك الملقب بالناقص، ابراهيم بن الوليد، مروان بن محمد الملقب بالحمار. ب - و عاصر من ملوك بنى العباس: السفاح، و المنصور. أوصياؤه: أوصى عليه السلام الى ولديه عبدالله و موسى، و الى زوجته حميده، و الى محمد بن سليمان، و الى المدينه، و الى المنصور العباسى [١٠]. وفاته: انتقل الى الرفيق الأعلى فى الخامس و العشرين من شهر شوال سنه ١٤٨ هـ متأثرا بسم المنصور العباسى، دسه اليه على يد عامله على المدينه - محمد بن سليمان. عمره: كان الامام الصادق عليه السلام أكبر الأئمه سنا فعمره الشريف على الروايه الأولى من مولده ٦٨ سنه و على الثانيه: ٦٥ سنه. قبره: دفن عليه السلام فى البقيع الى جانب أبيه الباقر و جدّه زين العابدين و عمه الحسن السبط، صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين.

هدم قبره: فى الثامن من شوال سنة ١٣٤٤ هـ هدم الوهابيون قبره عليه السلام وقبور بقيه أئمه أهل البيت عليهم السلام. [صفحه

[١٧

النص عليه بالخلافه

كان الأئمة المعصومون عليهم الصلاة والسلام، ينص السابق منهم على اللاحق، و السلف على الخلف، تنويها باسمه، و تشخيصا للامام من بين اخوته، و تعيينه للملا، و تنصيبه علما للأئمة، و سادنا للاسلام، و مرشدا و هاديا للمسلمين يحب فى الله و يكره فى الله و يعمل فى سبيل الله. و الآن نسجل ما ورد من النص على خلافه الامام الصادق عليه السلام من قبل أبيه الامام الباقر عليه السلام. ورد فى الارشاد عن جابر بن يزيد الجعفى قال: «سئل أبو جعفر عليه السلام عن القائم بعده، ف ضرب بيده على أبى عبد الله عليه السلام، و قال: هذا و الله قائم آل محمد عليهم السلام» [١١] و جاء فى الارشاد أيضا عن لسان طاهر، صاحب أبى جعفر عليه السلام قال: «كنت عنده، فأقبل جعفر عليه السلام، قال أبو جعفر عليه السلام: هذا خير البريه» [١٢]. و فى حديث له عليه السلام مع الكميت بن زيد و قد سأله عن الأئمة عليهم السلام قال: أولهم على بن أبى طالب و بعده الحسن، و بعد الحسين، و بعده على بن الحسين، و أنا، ثم بعدى هذا و وضع يده على كتف جعفر عليه السلام [١٣]. و قال نافع: قال أبو جعفر الامام الباقر عليه السلام لأصحابه يوما: اذا افتقدتمونى فاقتدوا بهذا، فهو الامام و الخليفه بعدى [١٤] و قال أبو الصباح الكنانى كما فى بحار الأنوار: «نظر أبو جعفر الى أبى عبد الله فقال: ترى هذا؟ هذا من الذين قال الله عنهم: (و نريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين)» [١٥]. [صفحه ١٨

تلامذه الامام الصادق ورواه حديثه

كان تلامذته عليه السلام من مختلف الأقطار الاسلاميه على اختلاف آرائهم و معتقداتهم و قد أجمع العلماء على أنهم كانوا أربعة آلاف، و هؤلاء الثقات

منهم و سوف نذكر من اشتهر بالعلم و من خرج حديثه كأصحاب الصحاح: البخارى، و مسلم، و الترمذى، و أصحاب السنن، و منهم من أصبحوا رؤساء مذاهب و رؤساء طوائف: ١- أبوحنيفه النعمان بن ثابت المتوفى سنة ١٥٠ هـ صاحب المذهب المنسوب اليه و قد اشتهر قوله: ما رأيت أعلم من جعفر بن محمد. و قوله أيضا: لولا السنن لهلك النعمان. و كانت له مع الامام الصادق اتصالات متفرقة بالمدينه و الكوفه، و قد لازمه مده سنتين متواصلتين بالمدينه فجعل هاتين السنتين نجاه له من الهلكه. ٢- و مالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩ هـ رئيس المذهب المنسوب اليه و كانت له صله تامه بالامام الصادق و روى الحديث عنه و اشتهر قوله فيه: ما رأيت عين أفضل من جعفر بن محمد. ٣- سفيان الثورى المتوفى ١٦١ هـ و هو من رؤساء المذاهب و حمله الحديث و قد بقى مذهبه معمولا به الى ما بعد القرن الرابع الهجرى، و كان لسفيان اختصاص بالامام الصادق و قد روى عنه الحديث كما روى كثيرا من آدابه و أخلاقه و مواعظه و حكمه. [صفحه ١٩] ٤- حاتم بن اسماعيل المتوفى سنة ١٨٠ هـ كوفى الأصل خرج له البخارى و مسلم و الترمذى و الجماعه و كان ثقه فى الحديث، أخذ عن الصادق و أخذ عنه خلق كثير منهم اسحاق و ابن معين. ٥- حفص بن غياث بن طلق بن معاويه بن مالك، أبو عمرو الكوفى المتوفى سنة ١٩٤ هـ روى عن الصادق و روى عنه أحمد بن حنبل، و اسحاق و أبونعيم، و يحيى بن معين، و على بن المدينى و عفان بن مسلم، و عامه الكوفيين، ولى قضاء

بغداد، و كان حافظ الحديث ثبتا فيه مقدما عند المشايخ كتبوا عنه من حفظه ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف حديث خرج له الجماعة أجمع. ٦- زهير بن محمد التميمي أبو المنذر الخراساني المتوفى سنة ١٦٢ هـ أخذ عن الامام الصادق و أخذ عنه أبو داود الطيالسي، و روح بن عباد، و أبو عامر العقدي، و عبد الرحمن بن مهدي، و الوليد بن مسلم، و يحيى بن بكير، و أبو عاصم و غيرهم و ثقة أحمد و يحيى و عثمان الدارمي و هو من رجال الصحاح. ٧- ابراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي أبو اسحاق المدني المتوفى ١٩١ هـ روى عن الصادق، و له كتاب مبوب في الحلال و الحرام، و ذكره الشيخ الطوسي في الفهرست، و روى عن ابراهيم بن طهمان و الثوري، و ابن جريج و الشافعي و سعيد بن أبي مريم و أبونعيم و آخرون. و يعد من مشايخ الشافعي و قد أكثر عنه في كتبه، اختص بحديث أهل البيت أكثر من غيره، و قد اتهم بالخط من السلف. ٨- الضحاک بن مخلد أبو عاصم النبيل البصري المتوفى سنة ٢١٤ هـ روى عن الصادق و روى عنه البخاري و أحمد بن حنبل و ابن المديني و اسحاق بن راهويه، قال ابن شيبه: و الله ما رأيت مثله. ٩- الحارث بن عمير البصري نزل مكة روى عن الصادق و عنه روى ابن عيينه و ابن مهدي و أبوسامه. و قد يضيق المجال هنا عن ذكر تلامذه الامام و رواه حديثه، و هم من كبار العلماء و حملة الحديث و رؤساء طوائف و أئمة مذاهب و غيرهم. ذكر الشيخ أسد [صفحة ٢٠] حيدر في كتابه الامام الصادق و المذاهب الأربعة ١٢٣ عالما [١٦] و سوف تأتي على

ذكر المشهور منهم. ١٠- أبان بن تغلب. أبوسعده الكوفي، روى عن السجاد، و الباقر، و الصادق، و مات فى أيامه. جاء فى الفهرست: أبان بن تغلب بن رباح ثقة جليل القدر عظيم المنزله فى أصحابنا، لقي أبامحمد على بن الحسين و أباجعفر الباقر و روى عنهم، و كانت له عندهم حظوه و قدم، و قال له أبوجعفر الباقر: اجلس فى مسجد المدينة و افت الناس فانى أحب أن يرى فى شيعتى مثلك. و كان غزير العلم متضلعا فى عدة علوم و له كتب ذكرها ابن النديم فى الفهرست منها: كتاب معانى القرآن، كتاب القراءات، كتاب من الأحوال فى الروايه على مذهب الشيعة [١٧]. و قال ابن حجر: روى عن أبى عبدالله الصادق، و هو من الستة من أصحابه عليه السلام الذين أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنهم و الاقرار لهم عيسى، و حماد بن عثمان، و أبان بن عثمان [١٨] فقال الشيخ نجم الدين فى المعتبر: «روى عن الصادق أربعة آلاف رجل و برز من تلامذته الفقهاء جم غفير الى أن يقول: كتب من أجوبه مسائله أربعمائى مصنف لأربعمائى مصنف، سموها بالأصول». بعض المؤلفين من تلامذته: ألف تلامذه الامام الصادق المختصون به كتباً فى سائر العلوم و الفنون منهم: ١- على بن يقطين المتوفى سنة ١٨٤ هـ له كتاب ما سئل عنه الامام الصادق من أمور الملاحم [١٩]. ٢- أبوحمزه ثابت بن أبى صفيه الثمالى المتوفى ١٥٠ هـ له كتاب فى [صفحة ٢١] التفسير و كان من تلامذه الباقر و الصادق [٢٠]. ٣- أبوبصير يحيى بن القاسم المتوفى سنة ١٥٠ هـ و هو من تلامذه الباقر و الصادق، له تفسير القرآن، ذكره ابن النديم. ٤- على

بن حمزه: أبو الحسن الكوفي البطائي من تلامذه الامام الصادق. له كتاب جامع أبواب الفقه، ذكره النجاشي. ٥- اسماعيل بن أبي خالد محمد بن مهاجر له كتاب مبوب في القضاء ذكره الطوسي. ٦- المفضل بن عمر الكوفي. له كتاب التوحيد الذي أملاه عليه الامام الصادق عندما التقى المفضل بأحد الزنادقة، فأملى عليه الامام الصادق تلك الدروس القيمه التي تحتوى على دلائل التوحيد، و محكم البراهين على وجود الصانع الحكيم من بيان هيئه العالم، و تأليف أجزائه، و كيفية خلق الانسان و تكوينه و كيفية ولادته و تغذيته، و غرائزه و طبائعه، و بيان الدماغ و عظمته، و ما فيه وفي سائر الأعضاء من عجب الصنع، و عظيم القدره، و ذكر الفؤاد و النخاع و الدم الأورده و الشرايين، و بيان قوى البدن من جاذبه و ماسكه و هاضمه و دافعه، و بيان الحواس و أعمالها و أسرارها و الوسائط التي بينها من ضياء و هواء، و ماهيه الصوت و حقيقه الكلام، و المنطق و الكتابه و ما أعطى الانسان من علم، و الأشياء المخلوقه لمآرب الانسان، و ما يتوقف عليه نظام حياته، الى غير ذلك. و قد شرحه الأستاذ الطيب محمد الخليلي شرحا وافيا بالغرض، و طبقه على العلوم الحديثه في مجلدين. ٧- هشان بن الحكم: المتوفى سنة ١٨٥ هـ هو أبو محمد الشيباني من تلامذه الامام الصادق و ابنه موسى الكاظم عليه السلام [٢١] له من الكتب كتاب (الامام) و كتاب (حدوث الأشياء) و كتاب الرد على الزنادقه. ٨- أبو جعفر الأحمول المعروف (مؤمن الطاق) من أصحاب أبي عبدالله [صفحه ٢٢] الصادق كان متكلمًا حاذقًا، له من الكتب: كتاب (الامامه) و كتاب (المعرفه)، و كتاب (الرد على المعتزله)

كتاب في أمر طلحه و الزبير. و غير هؤلاء من تلامذه الامام الصادق الذين ألفوا في عصره سائر العلوم و الفنون. ٩- جابر الجعفي جابر بن يزيد بن الحارث بن عبد يغوث الجعفي، أو أبو يزيد الكوفي المتوفى سنة ١٢٨ هـ روى عنه شعبه، و الثوري، و اسرائيل، و الحسن بن حي، و شريك و مسعر، و معمر، و أبو عوانه، و خرج حديثه أبو داود، و الترمذي، و ابن ماجه، قال ابن مهدي: ما رأيت في الحديث أروع منه. و قال ابن عليه: جابر صدوق في الحديث. و قال يحيى بن أبي بكير عن شعبه: كان جابر اذا قال حدثنا و سمعت، فهو من أوثق الناس. و قال ابن عبد الحكيم: سمعت الشافعي يقول: قال سفیان الثوري لشعبه: لئن تكلمت في جابر الجعفي، لأتكلمن فيك. و كان جابر يحفظ مائه ألف حديث. هكذا وصفه معاصروه [٢٢]. و قد كانت له منزله و تقدير في الكوفة، و انتشر حديثه، و أخذ عنه العلماء. و بعد أن ظهرت الآراء و هبت زوبعه الخلاف، و اشتد النزاع بين العرب و الموالي، أو بين أهل الحديث و أهل الرأي أصبح جابر لا يؤخذ بحديثه. لعن الله السياسه لأنها تفسد الحقيقه. و لما كثرت كلمات الذم له جريا للظروف و خضوعا للعوامل السياسيه. قال عنه الامام الصادق: «رحم الله جابرا كان يصدق علينا، و لعن الله المغيره كان يكذب علينا» و روى الكشي في رجاله: روايات كثيره داله على مدحه، و له أصل يرويه الشيخ الطوسي عن ابن أبي جيد عن ابن الوليد كما أنه يذكر له كتابا في التفسير [٢٣]. و السبب الذي أدى الى التكذيب جلي و معروف، كان يكثر روايته عن أهل البيت، و يقول عندما

يتحدث عن الامام الباقر عليه السلام: حدثني وصي الأوصياء، [صفحة ٢٣] وهو أمر يعظم تحمله في عصر تقرب الناس لولاتهم بالابتعاد عن أهل البيت، وذلك اما خوفا على أنفسهم أو تقربا لسلاطينهم. ١٠- محمد بن مسلم بن رباح، أبو جعفر الكوفي الثقفي، المتوفى سنة ١٥٠ هـ عن سبعين سنة. روى عن الامام الباقر و ابنه الامام الصادق وقد أجمعوا على تصحيح ما يصح عنه. كان المثل الأعلى في الصلاح والطاعة والعلم، وقد حفظ عن الامام الباقر ثلاثين ألف حديث، و عن الامام الصادق ستة عشر ألف حديث وله كتاب يسمى الأربعمائه مسأله في أبواب الحلال والحرام. قال عبدالله بن أبي يعفور: قلت لأبي عبدالله: انه ليس كل ساعه ألقاك ولا يمكن القدوم اليك، و يجيء الرجل من أصحابنا فيسألني عنه. قال عليه السلام: فما يمنعك عن محمد بن مسلم الثقفي؟ فانه قد سمع من أبي، و كان عنده وحيها. و دعي لأداء الشهاده عن شريك القاضي و هو و أبو كريبه الأسدي، فقال ابن أبي ليلى: جعفر بن فاطميان. و رد شهادتهما. فقال محمد بن مسلم لشريك: نسبتنا لأقوام لا يرضون بأمثالنا، و لرجل لا يرضى بأمثالنا أن نكون من شيعته، فان تفضل و قبلنا، فله المن علينا و الفضل، فتبسم شريك ثم قال: اذا كانت الرجال فلتكن أمثالكم. و سئل أبو حنيفة صاحب الرأي عن مسأله الحامل التي تموت و الوالد يتحرك في بطنها، فقال للسائل: عليك بمحمد بن مسلم الثقفي فانه يخبرك فيها. ١١- زراره بن أعين الشيباني أبو الحسن المتوفى سنة ١٥٠ هـ من مشاهير رجال الشيعة، فقها و حديثا و معرفه بالكلام، أجمعت فيه خلال الفضل و الدين، و هو

من أصحاب الباقر و الصادق عليه السلام قال النجاشي: شيخ أصحابنا في زمانه و متقدمهم و كان قارئاً فقيها متكلماً شاعراً أديباً، قد اجتمعت فيه خلال الفضل و الدين. و دخل الفيض بن المختار على الامام الصادق عليه السلام فسأله عن الاختلاف [صفحہ ۲۴] في الحديث فأجابه الامام بعد كلام طويل: اذا أردت حديثاً فعليك بزراره بن أعين. و قال الشيخ الطوسي: و لزراره مصنفات منها: كتاب الاستطاعة و الجبر. و قال ابن النديم: و زراره من أكبر رجالات الشيعة فقها و حديثاً و معرفه بالكلام، و من ولده الحسين بن زراره و الحسن بن زراره من أصحاب جعفر بن محمد عليه السلام. [صفحہ ۲۵]

ما قاله الأعلام في فضائل الامام الصادق

اشاره

۱- قال محمد بن زياد الأسدي: «سمعت مالک بن أنس يقول: كنت أدخل على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام و كان لا يخلو من احدى ثلاث خصال: اما صائماً و اما قائماً، و اما ذاكراً. و كان من عظماء العباد و أكابر الزهاد الذين يخشون الله عزوجل، و كان كثير الحديث، طيب المجالسه، كثير الفوائد فاذا قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، اخضر مره، و اصفر أخرى، حتى ينكره من لا يعرفه [۲۴]. و قال: «ما رأيت عين، و لا سمعت أذن، و لا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق فضلاً و علماً و عباده و ورعاً» [۲۵]. ۲- و قال أبوحنيفه «ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد» [۲۶]. و قال رشيدالدين محمد بن علي بن شهر آشوب: «ذكر أبوالقاسم البغاري في مسند أبي حنيفه، قال الحسن بن زياد: سمعت أباحنيفه و قد سئل: من أفقه من رأيت؟ قال: جعفر

بن محمد لما أقدمه المنصور بعث الى فقال: يا أباحنيفه ان الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهى ء له من مسائلك الشداد، فهيات له أربعين مسأله، ثم بعث الى أبوجعفر و هو بالحيره فأتيته فدخلت عليه و جعفر جالس عن يمينه فلما بصرت به دخلنى من الهيبة لجعفر ما لم يدخلنى لأبى جعفر الخليفه فسلمت عليه، فأوما لى بالجلوس و قال: التى على أبى عبدالله من مسائلك، فجعلت ألقى عليه فيجيبنى، فيقول: أنتم تقولون كذا، و أهل المدينه يقولون كذا، [صفحه ٢٦] و نحن «نقول كذا، فربما تابعناكم و ربما تابعناهم و ربما خالفناكم جميعا، حتى أتيت على الأربعين مسأله فما أخل منها بشى ء، ثم قال أبوحنيفه: أليس أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس» [٢٧] و قال «لو لا الستتان لهلك النعمان» [٢٨] و الستتان هما اللتان قضاهما النعمان فى مصاحبه الامام الصادق و أخذه من نمير علمه. ٣- و ما قاله أعلام المؤلفين: قال الشهرستانى: «أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق، ذو علم غزير فى الدين، و أدب كامل فى الحكمه، و زهد بالغ فى الدنيا، و ورع تام عن الشهوات. و قد أقام مده بالمدينه يفيد الشيعة المنتمين اليه و يفيض على المواليين له أسرار العلوم، ثم دخل العراق و أقام بها مده ما تعرض للامامه قط، و لا نازع أحدا فى الخلافه قط، و من غرق فى بحر المعرفه لم يطمع فى شط، و من تعالى الى ذروه الحقيقه لم يخف من حط. و قيل: من أنس بالله توحش عن الناس، و من استأنس بغير الله نهبه الوسواس» [٢٩]. ٤- و قال ابن الصباغ المالكى: «كان جعفر الصادق عليه السلام من بين اخوانه خليفه

أبيه و وصيه، و القائم بالامامه من بعده، برز على جماعهم بالفضل و كان أنبهم ذكرا و أجلهم قدرا، نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان و انتشر صيته و ذكره في سائر البلدان و لم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقل عنه من الحديث» [٣٠]

٥- و قال الذهبي: «جعفر بن محمد بن علي ابن الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، الامام أبو عبدالله العلوي المدني الصادق أحد الساده الأعلام... مناقب هذا السيد جمه...» [٣١]. ٦- و قال البستاني: «جعفر الصادق هو ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب أحد الأئمه الاثني عشر على مذهب [صفحه ٢٧] الاماميه و كان من سادات أهل البيت و لقب بالصادق لصدقه في مقالاته و فضله عظيم و له مقالات في صناعه الكيمياء و كان تلميذه جابر بن حيان قد ألف كتابا يشتمل على ألف ورقه تتضمن رسائل جعفر الصادق و هي ٥٠٠ رساله و اليه ينسب كتاب الجفر [٣٢] و تابع البستاني قوله: و كان جعفر أدبيا تقيا دينا حكيما في سيرته. ٧- و قال محمد فريد و جدى: «أبو عبدالله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب هو أحد الأئمه الاثني عشر على مذهب الاماميه كان من سادات أهل البيت النبوي، لقب الصادق لصدقه في كلامه، كان من أفاضل الناس» [٣٣]. ٨- و قال خير الدين الزركلي: «كان عليه السلام من أجلاء التابعين و له منزله رفيعه في العلم. أخذ عنه جماعه، منهم الامامان أبوحنيفه و مالك. لقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط، له أخبار

مع الخلفاء من بنى العباس و كان جريئا عليهم صداعا بالحق» [٣٤] . ٩- و قال محمد أبوزهره: «و ان الامام الصادق قد قضى حياته دائما فى طلب الحق، لم ىرن على قلبه غشاوه من ريب، و لم تتدرن أفعاله بمقتضيات السياسه و عوجائها، و لذا لما مات أحس العالم الاسلامى كله بفقده و كان له ذكر عطر على كل لسان... و قد أجمع كل العلماء على فضله» [٣٥] و قال أيضا: «ما أجمع علماء الاسلام على اختلاف طوائفهم فى أمر كما أجمعوا على فضل الامام الصادق و علمه، فأئمه السنه الذين عاصروه تلقوا عنه و أخذوا عنه... و لذلك نطقت ألسنه العلماء جميعا بفضله، و بذلك استحق الامامه العلميه فى عصره، كما استحقها أبوه وحده من قبله، فقد كانوا جميعا أئمه الهدى يقتدى بهم و يقتبس من أقوالهم، و قد عكفوا على علم الاسلام عكوف العابد [صفحه ٢٨] على عبادته فخلفوا علما، و خلفوا رجالا و تناقل الناس علمهم و تحدثوا به» [٣٦] . ١٠- و قال أبونعيم: «جعفر بن محمد الامام الناطق ذو الزمام السابق أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق أقبل على العباده و الخضوع، و آثر العزله و الخشوع و نهى عن الرئاسه و الجموع» [٣٧] . ١١- و قال الجاحظ: «جعفر بن محمد الذى ملأ الدنيا علمه و فقهه، و يقال: ان أباحنيفة من تلامذته و كذلك سفيان الثورى، و حسبك بهما فى هذا الباب» [٣٨] . ١٢- و قال جمال الدين أبوالمحاسن: «جعفر الصادق بن محمد الباقر الامام السيد أبو عبدالله الهاشمى العلوى الحسينى المدنى، و كان يلقب بالصابر و الفاضل و الطاهر، و أشهر ألقابه الصادق. حدث عنه

أبوحنيفه و ابن جريج و شعبه و السفينان و مالك و غيرهم» [٣٩] . ١٣- و قال السيد مير على الهندي: «و لا مشاحه ان انتشار العلم فى ذلك الحين قد ساعد على فك الفكر من عقاله، فأصبحت المناقشات الفلسفيه عامه فى كل حاضره من حواضر العالم الاسلامى، و لا- يفوتنا أن نشير الى أن الذى تزعم تلك الحركه: هو حفيد على بن أبى طالب المسمى بالامام الصادق، و هو رجل رحب أفق التفكير، بعيد أغوار العقل، ملم كل الالمام بعلوم عصره، و يعتبر فى الواقع أنه أول من أسس المدارس الفلسفيه المشهوره فى الاسلام، و لم يكن يحضر حلقاته العلميه أو لثكك الذين أصبحوا مؤسسى المذاهب الفقيهيه فحسب، بل كان يحضرها طلاب الفلسفه و المتفلسفون من الأنحاء القاصيه» [٤٠] . ١٤- و قال عبدالعزيز سيد الأهل: «جعفر بن محمد كان اماما مفخره من مفاخر المسلمين لم تذهب قط، و انما بقى منها فى كل غد قادم حتى القيامه صوت [صفحه ٢٩] صارخ، يعلم الزهاد زهدا، و يكسب العلماء علما، يهدى المضطرب، و يشجع المقتحم، يهدم الظلم و يبنى للعداله، و هو ينادى بالمسلمين جميعا أن هلموا و اجتمعوا، و أن قوما لم يختلفوا فى ربهم و فى نبيهم لمجموعون مهما اختلفوا فى يوم قريب» [٤١] . ١٥- و عن معهد البحوث الشرقيه: «عندما يتفرغ الباحث لدارسه شخصيه الامام جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب دراسه صحيحه على ضوء الضمير النقى، و الواقع العقلى، و التجرد العلمى، متبعا الأصول الحديثه، مبتعدا عن العاطفه، و مرض التعصب، و أثر الجنسيه، فلا يستطيع الا الاقرار بأنها مجموعه فلسفيه قائمه بذاتها، تزخر بالحيويه النابضه، و

الروحيه المتجسده، و العقليه المبدعه التي استنبطت العلوم، و أبدعت الأفكار و ابتكرت السنن، و أوجدت النظم و الأحكام» [٤٢] . و هذا غيظ من فيض و أمثله على سبيل الذكر لا الحصر من آراء علماء العصر و العلماء الآخرين. و لا غرابه في ذلك فهو دقق حضارى و دائره علميه و موسوعه معرفيه و صاحب مدرسه يفوح منها عطر النبوه و عبقرية رحمانيه و أخلاق علويه. و كان عليه السلام يستشف ما وراء الحجب باستقراء الحوادث السياسيه و ينظر المستقبل بصفاء حكمته. [صفحه ٣٠]

مناقب راقيه و فضائل ساميه

اشاره

ماذا يمكننا القول في مناقب و فضائل الأئمه المعصومين عليهم السلام و من أراد التحدث عن سمو فضائلهم فكأنه يدخل الى حانوت عطار يحوى جميع أنواع العطور الزكيه، فكلها جيده و لا يستطيع أن يميز بين عطر و عطر و لا يمكنه تفضيل أحدهما على الآخر. و الأئمه المعصومون كلهم صفوه الصفوه و كلهم مشتركون في جميع المناقب و الفضائل. فهم من نور واحد و طينه واحده، و هم أكمل أهل زمانهم في كل صفه فاضله. ولكن لما كانت مقتضيات الزمان و مظاهر تلك الصفات فيهم متفاوتة بحسب الزمان و المكان، كان ظهور آثارهم منهم متفاوتا بحسب مقتضيات الأحوال. فأمير المؤمنين عليه السلام ظهرت آثار شجاعته بجهاده بين يدي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و بمحاربه الناكثين و المارقين أيام خلافته. و الامام الحسين عليه السلام سيد الشهداء ظهرت آثار شجاعته بما أمر به من محاربه الظالمين و منابذه المنحرفين عن الخط الاسلامى الصحيح. و البقيه لم تظهر فيهم آثار الشجاعه لما أقروا به من التقيه و المداراه بما يتناسب مع ظروف حياتهم و شجون زمانهم. و الامام الباقر

الامام الصادق عليه السلام ظهرت فيهما آثار العلم أكثر من الباقيين لكونهما في نهايه دوله ضعفت و بدايه دوله ظهرت، و الجهل و الانحراف و الفوضى تفتت في ذلك الحين. و الكل مشتركون في أنهم أعلم أهل زمانهم. و قد تكون آثار الكرم و السخاء و كثره الصدقات و العتق في بعضهم أظهر منها [صفحه ٣١] في الباقي و ذلك لكثرة الفقراء و المحتاجين في بلده أو لسعه ذات يده دون الباقي. و كلهم مشتركون في أنهم أكرم أهل زمانهم و أسخاهم. و قد تكون العباده في بعضهم أظهر منها في غيره و ذلك لجهل الناس و قله اطلاعهم أو قصر اقامته في دار الدنيا أو غير ذلك و كلهم مشتركون في أنهم أعبد أهل زمانهم. و قد تكون آثار الحلم في بعضهم أظهر منها في غيره لكثرة ما ابتلى به من أنواع الظلم و الأذى و الابتلاء يظهر معها حلم الحليم دون غيره و كلهم أحلم أهل زمانهم الى غير ذلك من مقتضيات الأحوال التي تعرض لهم. و مناقب الامام الاصادق عليه السلام و فضائله كثيره نورد منها على سبيل الذكر.

العلم

أو العلوم المختلفه أو المعارف الشامله من اجتماعيه و دينيه و فلسفيه و أدبيه و علميه... و لا- غرابه في الموضوع فهو ابن العتره الطاهره أعلم أهل زمانهم. جاء في الصواعق المحرقة لابن حجر: نقل الناس عنه عليه السلام من العلوم ما سارت به الركبان و انتشر صيته في جميع البلدان. و قال المفيد في الارشاد: «نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان و انتشر ذكره في البلدان و لم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقل عنه و لا لقي

أحد منهم من أهل الآثار و نقله الأخبار و لا نقلوا عنهم ما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السلام. فان أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواه عنه من الثقات على اختلافهم فى الآراء و المقالات فكانوا أربعة آلاف رجل». و روى الكشى فى رجاله و روى أيضا النجاشى فى رجاله بسنده عن الحسن بن على الوشا فى حديث أنه قال: أدركت فى هذا المسجد (يعنى مسجد الكوفه) تسعمائه شيخ كل يقول: حدثنى جعفر بن محمد. و كان عليه السلام يقول: حديثى حديث أبى و حديث أبى حديث جدى و حديث جدى حديث على بن أبى طالب، و حديث على حديث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و حديث رسول الله قول الله عزوجل. [صفحه ٣٢] و جاء فى المناقب لابن شهر آشوب: و لا تخلو كتب أحاديث و حكمه و زهد و موعظه من كلامه، يقولون: قال: جعفر بن محمد الصادق عليه السلام و على سبيل الذكر ما قاله عليه السلام فى وجوب المعرفة بالله تعالى: «وجدت علم الناس كلهم فى أربع»: أولها: أن تعرف ربك، و الثانى: أن تعرف ما صنع بك، و الثالث: ما أراد منك، و الرابع: أن تعرف ما يخرجك عن دينك [٤٣] قال المفيد: «و هذه أقسام تحيط بالمفروض من المعارف لأنه أول ما يجب على العبد معرفه ربه جل جلاله. فاذا علم أن له الها و جب أن يعرف صنيعه اليه، فاذا عرف صنيعه اليه عرف به نعمته، فاذا عرف نعمته و جب عليه شكره، فاذا أراد تأديه شكره و جب عليه معرفه مراده ليطيعه بفعله، و اذا و جبت عليه طاعته و جبت عليه معرفه ما يخرج عن دينه ليتجنبه فيخلص به طاعه ربه و

شكر انعامه. و سوف نأتى على تفصيل علومه و معارفه عليه السلام فى باب خاص باذن الله.

الحلم

روى الحافظ عبدالعزيز بن الأخضر الجنازى فى كتاب معالم العتره: «وقع بين جعفر بن محمد و عبدالله بن حسن كلام فى صدر يوم، فأغلظ له فى القول عبدالله بن حسن، ثم افترقا وراحا الى المسجد، فقال أبو عبدالله جعفر بن محمد لعبدالله بن حسن: كيف أمسيت يا أبا محمد؟ فقال: بخير كما يقول المغضب. فقال: يا أبا محمد أما علمت أن صله الرحم تخفف الحساب؟ فقال: لا تزال تجيء بالشىء لا نعرفه؟ فقال: انى أتلو عليك به قرآنا؟ قال و ذلك أيضا؟ قال: نعم؟ قال: فهاته، قال: قول: الله عز وجل: «و الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل و يخشون ربهم و يخافون سوء الحساب» [٤٤] قال: فلا ترانى بعدها قاطعا رحما. [صفحة ٣٣] و روى الكلينى فى الكافى بسنده ان أبا عبدالله عليه السلام بعث غلاما له فى حاجه فأبطأ الغلام، فخرج أبو عبدالله عليه السلام على أثره لما أبطأ عليه فوجده نائما فجلس عند رأسه يروحه حتى انتبه، فلما انتبه قال له أبو عبدالله عليه السلام: يا فلان والله ما ذانك لك تنام الليل و النهار، لك الليل و لنا منك النهار.

الصبر

روى الكلينى فى الكافى باسناده عن العلاء بن كامل، قال: كنت جالسا عند أبي عبدالله عليه السلام فصرخت الصارخه من الدار، فقام أبو عبدالله عليه السلام ثم جلس فاسترجع و عاد فى حديثه حتى فرغ منه، ثم قال انا لنحب أن نعافى فى أنفسنا و أولادنا و أموالنا فاذا وقع القضاء فليس لنا ان نحب ما لم يحب الله لنا. و باسناده عن قتيبه الأعشى قال: «أتيت أبا عبدالله عليه السلام أعود ابنا له فوجدته على الباب فاذا هو مهتم حزين، فقلت: جعلت فداك كيف الصبى؟ فقال:

انه لما به، ثم دخل فمكث ساعه ثم خرج الينا و قد اصفر وجهه و ذهب التغير و الحزن فطمعت ان يكون قد صلح الصبي، فقلت: كيف الصبي جعلت فداك؟ فقال: قد مضى الصبي لسيله، فقلت: جعلت فداك لقد كنت و هو حي مغتما حزينا و قد رأيت حالك الساعه و قد مات غير تلك الحال فكيف هذا؟ فقال: انا أهل البيت انما نجزع قبل المصيبه فاذا وقع أمر الله رضينا بقضائه و سلمنا لأمره».

العباده

كان الامام الصادق كأييه و أجداده يكثر من العباده و من ذكر الله، روى الكليني فى الكافى باسناده: أنه أحصى على الامام الصادق عليه السلام فى سجوده خمسمائيه تسبيحه. و بسنده عن أبان بن تغلب: دخلت على الامام الصادق عليه السلام فعددت فى الركوع و السجود ستين تسبيحه. و روى الرواندى عن منصور الصيقلى أنه رأى أبا عبدالله ساجدا فى مسجد النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال: فجلست حتى أطلت ثم قلت لأسبحن ما دام ساجدا فقلت: سبحان ربى و بحمده أستغفر ربى و أتوب اليه ثلاثمائه مره و نيفا و ستين فرفع رأسه». [صفحہ ۳۴]

الصدقات

روى الكليني فى الكافى بسنده عن هشام بن سالم قال: «كان أبو عبدالله عليه السلام كثير الصدقات، فاذا أعتم الليل و ذهب منه شطره أخذ جرابا فيه خبز و لحم و دراهم فحمله على عنقه ثم ذهب به الى أهل الحاجه من أهل المدينه فقسمه فيهم و لا يعرفونه، فلما مضى أبو عبدالله عليه السلام فقدوا ذلك فعلموا أنه هو عليه السلام كان يأتيهم».

الكرم و السخاء

جاء فى حليه الأولياء بسنده عن الهياج بن بسطام قال: «كان جعفر بن محمد عليه السلام يطعم حتى لا يبقى لعياله شىء». و روى فى مطالب السؤول: كان عليه السلام يقول: لا يتم المعروف الا بثلاثه: تعجيله و تصغيره و ستره، و يأتي نظيره فى حكمه و آدابه.

مكارم الأخلاق

روى الزمخشري فى ربيع الأبرار عن الشقرانى مولى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: «خرج العطاء أيام المنصور و ما لى شفيح فوقفت على الباب متحيرا و اذا بجعفر بن محمد قد أقبل فذكرت له حاجتى فدخل و خرج و اذا بعطائي فى كفه فناولنى اياه و قال: ان الحسن من كل أحد حسن و أنه منك أحسن لمكانك منا، و ان القبيح من كل أحد قبيح و أنه منك أقبح لمكانك منا. قال سبط ابن الجوزى: و انما قال له ذلك لأنه كان يشرب الشراب، فوعظه على وجه التعريض و هذا من أخلاق الأنبياء». و كل من درس حياه الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم يتأكد بأن لسيرته صلى الله عليه و آله و سلم، و ما حباه المولى جل شأنه من خلق عظيم، و صفات حميده، كان لها النصيب الأكبر فى الامتداد بالاسلام و نشره بين العالم، فكم من مره يجتمع فيها صلى الله عليه و آله و سلم بزعم كبير، أو [صفحہ ۳۵] شخص مميز فما ينفذ الاجتماع الا و يعلن ذلك الرجل اسلامه متأثرا بخلقه و سيرته صلى الله عليه و آله و سلم. فعدى بن حاتم الطائى بعدما شاهد من أخلاقه العاليه صلى الله عليه و آله و سلم و ما أبداه معه من الاحترام و الاجلال

أعلن اسلامه. و على هذا النهج سار أئمه أهل البيت عليهم السلام، فكان لسيرتهم أكبر الأثر فى نشر الفضيله بين صفوف المسلمين، و تعليمهم على المثل الرفيعه، و الأخلاق العالیه، و النهج المستقيم. و الامام الصادق عليه السلام هو ابن هذه العتره الطاهره و الأرومه الزكيه. [صفحه ٣٦]

وصاياہ

اشاره

احترت ماذا أسمى هذا الفصل، وصاياہ أو حكمه، لأن كل كلمه قالها عليه السلام هي حكمه خالده، و دره نادره و نصيحه بليغه، و أدب رفيع، و هذا الموضوع لكثرتہ و شموله يحتاج الى كتاب مستقل، لأن كل كتاب يتعرض لسيرته عليه السلام تجد فيه الكثير من وصاياہ و حكمه و نصائحه و توجيهاته. و مما وجدته فى هذا الفصل الكبير وصايا مختلفه منها ما هي موجهه لفرد، و منها ما هي موجهه لجماعه، و ربما حملها عليه السلام لبعض خواصه على أن يبلغها شيعته و أصحابه. و ما أحوجنا نحن اليوم الى الأخذ بهذه الوصايا العظيمه و النصائح المفيده لنستعيد ماضينا المجيد، و نهض بالاسلام رساله عزنا المجيد و تراثنا التليد، فمنه عزتنا و كرامتنا، و به دوام نهضتنا و سمو حضارتنا. و أمر مهم قراءه هذه الوصايا الفريده و حفظها، لكن الأهم هو العمل بها و حسن تطبيقها. فالكلمه الصالحه تحتاج الى عمل صالح، و الا بقيت حبرا على ورق.

وصايا الأفراد

وصيه لولد الكاظم

١- وصيته لولده الكاظم عليهم السلام بسنده عن بعض أصحابه فى حليه الأولياء، قال: «دخلت على جعفر و موسى ولده بين يديه و هو يوصيه بهذه الوصيه فكان مما حفظت منه أن قال: يا بنى: اقبل وصيتي، و احفظ مقالتي، فانك ان حفظتها تعيش سعيدا، و تمت حميدا. [صفحه ٣٧] يا بنى: انه من رضى بما قسم له استغنى و من مد عينه الى ما فى يد غيره مات فقيرا، و من لم يرض بما قسم الله عزوجل اتهم الله فى قضائه، و من استصغر زله نفسه استعظم زله غيره، و من استصغر زله غيره استعظم زله نفسه. يا بنى: من كشف حجاب غيره انكشفت

عورات بيته، و من سل سيف البغى قتل به، و من احتفر لأخيه بئرا سقط فيها، و من داخل السفهاء حقر، و من خالط العلماء و قر، و من دخل مداخل السوء اتهم. يا بنى: اياك أن تزرى بالرجال فيزرى بك، و اياك الدخول فيما لا يعينك فتذل. لذلك يا بنى: قل الحق لك أو عليك، تستشان من بين أقرانك [٤٥]. يا بنى: كن لكتاب الله تاليا و للسلام فاشيا و بالمعروف آمرا و عن المنكر ناهيا و لمن قطعك و اصلا، و لمن سكت عنك مبتدئا و لمن سألك معطيا. و اياك و النميمه فانها تزرع الشحناء فى قلوب الرجال، و اياك و التعرض لعيوب الناس، فمتزله المتعرض لعيوب الناس بمنزله الهدف. يا بنى: اذا طلبت الجود فعليك بمعادنه، فان للجود معادن، و للمعادن أصول، و للأصول فروع، و للفروع ثمر، و لا يطيب ثمر الا بفرع، و لا فرع الا بأصل، و لا أهل ثابت الا بمعدن طيب. يا بنى: اذا زرت فرز الأخيار و لا تزر الفجار، فانهم صخره لا ينفجر ماؤها و شجره لا يخضر ورقها، و أرض لا يظهر عشبها. قال على بن موسى عليهما السلام: فما ترك أبى هذه الوصيه الى أن مات [٤٦].

و من وصيه له لسفيان الثورى

مذكوره هذه الوصيه فى تحف العقول و رواها الصدوق فى الخصال بسنده عن سفيان الثورى قال: [صفحه ٣٨] قال سفيان الثورى: لقيت الصادق ابن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له: أوصنى بوصيه أحفظها من بعدك، قال عليه السلام: يا سفيان لا مروءه لكذوب و لا راحه لحسود و لا اخاء لملول و لا خله لمختال و لا سؤدد لسىء الخلق. فقلت: يا ابن رسول

الله زدنى فقال: يا سفيان: ثق بالله تكن مؤمنا و ارض بما قسمه لك تكن غنيا و أحسن مجاوره من جاورك تكن مسلما. صاحب الناس بمثل ما يصاحبونك به تزدد ايمانا و لا تصاحب الفاجر فيعلمك من فجوره و شاور الذين يخشون الله. فقلت: يا ابن رسول الله زدنى. فقال لى: يا سفيان من أراد عزا بلا عشيره و غنى بلا مال، وهيبه بلا سلطان و كثره بلا اخوان فلينتقل من ذل معاصى الله الى عز طاعته. فقلت: يا ابن رسول الله زدنى: فقال عليه السلام: أدبنى أبى بثلاث و نهانى عن ثلاث. فأما اللواتى أدبنى بهن فانه قال لى: يا بنى من يصحب صاحب السوء لا يسلم، و من لا يملك لسانه يندم، و من يدخل مداخل السوء يتهم. قلت: يا ابن رسول الله فما الثلاث اللواتى نهاك عنهن؟. قال عليه السلام: نهانى أن أصاحب حاسد نعمه و شامتا بمصيبه أو حامل نميمه ثم أنشدنى: عود لسانك قول الخير تحظ به ان اللسان لما عودت معتاد موكل بتقاضى ما سنتت له فى الخير و الشر فانظر كيف تعتاد

من وصيه أوصى بها لعبدالله بن جندب

يا ابن جندب حق على كل مسلم أن يعرض عمله فى كل يوم و ليله على نفسه، فيكون محاسب نفسه، فان رأى حسنه استزداد منها و ان رأى سيئه استغفر منها. طوبى لعبد لم يغط الخاطئين على ما أوتوا من نعيم الدنيا و زهرتها. طوبى لعبد طلب الآخرة و سعى لها. طوبى لمن تلهه الأمانى الكاذبه. يا ابن جندب من غش أخاه و حقره و ناواه جعل الله النار مأواه و من حسد مؤمنا انماث الايمان فى قلبه كما ينماث الملح فى الماء. يا ابن جندب الماشى فى [صفحه ٣٩] حاجه

أخيه كالساعي بين الصفا و المروه و قاضى حاجته كالمتشطح بدمه فى سبيل الله و ما عذب الله أمه الا عند استهانتهم بحقوق فقر اخوانهم. يا ابن جندب بلغ معاشر شيعتنا و قل لهم: لا تذهبن بكم المذاهب فوالله لا تنال ولايتنا الا بالورع و الاجتهاد فى الدنيا و مواساه الاخوان فى الله و ليس من شيعتنا من يظلم الناس. يا ابن جندب من حرم نفسه كسبه فانما يجمع لغيره، و من أطاع هواه فقد أطاع عدوه، و من يثق بالله يكفه ما أهمه من أمر دنياه و آخرته، و يحفظ له ما غاب عنه و قد عجز من لم يعد لكل بلاء صبرا و لكل نعمه شكرا و لكل عسر يسرا. صبر نفسك عند كل بليه فى ولد أو مال أو رزیه، فانما يقبض عاريتة و يأخذ هبته ليلو فيهما صبرك و شكرك. و أرج الله رجاء لا يجرئك على معصيته، و خفه خوفا لا يؤيسك من رحمته و اقنع بما قسم الله لك. و لا- تتمن ما لست تناله. و لا- تكن بطرا فى الغنى و لا- جزعا فى الفقر، و لا تكن فظا غليظا يكره الناس قربك و لا تكن واهيا يحقرك من عرفك. و لا تشار من فوقك و لا تسخر بمن هو دونك. و لا تطع السفهاء، و لا تتكلن على كفايه أحد. وقف عند كل أمر حتى تعرف مدخله من مخرجه قبل أن تقع فيه فتندم. و اجعل نفسك عدوا تجاهده و عاريه تردها، فانك قد جعلت طبيب نفسك و عرفت آيه الصحة، و بين لك الداء و دلت على الدواء. و ان كانت لك يد عند انسان فلا تفسدها بكثرة

المنن و الذكر لها ولكن اتبعها بأفضل منها، فان ذلك أجمل بك في أخلاقك و أوجب للثواب في آخرتك، و عليك بالصمت تعد حلما جاهلا كنت أو عالما. فان الصمت زين لك عند العلماء و ستر لك عند الجهال. طوبى لمن جعل بصره في قلبه و لم يجعل بصره عينه. و لا- تنظروا في عيوب الناس كالأرباب و انظروا في عيوبكم كهيئة العبد. انما الناس رجالان مبتلى و معافى، فارحموا المبتلى و احمداوا الله على العافيه. يا ابن جندب: صل من قطعك و اعط من حرمك و أحسن الى من أساء اليك و سلم على من سبك و انصف من خصمك، و اعف عن ظلمك كما أنك تحب أن يعفى عنك. فاعتبر بعفو الله عنك، ألا ترى أن شمسهُ أشرقت على الأبرار و الفجار [صفحہ ۴۰] و أن مطره ينزل على الصالحين و الخاطئين؟. يا ابن جندب لا تتصدق على أعين الناس ليزكوك فانك ان فعلت ذلك فقد استوفيت أجرك ولكن اذا أعطيت يمينك فلا تطلع عليها شمالك فان الذى تتصدق له سرا يجزيك علانيه و ما ينبغي لأحد أن يطمع بعمل الفجار في منازل الأبرار. يا ابن جندب قال الله عزوجل في بعض ما أوحى انما أقبل الصلاه ممن يتواضع لعظمتى و يكف نفسه عن الشهوات من أجلى و يقطع نهاره بذكرى و لا يتعظم على خلقى و يطعم الجائع و يكسو العارى و يرحم المصاب و يؤدي الغريب، فذلك يشرق نوره مثل الشمس، أكلؤه بعزتي و استحفظه ملائكتى يدعوني فألبيه و يسألنى فأعطيه.

من وصيه له لجميل بن دراج

خياركم سمحاًؤكم و شراركم بخلاؤكم، و من صالح الأعمال البر بالاخوان و السعى في حوائجهم، و في ذلك مرغمه للشيطان و تزحزح

عن النيران، و دخول الجنان. يا جميل أخير بهذا الحديث غرر أصحابك. قال: جعلت فداك من غرر أصحابي؟. قال: هم البارون بالاخوان فى العسر و اليسر. ثم قال: أما ان صاحب الكثير يهون عليه ذلك و قد مدح الله عزوجل صاحب القليل، فقال: «و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة و من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» [٤٧].

من وصيه له الى المنصور العباسى

قال له المنصور: حدثنى عن نفسك بحديث اتعظ به و يكون لى زاجر صدق عن الموبقات. [صفحه ٤١] فقال عليه السلام: «عليك بالحلم فانه ركن العلم، و املك نفسك عند أسباب القدره، فانك ان تفعل ما تقدر عليه كنت كمن شفى غيظا، أو تداوى حقدًا، أو يحب أن يذكر بالصلوه، و اعلم بأنك ان عاقبت مستحقًا لم تكن غايه ما توصف به الا العدل و الحال التى توجب الشكر أفضل من الحال التى توجب الصبر». قال المنصور: و عظت فأحسنت، و قلت فأوجزت» [٤٨].

منتخب من وصيته لأبى جعفر محمد بن النعمان الأحول

يا ابن النعمان اياك و المرء فانه يحبط عملك و اياك و الجدال فانه يوبقك، و اياك و كثره الخصومات فانه تبعدك من الله. ان من كان قبلكم كانوا يتعلمون الصمت و أنتم تتعلمون الكلام. كان أحدهم اذا أراد التعبد يتعلم الصمت قبل ذلك بعشر سنين، فان كان يحسنه و يصبر عليه تعبد و الا قال: ما أنا لما أروم بأهل. انما ينجو من أطال الصمت عن الفحشاء و صبر فى دوله الباطل على الأذى اولئك النجباء الأصفياء الأولياء - حقا و هم المؤمنون، انما أبغضكم الى المترسبون المشاؤون بالنمائم الحسده لاخوانهم ليسوا منى و لا أنا منهم. ثم قال: والله لو قدم أحدكم ملء الأرض ذهبًا ثم حسد مؤمنا لكان ذلك الذهب مما يكوى به فى النار. يا ابن النعمان من سئل عن علم فقال: لا أدري فقد ناصف العلم، و المؤمن يحقد ما دام فى مجلسه فاذا قام ذهب عنه الحقد. يا ابن النعمان: اذا أردت أن يصفو لك و د أخيك فلا تمازحنه و لا تمارينه و لا تناهينيه و لا تشارنه، و لا تطلع صديقك من سرک و الا

على ما لو اطلع عليه عدوك لم يضررك، فان الصديق قد يكون عدوا يوما. يا ابن النعمان: لن يكون العبد مؤمنا حتى يكون فيه ثلاث سنن: سنه من الله و سنه من رسوله، و سنه من الامام. فأما السنه من الله عزوجل فهو أن يكون كتوما للأسرار يقول الله جل ذكره: [صفحہ ۴۲] «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا»، و أما التي من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فهي أن يدارى الناس و يعاملهم بالأخلاق الحنيفيه، و أما التي من الامام فالصبر فى البأساء و الضراء حتى يأتيه الله بالفرج. يا ابن النعمان: ليست البلاغہ بحده اللسان و لا- بكثره الهذيان ولكنها اصابه المعنى و قصد الحجه. يا ابن النعمان: من كظم غيظا فينا لا يقدر على امضائه كان معنا فى السنام الأعلى [۴۹] .

من وصيه له لعنوان البصرى

ذكر الشهيد الثانى فى منيه المريده نقلا- عن عنوان البصرى ان هذا الحديث من روايات أهل السنه. و قال: كنت أختلف الى مالك بن أنس فى طلب العلم فلما قدم جعفر بن محمد الصادق المدينه أحببت أن آخذ عنه. قال: دخلت عليه بعد اذن فسلمت و جلست. فسألنى عليه السلام: أبو من؟ قلت: أبو عبدالله قال: ثبت الله كنيتهك و وفقك لكل خير. فقلت فى نفسى: لو لم يكن من زيارته الا هذا الدعاء لكان كثيرا. ثم قال: ما سألتك؟ قلت: سألت الله أن يعطف على قلبك و يرزقنى من علمك و أرجو أن الله أجابنى فى الشريف ما سألته فقال: يا أبا عبدالله ليس العلم بكثره التعلم، انما هو نور يضعه الله فى قلب من يريد أن يهديه. فاذا أردت العلم فاطلب أولا فى نفسك حقيقه العبوديه

و اطلب العلم باستعماله و استفهم الله يفهمك، فقلت ما حقيقه العبوديه؟ قال: ثلاثه أشياء: أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكا لأن العبيد لا يكون لهم ملك بل يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله و لا يدبر العبد لنفسه تدييرا أو جملة اشتغاله فيما أمره الله به و نهاه عنه فإذا لم ير العبد فيما خوله الله ملكا هان عليه الانفاق فيما أمره الله، و اذا فوض تديير نفسه الى من يثق به هانت عليه مصائب الدنيا و اذا اشتغل فيما أمره الله به و نهاه عنه لا يتفرغ الى المراء و المباحاه مع [صفحة ٤٣] الناس، فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاث هانت عليه الدنيا و المسيس بالخلق، فلا يطلب الدنيا تفاخرا و تكاثرا، و لا يطلب عند الناس عزا و علوا، و لا يدع أيامه باطله. فهذه أول درجه المتقين. قال الله تعالى: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض و لا-فسادا، و العاقبه للمتقين» [٥٠] قلت يا أبا عبد الله أوصني قال عليه السلام: أوصيك بتسعه أشياء فانها وصيتي لمريد الطريق الى الله تعالى و الله أسأل أن يوفقك لاستعمالها، ثلاثه منها في رياضه النفس، و ثلاثه منها في العلم، و ثلاثه منها في الحلم. فاحفظها و اياك و التهاون بها. أما اللواتي في الرياضه: فاياك أن تأكل ما لا تشتهي فانه يورث الحمق و البله. و لا تأكل الا عند الجوع، فإذا أكلت فكل حلالا و سم الله تعالى، و اذكر حديث النبي صلى الله عليه و آله و سلم: ما ملأ آدمي و دعاء أشد شرا من بطنه. و أما اللواتي في

الحلم: فمن قال لك ان قلت واحده سمعت عشرا. لم تسمع واحده، و من شتمك فقل له ان كنت صادقا فيما تقوله فاسأل الله أن يغفر لي، و ان كنت كاذبا فاسأل الله أن يغفر لك. و من وعدك بالخيانة فعده بالنصيحه و الدعاء. و أما اللواتي في العلم: فاسأل العلماء ما جهلت و اياك أن تسألهم تعنتا و تجربه، و اياك أن تعدل بذلك شيئا، و خذ بالاحتياط في جميع أمورك ما تجد اليه سيلا. و اهرب من الفتيا فرارك من الأسد و الذئب. و لا تجعل رقبتك جسرا للناس. ثم قال له يا شريف. فقال: قل يا أبا عبدالله ثم قال له: قم يا أبا عبدالله فقد نصحت لك و لا تفسد على وردى فاني رجل ضنين بنفسى».

وصايا الجماعات

و من وصيه له الى أصحابه

«استنزولوا الرزق بالصدقه، و حصنوا المال بالزكاه، و ما عال من اقتصد، [صفحه ٤٤] و التدبير نصف المعيشه، و التودد نصف العقل، و قله العيال أحد اليسارين، و من أحزن والديه فقد عقهما و من ضرب يده على فخذه عند مصيبه فقد حبط أجره، و الصنيعه لا تكون صنيعه الا عند ذى حسب و دين، و الله تعالى ينزل الرزق على قدر المؤمنه، و منزل الصبر على قدر المصيبه و من أيقن بالخلف جاد بالعطيه، و من قدر معيسته رزقه الله، و من بذر معيسته حرمه الله» [٥١].

و من وصيه له الى بعض أصحابه

إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئا الا أعطاه، فليأس من الناس كلهم، و لا يكون له رجاء الا من عند الله عز ذكره فاذا علم الله عزوجل ذلك من قلبه لم يسأله شيئا الا أعطاه فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها، فان للقيامه خمسين موقفا، كل موقف مقداره ألف سنه، ثم تلا: «فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنه مما تعدون» [٥٢].

و من وصيه له الى بعض أصحابه كتبها اليه جوابا لكتابه

«أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله، فان الله قد ضمن لمن اتقاه أن يحوله عما يكره الى ما يحب، و يرزقه من حيث لا يحتسب، فايك أن تكون ممن يخاف على العباد من ذنوبهم، و يأمن العقوبه من ذنبه، فان الله عزوجل لا يخدع عن جنته، و لا ينال ما عنده الا بطاعته ان شاء الله» [٥٣].

و من وصيه له قبيل فراقه الحياه

روى عن أبى بصير قال: «دخلت على أم حميده أعزبها بأبى عبدالله عليه السلام، فبكت و بكيت لبكائها، ثم قالت: يا أبا محمد لو رأيت أبا عبدالله عند الموت لرأيت عجبا، فتح عينيه ثم قال: اجمعوا لى كل من بينى و بينه قرابه. فلم نترك [صفحه ٤٥] أحدا الا جمعناه، فنظر اليهم ثم قال: ان شفاعتنا لا تنال مستخفا بالصلاه [٥٤].

رسالته الى جماعه شيعته و أصحابه

قال عليه السلام: «أكثرُوا من الدعاء فإن الله يحب من عباده الذين يدعونهُ و قد وعد عباده المؤمنین الاستجابة والله مصير دعاء المؤمنین يوم القيامة لهم عملاً يزيدهم به في الجنة. و أكثرُوا ذكر الله ما استطعتم في كل ساعة من ساعات الليل و النهار فإن الله أمركم بكثره الذكر له، و الله ذاکر من ذكره من المؤمنین. و عليكم بالمحافظة على الصلوات و الصلاة الوسطى و قوموا لله قانتين كما أمر الله به المؤمنین في كتابه من قبلکم. و عليكم بحب المساکين المسلمین فإن من حقرهم و تكبر عليهم فقد زل عن دين الله، و الله له حاقر ماقت. اياکم و العظمه و الکبر فإن الکبر رداء الله فمن نازع الله رداءه قصمه الله و أذله يوم القيامة. اياکم أن يبغى بعضکم على بعض فإنها ليست من خصال الصالحين، فإنه من بغى صب الله بغيه على نفسه و صارت نصره الله لمن بغى عليه و من نصره الله غلب و أصاب الظفر من الله. اياکم أن يحسد بعضکم بعضاً فإن الکفر أصله الحسد. اياکم أن تشره نفوسکم الى شىء مما حرم الله عليكم فإنه من انتهک ما حرم الله عليه هاهنا في الدنيا حال الله بينه و بين الجنة و نعيمها و لذتها و کرامتها القائمه لأهل الجنة

دعوه الامام الاصلاحيه

العقيده و السياسه

اشاره

قال المفكرون الاجتماعيون: السياسه انعكاس للحركه الانسانيه، و الحركه الانسانيه تعبير عن فكر الانسان في كل ما يخوض في ميادين حياته، و فكر الانسان وليد عقيدته، فلا سياسه اذن بلا عقيده. و ساس السائس الجواد، عمل جاهدا في خدمته في المأكل و المشرب و بذل كل ما بوسعه من أجل راحته. و ساس الرجل القوم، اجتهد في تلبية مصالحهم ليعيشوا في راحه و طمأنينه و حريه و سعادته. و انطلاقا من هذا المعنى فالسياسه تصبح واحده من الانعكاسات الحركيه للانسان في العمران و العلوم و الاقتصاد و الآداب و الفنون و الاكتشافات و غيرها من المخترعات التي تشكل معا ذلك الكم المتلاحم و المتآلف الذي يستوعبه الدين فينظمه و يربط فيما بين جزئياته و كلياته و يشرع لها و ينظم وسائلها و يرسم مناهجها و يوضح أهدافها و غاياتها. و الاسلام انتهج السياسه لتكون تعبيراً جزئياً عن حياه الانسان في كل ميادينها الواسعه في العلوم و الفنون و الصناعه و الزراعه، و العدل و القضاء، و الاداره [صفحه ٤٨] و التنظيم و السلم و الأمن و شتى ألوان التعامل من جيرانها من الدول المجاوره و الأمم الأخرى البعيده. و الدين الاسلامي بما يتضمنه من عقيدته و عبادته و معاملته غايته الانسان بكل ما يحتاج من أنظمه و تنظيم و كل ما يحيط به من حركه انسانيه في مساراتها المختلفه و ميادينها المتعدده. و هو دين العلم و العقل، و الروح، يعمل على بناء الفرد الصالح و المجتمع الصالح، و هو دين العمل الصالح، و السير الفالح، و الواقع السليم، فهو ينظم علاقه المسلم بغيره من الناس في هذا العالم الواسع

بآفاقه المتعدده والمختلفه، من ذلك علاقه المسلم بأهل الكتاب، وعلاقه المسلم مع الخلائق عامه من حيوان و نبات و جماد، و عبر الأبعاد الزمنيه البعيده و القريبه فيما مضى، و ما هو آت الى يوم الحساب يوم يقوم جميع الناس لرب العالمين. و أول ما حث عليه هذا الدين القويم: العلم الذى ينور طريق الانسان الى سبل الخير و السعاده و الرشاد. جاء فى القرآن الكم «اقرا باسم ربك الذى خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ و ربك الأكرم. الذى علم بالقلم. علم الانسان ما لم يعلم» [٥٥]. و قوله عزوجل: «ن و القلم و ما يسطرون» [٥٦]. و قوله تعالى: «ان هذا القرآن يهدى للتى هو أقوم» [٥٧]. كان و ما زال و سيبقى نور البصائر يخرج الناس من الظلمات الى النور، من ظلمات الجهل و الطيش و الضلال الى العلم و الحلم و الرشاد. قال تعالى: «ليخرج الذين آمنوا و عملوا الصالحات من الظلمات الى النور» [٥٨] هذا و كانت من أوليات الدعوه الاسلاميه قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم للناس: [صفحه ٤٩] «العلم فريضه على كل مسلم و مسلمه». لقد جعله فريضه من الفرائض الواجبه على كل مسلم و مسلمه لأنه يعلم أن العلم يفتح آفاق المعرفة بكل ألوانها: الدينيه و الفلسفيه و العلميه و يذلل المصاعب التى تعوق سير الانسان فى حياته، و يكشف المجهول و يضىء له السبيل و ينقله الى مواقع جديده و حياه أرقى و أنقى و أبقى. قال بعض العرب عن شبه الجزيره العربيه أنها قاحله جرداء لا حياه فيها، لأنهم كانوا لا يعلمون ما فى باطنها من مخزون

غنى يتهافت اليه الناس من أقاصى البلاد ليتزودوا به و يستفيدوا منه. و لما تزودوا بالعلم عرفوا الحقيقه و علموا أن هذه البلاد العربيه هى أغنى بلاد العالم قاطبه. ان العلم الذى هدف اليه الاسلام: هو وضع حركه الحياه الانسانيه على الطريق الذين شرعه الله عزوجل لعباده ليكونوا خلفاء الله فى الأرض يعمروها و يسعدوا أهلها. قال تعالى: «و اذا قال ربك للملائكه انى جاعل فى الأرض خليفه» [٥٩] و قال سبحانه مخاطبا نبي الله داود عليه السلام: «يا داود انا جعلناك خليفه فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق» [٦٠] من هذا كله نجد العلم فى الاسلام بانيا للحياه، و الفكر فى الاسلام يربط بين فروع العلم بمختلف ألوانه و يدل طلابه على غاياته الشريفه و أهدافه الانسانيه النبيله. كما يعمق جزئياته المتعدده و يؤلف بين شعبه المتنوعه واضعا له دوره الوظيفى فى البناء الاجتماعى دافعا له فى دروب التقدم الانسانى و التطور الحضارى. ذلك أن العلوم الانسانيه و الاجتماعيه و العلميه و التاريخيه و الفلسفيه ما لم تحتل موقعها على الساحة الفكرية للانسان فانها سرعان ما تتحول الى أداء محدوده الوظائف و مقتصره على فئه من الناس قليله متخصصه. و أرقى ما توصل اليه الفكر فى الحياه، قدرته على رؤيه الحقائق العلميه بأبعادها المختلفه ماضيا و حاضرا و مستقبلا، على صعيد الفرد كما على صعيد [صفحه ٥٠] الجماعه فى اطار الأسره و فى اطار المجتمع و على الساحة الانسانيه و العوالم الأخرى المحيطه بالانسان. و الامام جعفر الصادق عليه السلام يرى أن الصراع السياسى الذى قسم الأممه الاسلاميه فى العصر الأموى و شتت شملها و عرقل مسيرتها الحضاريه التى رسم خططها الاسلام، قد اعتمد فيه

الحكام المتسلطون على سياسته تفرغ الأمم من العلم و عزل الناس عن الفكر و ادخالهم فى المجالات الضيقه ليفقدوا دورهم الشرعى و الاجتماعى و بالتالى يضعوهم على مسارات تنتهى بهم الى التناقض مع تطلعاتهم و تجعلهم يخسرون كل أمانهم التى يطمحون الى تحقيقها. فى تلك الحال المترديه انطلق الامام الصادق عليه السلام التى تأسيس مدرسه فكرية عظيمه فى مطلع القرن الهجرى الثانى ليجدد بها مدرسه جده رسول الله عليه السلام. كانت مدرسه بعيده الأثر و المقاصد رسمت للأمم الاسلاميه المنهج الشامل المتكامل الذى قال فيه الله عزوجل فى كتابه الكريم: «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام ديناً» [٦١]. انها المدرسه الاسلاميه منهجها القرآن و غايتها الانسان قامت على بناء حياه الانسان بناء عقائديا علميا سليما فهذبت روحه و غذت فكره و جعلته مترفعا عن كل النزاعات الفكرية و الصراعات السياسيه و العصبية القبليه و العنصريه و النظرات الفرديه الخاصه. [صفحه ٥١]

الانسان هو محور التغيير

اشاره

قال تعالى: «هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا منهم آياته و يذكىهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و ان كانوا من قبل لفى ضلال مبين» [٦٢] ظهرت فى العصور الأخيره مدارس فكرية متعدده حول التغيير الاجتماعى و تنوعت آراء العلماء فى هذا الحقل حيث تبنى كل صاحب مدرسه و أتباعه مبادئ اعتبروها أساس كل تغيير فى مسيره مجتمعاتهم، بينما اعتبروا المبادئ الأخرى ثانويه لا قيمه لها فى نظرهم أو تابعه لهم. فالمدرسه الفرديه تبنى عامل الغريزه الجنسيه، و المدرسه الجغرافيه تبنى عامل تأثير البيئه الطبيعيه، و المدرسه التاريخيه الماديه تبنى العامل الاقتصادى و اعتبرته العامل الأساسى فى حركه التاريخ و مسيره البشريه [٦٣]، و

مدرسه موندل تبنت عامل الوراثة أساسا لها فى النبات و الحىوان و الانسان و بقراءه سرىعه للفكر الفلسفى فى التاريخ نجده يتمحور حول ثلاث أفكار أساسيه هى المثاليه و الماديه و الواقعيه. فالمثاليه سارت فى اتجاهين: الأول: سوفسطائى يتبع محاوره الوجدان. و الثانى: عقلى يتبع أصاله الفكر. [صفحہ ٥٢] و الماديه تنكرت وجود غير الماده و كل ما يتعرف اليه الحس تقر بوجوده. أما الواقعيه فتقول ان العلم بمجالاته العقليه و التجريبيه يعيش مع فكره الآلهه فالتجربه تجر الانسان الى مشكله النشأه الأولى أى الى الآلهه. و قد نشأت المدارس الفلسفيه فى العالم تدور جميعها فى فلك هذه الأصول الثلاثه التى أعطت بنتيجه تفاعلها حضارات عديده و متنوعه و مختلفه. زعم أصحاب هذه المدارس أنهم اكتشفوا سر الحركه الاجتماعيه و ظنوا أن مناهج مدارسهم قد استوعبت مسيره المجتمع بكل أطرافها. و الحقيقه وجدنا هذه المدارس قد باءت جميعها بالفشل لأنها كرسى كل جهودها على الظواهر الماديه الخارجيه عن حاجات الانسان المعنويه و الروحيه، و ألغت دوره الرائد الذى بمقدوره أن يتمرد على كل هذه العوامل المعوقه و يستطيع الانفلات من كل المعادلات الماديه التى تحاول أن تحدد سلوكه و تغير أخلاقه. فزعماء الماركسيه تراجعوا عن نظرياتهم فى تفسير التاريخ تفسيرا اقتصاديا. يؤكد هذه الحقيقه خاصه و ان الماركسيه هى آخر المدارس التى فسرت التغيير الاجتماعى بالعامل الواحد و أكثرها ذيوعا و انتشارا. بعد هذا الفشل نستطيع القول أن النظرية القرآنيه قد جعلت من الانسان محورا مباركا لكل تغيير اجتماعى، لكننا لا نعنى اهمال العوامل الأخرى، لأن الانسان بإمكانه أن يتخذ دوره الرائد و الموجه، كما بإمكانه أيضا أن يضع شخصيته المميزه و الرائده و

المستقله ازاء العوامل الأخرى؛ و عند ذلك يصبح عرضه للعوامل الخارجيه التي تتقاذفه باتجاهها. و بالتالى يبقى الانسان بسموه و انحطاطه هو المحور لكل تغيير فى مسيره المجتمع و التاريخ. قال تعالى: «ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» [٦٤]. و هنا يبدأ التاريخ فى تقدم الحضاره على يد الانسان الذى بمجهوده و معرفته يستطيع تقديم أو تأخير حركه التاريخ. [صفحه ٥٣] يرى العالم الاجتماعى «أوجست كونت» منشىء علم الاجتماع ١٧٩٨ م - ١٨٥٨ م الذى وضع قانونا للتطور الانسانى: «الحضاره الانسانيه لا يتم سيرها وفقا لخط مستقيم، و انما وفقا لمجموعه من التآرجحات المتباينه و غير المتساويه، و عن طريق المعرفه الحقيقه لمركز هذه الحركه يمكننا تنظيم هذا التآرجح الطبيعى مقدا كما يمكننا العمل على التقليل من تلك التآرجحات و من هذا التردد. و الأفراد فى نظر كونت لديهم القدره على تقديم أو تأخير حركه التاريخ» [٦٥]. و قد تبين لنا أن المدارس التى تؤمن أن الانسان محور التغيير الاجتماعى تؤمن أيضا أن الكائن البشرى يمتلك القدره على التجاوز نحو الأفضل و ضبط الشهوات و السيطرة على العوامل الخارجيه. هذه القدرات هى كامنه فى ذات هذا الكائن بشكل طاقات داخلية تحتاج الى برنامج تربوى لتفجيرها لتفجيرها خيرا نافعا، و اخراجها من مرحله الفعل الى مرحله القوه. و مما يبدو أن المنهج التربوى فى هذه المدارس الحديثه اتخذ مسارين مختلفين. فبعضها اقتنع بتربيته الانسان بمعزل عن المجتمع تماما. و بعضها الآخر آمن بتربيته الانسان فى خضم الأحداث و الوقائع الاجتماعيه. فما هو موقف الاسلام التربوى تجاه الكائن البشرى؟ اتخذ الاسلام منهجه التربوى منسجما مع خط الحياه ليتربى الانسان من

خلال ممارساته الحيويه و الاجتماعيه و الاقتصاديه و النفسيه، و هذا يتضح من خلال اقتران الايمان بالعمل الصالح فى آيات كريمات من القرآن الكريم، كما يتضح من خلال الجانب الأخلاقى و التربوى فى الاقتصاد الإسلامى. يهدف الإسلام فى جل أهدافه الى صيانه الفرد و المجتمع فى آن معا. فلا افراط و لا تفريط فى كل الممارسات و على جميع الأصعدة، من هنا نراه يدفع [صفحه ٥٤] الانسان نحو الاكتشاف و نحو تفجير كنوز الأرض المخبوءه. قال تعالى: «هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها و كلوا من رزقه و اليه النشور» [٦٦]. و الى جانب ذلك يحرره من الانشداد البهيمى ليعرف واجباته و حقوقه، و ينهاه عن ممارسه أى لون من ألوان العدوان. قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم، و لا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين» [٦٧]. و قال تعالى: «و ما أوتيتم من شىء فمتاع الحياه الدنيا و زينتها و ما عند الله خير و أبقى أفلا تعقلون» [٦٨]. و قال تعالى أيضا: «و ابتغ فيما آتاك الله الدار الآخره و لا تنس نصيبك من الدنيا و أحسن كما أحسن الله اليك و لا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين» [٦٩]. هذا التوازن اللطيف العادل بين التحرك على ساحه الحياه و التحرر من التعلق البهيمى بالأرض و المتاع مشهود اليوم بوضوح على خط المقاومه الإسلاميه فى جنوب لبنان و فى البقاع الغربى و هو بلا ريب دفاع مشروع عن الإسلام و الكرامه الانسانيه، و هو بالتالى امتداد لخط النبوه و الامامه فى الإسلام. فالله سبحانه و تعالى

أراد للمسلمين العزه و الكرامه ورد الاعتداء قال تعالى: «ولله العزه و لرسوله و للمؤمنين و لكن المنافقين لا يعلمون» [٧٠] . لقد جعل تعالى المؤمنين فى الدرجه العليا بعد رسوله صلى الله عليه و آله و سلم. فعلى الانسان الذى كرمه الله أن يحافظ على هذه العزه بكل ما لديه. و اليوم الجميع يعلم أن ظاهره الاتجاه نحو التهجد و التنفل و احياء مجالس الذكر و تلاوه الادعيه قد ازدادت [صفحہ ٥٥] و انتشرت كازدياد المد الثورى العارم الذى حطم عروشا كبيره و بدأ يهز عروشا أخرى، و هكذا ظاهره تحول مبارك، تحول خنادق المجاهدين المسلمين الى محاريب للعباده يقيم فيها المقاتل صلواته و نوافله و ادعيته، و يحافظ على وضوئه بماء قارورته منتظرا ساعه اسباغ الوضوء بدم الشهاده. هذا التحول العظيم هو وليد الايمان العظيم تمثل فى الاندفاع نحو ساحات الهدم و البناء من أجل رفع كلمه الله و كسب رضاه. و هذا الاندفاع الغريب نحو الشهاده فى سبيل الفوز بالجنه و الانجذاب الكبير بالله، هو أعظم بكثير من التحول السياسى الكبير فى لبنان الجنوبى و البقاع الغربى، لأنه ينتهى بولاده الانسان الجديد... الانسان المؤهل لحمل أعباء الأمانه الكبرى، و مسؤوليه خلافه الله على الأرض. قال تعالى: «و اذا قال ربك للملائكه انى جعل فى الأرض خليفه...» [٧١] اذا راقبنا مسيره الصحوه الاسلاميه فى العالم العربى علمنا أن هذا الاتجاه التربوى الاسلامى ينطلق بالدرجه الأولى من توجيهات رجال الدين القاده حفظهم الله تعالى و ثبت خطاهم لما فيه خير الأمه، فهم يؤكدون على التوجه الى الله تعالى و احياء المساجد و مجالس الذكر. و كل غاياتهم نشر الاسلام من أجل تطبيق أحكامه

العادله. فأوصوا بتطبيق شعائر الاسلام و أولها: «الصلاه» فهى عمود الدين، فان تركت ترك ما سواها و ان قبلت قبل ما سواها. تصفى النفس بو تسمو بها الى أسمى الدرجات و منها ينطلق كل الخير و العطاء المبارك. يلفتنى فى هذا المجال ما جرى: ظهر يوم عاشوراء حين حمى و طيس الحرب و اشتد القتال، قال أحد أصحاب الامام عليه السلام سيد الشهداء، قد حان وقت الصلاه أجا به الامام عليه السلام ذكرتنا بالصلاه، جعلك الله من المصلين، و وقف فى ذلك الموقف و أدى الصلاه و قال: من أجلها نريد أن نحارب. و لا غرابه! فالامام الحسين هو ابن الامام على بن أبى طالب عليه السلام. سئل أمير المؤمنين، عن مسأله دينيه و هو يخوض غمار الحرب، وقف و أجا ب و لم [صفحه ٥٦] يتوان عن الاجابه بسبب الحرب و قد أكد عليه السلام أنه يحارب من أجل ذلك، أى من أجل توعيه الأفراد و بالتالى الجماعه. لم تكن الحرب هدفا فى الاسلام بل انها وسيله لازاله العوائق التى تقف فى طريق الأمه، لازاله أولئك الذين يصدون عن سبيل الله و يقفون حجر عثره بوجه تقدم المسلمين. ان الهدف الرئيسى هو أن يطبق المسلمون الاسلام، و به يولد «الانسان»، الانسان العاقل و العادل و المسالم و السعيد فى الدنيا و الآخره. و الصلاه الحقيقيه مصنع كريم لخلق انسان عظيم لأنها تنهى عن الفحشاء و المنكر. لذلك ركز القرآن الكريم فى آيات كريمات على اقامه الصلاه نذكر منها [٧٢] . و نحن اليوم نعيش فى مرحله دقيقه و هامه، نحقق انتصاراتنا بذكر الله و باسم الله. و الصلاه هى أعظم ذكر الله. نبدأ بها بالنشيد الآلهى: «الله اكبر» الذى يقوى قلوب المجاهدين

و يدب الخوف و الهلع فى قلوب المعتدين. فعلىنا ألا نتهاون بالصلاه أبدا لقد بات الأعداء يخافون من المساجد لأن بها تجمع المؤمنين و منها ينطلق نور الوعى الروحى و النفسى و الاجتماعى، فعلىنا أن نبقىها عامره، لأنها متاريس الدفاع، و لا بد من ملء هذه المتاريس التى تكبر و تزيد يوما بعد يوم بالمؤمنين المجاهدين الحسينيين. و المحاريب اسم لمنطلق الحروب. فعلى المسلمين المحافظه على هذه الحصون و صيانتها و الاهتمام بها لأن الشياطين و المعتدين يهايونها و يحسبون لها ألف حساب. و بعد هذا لا-خوف من «فانتوم» أمريكا و لا-من «ميغ» روسيا لكن الخوف كل الخوف من ذلك اليوم الذى ندير فيه ظهورنا للمساجد و للاسلام. فالمساجد أمكنه أصيله ينبغى أن تدار فيها الأمور و هى التى حققت النصر لشعبنا، انها مراكز حساسه ينبغى الاهتمام بها. و هنا لا بد لنا من وقفه عند العقيده و الايمان بالغيب. [صفحہ ۵۷] هذا الايمان هو أحد مقومات الذهنيه الاسلاميه، و هو اضافه الى كونه ايمانا بحقيقه موضوعيه واقعيه، يؤدى الى توسيع آفاق الفكر الانسانى و تحرير العقل من الاطار المادى الضيق و يدعو الانسان الى تطلعات بعيده و رقبه مستمره على أعماله و سلوكه و أحاسيسه. الايمان بالغيب عند المسلمين أقلق خواطر المفكرين الغربيين فالغزو الفكرى الأوروبى حمل، معه الى العالم الاسلامى، فيما حمل حربا شعواء على هذا الانشداد الغيبى و أشاع فى جميع الأوساط أن الذهنيه الغيبيه تعارض الذهنيه العلميه، و ان هذا يؤدى الى التقاعس و التهاون و التكاثر. ثم طرح مفاهيم مشوهه مغلوطة عن الغيب و الحساب و التفكير الغيبى. هذا التبشير الأوروبى المادى المدسوس أدى الى ابتعاد الانسان عن

مصدر قدرته فى أكثر البلدان العربيه، و بدأ كل فرد يفكر فى شؤونه و حل مشاكله من خلال المعادلات الماديه التى أوحاها اليه الغزاه أنفسهم. و بذلك شعر المسلم بالضعف و الهوان أمام الأفكار المدسوسه و بالتالى استسلم للمستعمرين. من هنا أكد رجال الدين القاده على ضروره فهم الامداد الغيبى من أجل اتخاذ المواقف الحاسمه الصحيحه تجاه أى تهديد خارجى على الوجود الاسلامى، كما ركزوا فى تعاليمهم التربويه على ضروره الانشداد بالغيب. و المثل المشرق الواضح: انتصار الثوره الاسلاميه فى ايران. و من أقوال الامام القائد الخمينى قدس الله سره: «هذا النصر الالهى الذى حققه شعبنا ليس له فى التاريخ مثل سوى صدر الاسلام، لقد ألقى الله الرعب فى قلوب أعدائنا. و هذا الرعب هو الذى حقق لنا النصر. و الله سبحانه ينصر جند الاسلام أحيانا بالرعب الذى يلقيه فى نفوس أعدائهم. و لم يكن غير الله وراء انتصار قضيه شعبنا، و هل من الممكن القيام بمثل هذا العمل عن طريق تبليغ الناس؟. لا يمكن السيطرة على سوق طهران حتى و لو بذلنا عشرين بسنه من الجهود، لكن جميع نقاط بلادنا أضحت خلال مده قصيره مندفعه نحو هدف واحد... [صفحه ٥٨] و هذا يبين أن يدا غيبيه كانت وراء ما حدث» [٧٣]. و من حديث له فى أعضاء مؤتمر أمريكا فى ايران لدراسه جرائمهما قال: «اننا نتكل على الله و نؤمن أن لهذا الكون مدبرا، ان الذين لم ينتبهوا الى هذه الحقيقه سينتبهون الآن، اذ كيف استطاع شعب أعزل بصرخات «الله أكبر» لا غير، التغلب على أعتى قوه شيطانيه تسندها القوى الكبرى و الصغرى... و كيف استطاع هذا الشعب الضعيف الأعزل من السلاح

أن ينتصر على جميع هذه القوى؟. ألم يكن سر انتصار هذا الشعب هو الرعب الذى ألقاه الله فى قلوب هؤلاء الطغاه؟! أليس ذلك هو ذات ما حدث فى صدر الاسلام حيث انتصرت فئه قليلة على فئه كثيره؟! ألم يحن الوقت للذين لم يهتموا بالمعنويات، ولم يؤمنوا بالغيب أن يستيقظوا من غفوتهم؟! من أسقط الطائرات العموديه (لكارتر) التى استهدفت الاعتداء على ايران؟ هل نحن أسقطناها!. ان الرمال جنود الله و كذلك الرياح هى جنود الله، وقد أبادت الرياح قوم عاد، ان الرياح و الرمال جنود الله... و ليجربوا» [٧٤]. ان المدرسه الاسلاميه مدرسه توحيديه و هى تختلف اختلافا بينا عن المدارس الفكرية الالحاديه المنحرفه؛ فرجال مدرسه التوحيد يعتبرون الشهاده فوزا عظيما لهم و يستبشرون بالشهاده فى سبيل الله، لأنهم يؤمنون بعالم ما وراء عالم الطبيعه، عالم أسمى و أرقى و أنقى و أبقى من هذا العالم الزائل عما قريب أو بعيد. الانسان المسلم المؤمن يرى فى شهادته تحررا من كل القيود التى تكبله فى هذا العالم. و الأمثله على ذلك كثيره فى ايران و فى باكستان و فى جنوب لبنان و فى [صفحه ٥٩] الجزائر و فى السودان و فى مصر و فى السعوديه... هذه الصحوه الاسلاميه حدثت و استمرت بفعل الايمان بالغيب. و هذه الأصوات المرتفعه التى نسمعها و نباركها هى صوت الله، انها قدرهاالله، و هذه الانتصارات تحققت بقوهالله.

اقتران العلم بالأخلاق

ان انفصال العلم عن الأخلاق جر على العالم كل ما عاناه و يعانیه خلال العصر الأخير من وسائل الدمار المتطوره و وسائل الاباده الجماعيه عن طريق القنابل الذريه و الهيدروجينيه و النيوترونيه المعقده التى تمارسها اسرائيل المجرمه المعتديه. هذا الانفصال

بين العلم و الأخلاق هو الذى أدى من جهه أخرى الى ظهور (علماء) يخدمون الظلمه و الطواغيت، و يسندون حكمهم الجائر بفتاوى مختلفه و بدع عجيبه ما أنزل الله بها من سلطان. ثم يبررون ما اقترفوه من جرائم و آثام بتبريرات واهيه مرفوضه. فى ايران، قبل انتصار الثورة الاسلاميه كانت الجامعات مركزا لتجمع «المثقفين» و «التقدميين» البعيدين عن الأمه و عن أهدافها و آمالها. و كانت الحوزه العلميه - مركزا للدراسات الاسلاميه الحره - تخرج علماء يؤيدون الانحراف و يسندون الطواغوت و يتكلمون بلسانه. و هذا الانحراف فى الجامعه و الحوزه يعود فى جوهره الى سبب واحد و هو عدم اقتران العلم فيهما بالتربيه الأخلاقيه. يؤكد علماؤنا الأفاضل فى أحاديثهم و خطبهم على ضروره هذا الاقتران و يركزون على خطوره المراكز التعليميه و الأخطار التى يمكن أن تنجم عن هذه المراكز و ان لم تقم على قاعده تربويه صحيحه. و عما قريب عمد آيها الله السيد محمد حسين فضل الله و الشيخ محمد مهدي شمس الدين و السيد محمد حسن الأمين و السيد محمد صفى الدين و الشيخ عبدالأمير قبلا و غيرهم من العلماء الأجلاء الى توعيه الناس للانشداد بالأخلاق [صفحه ٦٠] الاسلاميه النبيله و البعد عن هذا الانفلات الأخلاقى الذى عم فى الاذاعات و التلفزيونات و الدعايات... و جميع وسائل الاعلام. ان البعد عن الخط الاسلامى و تقليد المجتمع الغربى المادى هو الذى سبب هذا الانحراف الأخلاقى. فعلىنا دوما أن نعمل من أجل اعداد جيل اسلامى عاقل و عامل يتمتع بالأخلاق النبيله و يبتعد عن كل رذيله. فى جامعاتنا و فى مدارسنا و فى تربيه أطفالنا نظهرها من آثار العصر الجاهلى و الانحرافات الفكرية

و نتائج الجاهليه الحديثه فى عصرنا الحاضر. وكلنا أمل أن يتم هذا التغيير الكبير و تزول المخاوف و التخوفات التى يحملها رجال الدين تجاه الجامعيين. و بذلك نعمل على حل المشاكل و ندفع عجله الثوره الحضاريه الاسلاميه نحو الانتصار. [صفحه ٤١]

بين دعوه الامام الاصلاحيه و دوله المنصور العباسيه

اشاره

كانت دعوه الامام الصادق عليه السلام الاصلاحيه فى عصر سادت فيه موجه عاتيه من الفتن و الاضطرابات، و اختلف الناس فيما بينهم، فتكالبوا على حب الذات و الجاه و الظفر، و تطاحنوا على الغلبه و التفوق، و عصفت الآراء و انطلقت الأفكار و ظهرت الفرق التى تلبس ثوب الاسلام، ولكنها تتنكر لمبادئه و تتجافى عن تعاليمه، هذه الفرق كانت أشد ضررا على الاسلام من سائر الملل و الديانات الأخرى، و كان أعظمها عليه أولئك المندسين فى صفوف المسلمين (الطابور الخامس) و فيهم من يدعى حب أهل البيت، و الانتماء اليهم ولكنهم فى الواقع هم خصوم لهم و أعداء لدعوتهم، يتجسسون عليهم و يدسون السموم فى صفوف أنصارهم. لذلك كان اهتمام الامام الصادق عليه السلام بأمرهم عظيما، و موقفه تجاههم حاسما فحاربهم حربا ضروسا حتى محا صفحتهم. لكن خصوم الشيعه المغرضين اتخذوا ذلك وسيله للتحامل عليهم و الوقيعه بهم، و للأسف ان كثيرا من ذوى الثقافه تأثروا بتلك الدعايه حتى وقعوا فى اثم الاتهام الكاذب و تلبسوا بجرائم فادحه. فى هذا الجو المشحون بالبدع و الخرافات و الفتن و المشاحنات نهض الامام الصادق عليه السلام يدعو الى الاصلاح بين الناس و التمسك بتعاليم الدين الحنيف، و تطبيق المبادئ الاسلاميه فى الحياه الفرديه و الاجتماعيه و الاقتصاديه و العلميه، و نبذ الآراء المدسوسه و البعد عن الهوى، والانقسام فى الدين، لتكون وحده اسلاميه صحيحه تجمع وحده المسلمين تحت

رايه القرآن الكريم، و تعاليم الرسول [صفحه ٦٢] البناء؛ و لتحصيل الأخوه العامه، و المساواه التامه، و التضامن الاجتماعى و ما يقوم عليه من تعاون و تعاطف و تراحم و عدل و احسان، و صبر و بر، و صدق و خير. لقد وضع الدين الاسلامى هذا المبادئ الانسانيه و القواعد الأساسيه لتحصل الروابط الاجتماعيه المتينه، و تتوثق بين المسلمين الالفه و المحبه و يسود الأمن و الاستقرار و السعاده. و بهذا يكون الدين الاسلامى قد سبق جميع الأمم الى هذا النظام الانسانى العادل و الدائم. فى هذا الجو الملبد بغيوم القلق و الفتن اعتزل الامام الصادق عليه السلام السياسه و نهج منهج التعليم، و هو الانسان العظيم الذى كانت تتجه اليه الأنظار و تنتظره العقول و القلوب، لما منحه الله تعالى من قوه العقل و حسن الادراك و الفقه فى الدين و طهاره النفس و فضل القربى و شرف المحتد. مما جعل مدرسته المدرسه المثلى التى يؤمها الطلاب من مختلف الأقطار على اختلاف نزعاتهم و تضارب آرائهم، فكان الصادق فى تعليمهم و المرشد لهم من الجهل و الضلال الى سواء السبيل. و حسينا دلالة على ذلك انتماء العلماء المبرزين لمدرسته من الذين أصبحوا رؤساء مذاهب كسفيان الثورى و مالك بن انس و ابن عيينه و أبى حنيفه، و أئمه الفرق، و كل منهم اعترف بفضله و أقر بعلمه. هذه الحقيقه لا يمكن انكارها الا من قبيل المغالطه و المكابره، و التهرب عن الحق. لقد سار الامام الصادق فى طريق الدعوه الاصلاحيه و لم يزوج نفسه فى المعترك السياسى العباسى الذى عظم خطره و كثرت فتنه. و لا ريب فى ذلك فهو الامام المعصوم، كان يرى أن الوقت غير

ملائم و الثمار لم يحن قطافها، فلم يكن له من العده و العدد ما يستطيع أن يخوض تلك المعركه السياسيه ففضل خوض المعركه العلميه عن طريق التوجيه و الاصلاح الاجتماعى، ليهذب النفوس المرضى من نزعات الشر و الفساد. فلزم الدعوه الصامته. كان أثر هذه الدعوه الاصلاحيه التى كان ينشدها الامام الصادق عليه السلام عظيما جدا على المنصور، قلم ترق له بل أقلقته حتى ظهر غضبه الذى مره يكتمه و أخرى يظهره؛ لأنه يعتبر اقبال الناس الشديد على الامام عليه السلام و اعتراف الناس [صفحه ٦٣] بفضله و علمه، و تألق مدرسته و انتشار دعوته الى الاصلاح الاجتماعى، كل ذلك يعتبره منهاج ثوره يستفحل خطرها و ليس بإمكانها اخماد نيرانها. لذلك بقى المنصور متخوفا من آل على بصوره عامه و من الامام الصادق بصوره خاصه الذى عبر عنه «بالشجى المعترض بحلقه» فأخذ يدبر المكائد و ينصب جبال الحيل و يقلب وجوه الرأى و يتحين الفرص المناسبه ليوقع الامام الصادق فى قبضته، فزور الكتب و أرسل اليه من يستميله الى الثوره. لكنه عليه السلام سرعان ما كشف القناع عن تلك الدسائس بسداد رأيه و صفاء تفكيره و علمه بما وراء الحوادث حتى أفضل المنصور بما افتعله من تهمة ليدين الامام عليه السلام فيأخذه بحجه الخروج على الدوله التى كان يدعى دائما أنها دوله شرعيه، و الخروج عليها خروج على سلطان الله. افتعل المنصور هذه الخطط مع زعماء معروفين من آل على حتى أحدث من جراء ذلك ثورات دمويه استطاع المنصور بواسطتها أن يقضى على البقيه من آل على، و يقتلهم بصوره بشعه، بعد أن أذاقهم أنواع التعذيب و ضروب التنكيل. و هذا ما كان يخشاه الامام الصادق عليه السلام عندما أمرهم

بالتريث و نصحهم بعدم الاستجابه للدعاه فى الثوره التى دبرها المنصور. و نقطه هامه لا بد من ذكرها و هى أن الدوله العباسيه نشأتها الأولى كانت تنتحل وراثه النبى صلى الله عليه و آله و سلم و أن العباسيين هم أولى الناس بأمر الأمه، و هم الذين يمثلون الخلافه الراشده، من العدل فى الحكم، و الاستقامه فى الأمر، و المحافظه على تطبيق الشريعه الاسلاميه و قد حاولوا أن يصبغوا دولتهم بصبغه الدين، و أن يظهروا أمام الناس بمظهر المحافظه على مبادئه، و أن سلطانهم هو سلطان الله و يحكمون بأمر الله، و يسرون على سيره الرسول و هداه، حتى أنهم منحوا أنفسهم ألقابا فضفاضه: الحماه عن الدين، و امامه المسلمين و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و أنهم بيت النبى ورثته. الى ما هنالك من ألقاب فارغه و ألفاظ باطله يحاولون من ورائها الاستثثار بالحكم، و عدم السماح لأى كان بالمطالبه بالحق أو رفع الصوت استنكارا لسوء السيره التى ساروا عليها فى حكمهم. فهم يريدون أن يبقى الناس جميعا مسخرين لارادتهم و أداه طبعه لهم، اذ يزعمون أن الله أوجب حقهم فى الحكم و أن سلطانهم هو سلطان الله، و أن الله أرسلهم لخير [صفحه ٦٤] الناس و خدمتهم و لا يعلمون الا لصالح الأمه الاسلاميه. فالخليفه عندهم ليس ملكا على دوله سياسيه فقط، بل هو ملك على دوله دينيه تحيط به رسوم دينيه و مظاهر دينيه، فهو فى نظرهم امام المسلمين، و خليفه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى قياده الأمه الاسلاميه قياده روحيه. و أن الله منحه منزله خاصه. فبينما كان الأمويون يتقلدون الصولجان و يلبسون الخاتم

رمزا للحكم، ترى العباسيين يتقلدون البرده، التي كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منحها لكعب بن زهير، عندما مدحه بقصيده (بانت سعاد) وكان الخليفة العباسي الأول هو أول من سن هذا التقليد ثم ورثها الخلفاء من بعده، فكانوا يلبسون هذه البرده في حفلات البيعه وغيرها، حتى في الحفلات الحربية وفي صلاة الجماعة. وقد أوعزوا إلى الشعراء المكتسبين أن ينسجوا شعرهم على هذا المنوال. فقالوا: إن نصرهم من عند الله ينصرهم بجنود غير منظوره وتعيينهم من الله وعملهم في سبيل الله. كما كلفوا علماء مأجورين يزورون الأحاديث النبويه لصالحهم حتى يظهروا للناس أنهم يعملون بسيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. وقد وصفهم هلال الصبايبي عند كلامه عن جلوس خلفائهم على كرسى الخلافة وما يلبسونه في المواكب الرسمية فقال: جرت العادة عند الخلفاء العباسيين جلوس الخليفة على كرسى مرتفع، ويكون لباسه السواد، ويجعل على رأسه عمامه سوداء ويتقلد سيف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويلبس خفا أحمر ويضع بين يديه مصحف عثمان، وعلى كتفيه برده النبي صلى الله عليه وآله وسلم [٧٥]. وبهذه المظاهر الخلافيه والصفات الفارغه استطاعوا التأثير على مشاعر الكثير من الناس البسطاء، فنظروا اليهم نظره التقديس والاعتقاد بأنهم ورثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم أحق بهذا الأمر. وهنا يعتبر كل من أنكر أعمالهم أو خرج عليهم خارجا على المسلمين ومتعد لحدود الله. وقد سرى هذا الاعتقاد في نفوس البسطاء السذج منذ نشأه الدوله العباسيه يحدثنا عن ذلك

الطبرى فيقول: [صفحه ٦٥] دخل و فد على أبى العباس السفاح يقدمهم غيلان بن عبدالله الخزاعى، فقال للسفاح: أشهد أنك أمير المؤمنين و أنك جبل الله المتين، و أنك امام المتقين. فقال السفاح: حاجتك يا غيلان. قال: أستغفرك. قال السفاح: غفر الله لك [٧٦]. و قد قام علماء الدوله المتكسيين الذين تمكن الضعف من نفوسهم و أخذ الطمع بزمام عقولهم، فى نشر تلك الدعوه الكاذبه، فحاكوا الأساطير و خلقوا الأحاديث، حتى استمر الاعتقاد يعمل عمله حتى أصبح من لا يؤمن بشرعيه السلطان العباسى زنديقا، و هذا ما نعبر عنه بالزندقه السياسيه التى و سم بها كثير من الناس الذين استنكروا على العباسيين سوء سيرتهم، و أدركوا على مرور الأيام زيف ما يدعونه من الحكم العادل المزييف، و أنهم ورثه النبى و أهل بيته. فأنكروا عليهم سلطانهم الالهى و أحقيتهم بالحكم. فاتهموا هؤلاء المنكرين بالزندقه و كان نصيبهم القتل لأنهم عارضوا سلطان الله و خليفه رسوله. و أنهم أبعد الناس عن الاسلام ففهى عهد السفاح سفكت دماء بريئه و هدمت قرى آمنه و استيحت حرمان و هتكت أعراض. و كان القواد يستعملون ماده الفناء و الاباده اتباعا لأمر الخليفه العباسى و هى: «من اتهمته فاقتله» [٧٧]. حتى قال فيهم أحد الشعراء: يا ليت جور بنى مروان دام لنا و ليت عدل بنى العباس فى النار

خديعه يحيى بن محمد العباسى شقيق السفاح

لما ولى ابن محمد العباسى على الموصل من قبل أخيه السفاح لم يظهر لأهله شيئا ينكرونه، و لم يعترضهم فيما يفعلونه، ثم دعاهم فقتل منهم اثنى عشر رجلا، فنفر أهل البلد و حملوا السلاح. و عندما وجد نفسه فى مأزق أعطاهم الأمان، و أمر فنودى: [صفحه ٦٦] من دخل الجامع فهو آمن،

فأتاه الناس يهرعون إليه، أقام الرجال على أبواب الجامع فقتلوا الناس قتلا ذريعا و أسرفوا فيه، فقيل أنه قتل عشرين ألفا ممن لهم خواتيم، فلما كان الليل سمع يحيى صراخ النساء اللاتي قتل رجالهن فسأل عن ذلك فأخبر به، فقال: اذا كان الغد فاقتلوا النساء والصبيان. ففعلوا ذلك و استباح الزوج نساء البلد، فلما فرغ يحيى من قتل أهل الموصل ركب في اليوم الرابع و بين يديه الحراب و السيوف المسلولة، فاعترضته امرأه و أخذت بعنان دابته فأراد أصحابه قتلها فنهاهم عن ذلك فقالت له: ألسنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؟ أما تأنف للعريبات المسلمات! فأمسك عن جوابها و سير معها من يبلغها مأمنها، فلما كان من الغد جمع الزوج للعطاء و كان عددهم أربعة آلاف فأمر بهم فقتلوا عن آخرهم [٧٨]. أما في عهد المنصور فقد كان أدهى و أمر، واجه الناس في عهده ألوانا من الظلم، مما لا عهد لهم به من قبل، كما صب جام غضبه على العلويين فانقم منهم انتقاما لم يشهد مثله التاريخ، طاردهم و ضيق عليهم و أذاقهم أنواع المحن و ضروب الأذى، فلم ينج من شره لا كبير و لا صغير، و لم يرحم صوت ثاكل و لا نياح الأيتام! و مع هذا الاحترام الفظيع، كان يسبغ على أعماله القداسه، و ينتحل السلطان الشرعى و أن ما يفعله باراده الله و اذنه (على مذهب الجبريه) و قد صرح بذلك على المنبر في مواطن عدده: جاء في بعض خطبه يوم عرفه: «أيها الناس انما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه و تسديده، و أنا خازنه على فيئه أعمل بمشيئته، و أعطيكم

بإذنه فقد جعلني الله عليه قفلا، اذا شاء أن يفتحني لأعطيأتاكم و قسم فيئكم فتحني، و اذا شاء أن يقفلني أقفلني، فارغبوا الى الله أيها الناس، و سلوه في هذا اليوم الشريف أن يوفقني للصواب و يسددني للرشاد، و يلهمني الرأفة فيكم، و الاحسان اليكم» [٧٩]

فأى صواب و أى رشاد، أو أيه رأفه و أى احسان! انه كلام الفجار الظالمين أمام الناس البسطاء المظلومين! و كما ترى فالمنصور، يحاول أن يوجه الناس الى الاعتقاد بشخصيته اعتقادا يجعلهم يؤمنون [صفحه ٦٧] بصحة أعماله، لأنها تصدر بمشيئه الله اذ جعله سبحانه واليا للأمر على المسلمين، حاكما للأمم الاسلاميه كل ذلك من أجل يركز عرشه الذي بات يضطرب فوق تيارات تائرات، و ثورات متلاحقه، لسوء سيرته التي لا تتناسب مع واقع ادعائه، و مع علمه بأن قلوب أكثر الناس مع أهل البيت كما أزعجه بصورة مباشره مدرسه الامام الصادق عليه السلام و انتشار ذكره و تجمع الجماهير حوله من علماء و أدباء و فقهاء و أعيان القوم. و قد افتعل أساليب كثيره من أجل خداع الناس البسطاء و المتكسبين من ذلك نراه يصغى لوعظ عمرو بن عبيد و يبكي أمامه من خشيه الله كأنه برىء و لم يرتكب أى جريمه. بلغه أن محمد بن عبدالله، النفس الزكيه، كتب الى عمرو بن عبيد - رئيس المعتزله - يستميله، فضايق المنصور بذلك ذرعا و أرسل الى عمرو بن عبيد، فلما وصل اليه أكرمه و شرفه، و قال: بلغني أن محمد بن عبدالله كتب اليك كتابا، قال عمرو: قد جاءني كتاب يشبه أن يكون كتابه، فقال المنصور، فيم أجبته؟. قال عمرو: لم أجبه الى ما أراد. ثم قال المنصور لعمرو:

عظنا يا أبا عثمان. فقال عمرو: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم «ألم تر كيف فعل ربك بعاد، ارم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد...» [٨٠]. فبكى المنصور بكاء شديدا كأنه لم يسمع تلك الآيات الا الساعة. ثم قال عمرو: اتق الله، فقد أعطاك الدنيا بأسرها فافتد نفسك ببعضها، و اعلم أن الأمر الذي صار اليك انما كان بيد غيرك ممن كان قبلك، ثم أفضى اليك. فعاد المنصور الى بكائه حتى كادت نفسه تفيض [٨١]. هكذا أظهر المنصور حيله، فبدأ أمام زعيم من زعماء الطوائف بمظهر [صفحة ٦٨] السلطان الخائف من الله، الباكي من خشيته، لتنتبج في ذهنه صورته حقيقته عن امام المسلمين، فيبلغها أصحابه حتى تبرد عزائمهم عن مؤاخذته، و انكار أعماله. و قد تنجح حيله المنصور في بعض الأحيان و عند بعض الناس، ذلك أن المعتزله أصحاب الرأي و العقل لم يخرجوا عليه و لم يستنكروا أعماله حتى مات عمرو بن عبيد. و في كل الأحوال، المنصور لم يهدأ خاطره فلم يزل يقلب وجوه الرأي و يدبر الحيل للتخلص من الامام الصادق. لأن مدرسته اكتسبت شهره علميه بعيده المدى فلم ترق له هذه الشهرة الواسعه. و لذلك حاول أن يحصر الفتوى بمالك بن أنس عندما رفع منزلته، و نادى مناديه (لا يفتى الا مالك) كما طلب منه أن يضع كتابا يكون مرجعا رسميا في الفقه، و لا يمكن الرجوع لغيره أو الأخذ عن أحد سواه. و لماذا خص مالكا دون غيره من علماء المدينة؟ ذلك لأنه يعلم بانحرافه عن آل علي، و أن نزعتة نزعه أمويه. و استمر المنصور في تقديم العلماء و بذل الجوائز السنويه لهم

ليسند عرشه الذى أصبح مهددا من خطر الدعوه لأهل البيت، و عدم الاعتراف له بأهليه الخلافه، لما صدر عنه من مخالفه أحكام الاسلام و ما اتصف به من العسف و الظلم و الجور. و الذى أثر فى نفسه تأثيرا عميقا كلمه الامام الصادق عندما سئل عن يصلح للخلافه فأجاب عليه السلام: ان الامامه لا تصلح الا لرجل فيه ثلاث خصال: «ورع يحجزه عن المحارم، و حلم يملك به غضبه، و حسن الخلافه على من ولى حتى يكون له كالوالد الرحيم». هذه الكلمه الموجزه البليغه كافيه لتجرد المنصور من أهليه الخلافه لعدم اتصافه بواحد منها. فالورع عنده كان جورا، و الحلم كان غضبا و اجراما، و حسن الخلافه كانت سوء خلافه حتى بات بدل الوالد الرحيم ذئبا كاسرا. كما أنه منع الناس من الترافع الى الحكام و وصفهم بأنهم حكام جور و أئمه [صفحه ٦٩] ضلالا، فحكمهم فى نظره غير نافذ، و طاعتهم غير واجبه و ان الركون اليهم ضياع للحق و معاونه على الظلم. و كان يؤنب أصحابه الذين يتعاونون مع رجال الدوله و ينهاتهم عن ذلك. فقال لعذافر: بلغنى أنك تعامل أبأيوب و الربيع، فما بالك اذا نودى بك فى أعوان الظلمه [٨٢]. و نهاتهم عن العمل حتى فى بناء المساجد و كرايه الأنهر، و عندما سئل عن ذلك أجاب بقوله: ما أحب أن أعقد لهم عقده، أو وكيت لهم و كاء. و يقول النبى صلى الله عليه و آله و سلم: العامل بالظلم و المعين له و الراضى به شركاء. و يقول صلى الله عليه و آله و سلم أيضا: من أعان ظالما على مظلوم لم يزل الله عليه ساخطا حتى ينزل

عن معونته. و خلاصه القول أنه عظم على الدوله اختصاص مدرسه الامام الصادق بطابع الانفصال عنها فلم تهن عليها كل هذه الأمور التي تقف حاجزا في سبيل تحقيق أهدافها. و الذي كان يحز في نفوسهم أنهم لم يتمكنوا من التدخل في شؤون المدرسه، أو تكون لهم يد في توجيهها، و تطبيق نظامها. و معنى ذلك: عدم اعترافها بشرعيه الدوله الجائره التي لا يمكن الركون اليها. و ان تظاهر الحكام بالمحافظه على المبادئ الاسلاميه، فتلك أمور سياسيه لا أثر لها في نفس الواقع. و قد اشتد الصراع بين المدرسه الصادقيه و الدوله العباسيه على ممر الأيام، حتى أنها استعملت شتى الحيل و أنواع الأساليب لا خضاع تلك المدرسه لأوامر الدوله، و السير في ركابها، لكن كل هذه الأساليب لم تنجح و كل هذه الوسائل لم تنفع. و استمر الصراع و مدرسه الصادق عرضه لأخطار النقمه، و هدفا لسهام [صفحه ٧٠] الاتهام. و قد رمى المتمون اليها بالالحد و الزندقه و الخروج على سلطان الله. لكن الحق يعلو و لا- يعلو عليه، فالامام الصادق بقى على الذكر و مبادئ مدرسته ما زالت حيه يعتمدها الفقهاء المخلصون لله و الرسول. و المذهب الشيعي ازداد انتشارا و تألقا في الآفاق.

اخباره مع المنصور

حدث عبدالله بن الفضل بن الربيع عن أبيه قال: حج المنصور سنة ١٤٧ هـ فقدم المدينه و قال للربيع: ابعث الى جعفر بن محمد من يأتينا به متعبا قتلنى الله ان لم أقتله. فتغافل عنه الربيع لينسأه ثم أعاد ذكره للربيع و قال: ابعث من يأتينا به متعبا فتغافل عنه ثم أرسل الى الربيع رساله قبيحه أغلظ له فيها و أمره أن يبعث من يحضر جعفرا ففعل.

فلما أتاه قال له الربيع: يا أبا عبد الله اذكر الله فانه قد أرسل اليك بما لا دافع له غير الله. فقال جعفر: لا حول ولا قوة الا بالله، ثم ان الربيع أعلم المنصور بحضوره. فلما دخل جعفر عليه أوعده و أغلظ له و قال: اى عدو الله، اتخذك أهل العراق اماما يجبون اليك زكاه أموالهم و تلحد فى سلطانى و تبغيه الغوائل. قتلنى الله ان لم أقتلك. فقال له: يا أمير المؤمنين ان سليمان عليه السلام أعطى فشكر، و ان أيوب عليه السلام ابتلى فصبر، و ان يوسف عليه السلام ظلم فغفر. و أنت من ذلك السنخ، فلما سمع المنصور منه قال له: الى، و عندى أبا عبد الله أنت البرىء الساحة، السليم الناحيه، القليل الغائله، جزاك الله من ذى رحم أفضل ما جزى ذوى الأرحام عن أرحامهم، ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه. ثم قال: على بالطيب. فأتى بالغاليه فجعل يغلق لحيه جعفر بيده حتى تركها تقطر ثم قال: قم فى حفظ الله و كلاءته ثم قال يا ربيع: ألحق أبا عبد الله جائزته و كسوته. انصرف أبا عبد الله فى حفظه و كنفه فانصرف. قال الربيع: فلحقته فقلت له: انى قد رأيت قبلك ما لم تره و رأيت بعدك ما لا رأيت. فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت؟ قال جعفر قلت: [صفحه ٧١]

دعاء لدفع الظالم

اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام و اكفنى بركنك الذى لا يرام و اغفر لى بقدرتك على، و لا أهلك و أنت رجائى. اللهم أنت أكبر و أجل مما أخاف و أحذر. اللهم بك أدفع فى نحره و استعيذ بك من شره. و فى روايه: و اكفنى بكنفك الذى لا يرام و لا يضام [٨٣]

الحركة الإصلاحية الكبرى عند الامام الصادق

اشاره

الحمد لله رب العالمين الذى من علينا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم دون الأمم الماضيه والقرون السالفه، والصلاه والسلام على محمد، أمين الله على وحيه، ونجبه من خلقه، وصفيه من عباده، امام الرحمه، وقادر الخير و مفتاح البركه [۸۴] و على آله الطيبين الطاهرين «أزمه الحق، و أعلام الدين. و ألسنه الصدق» [۸۵] و «شجره النبوه، و محط الرساله، و مختلف الملائكه و معادن العلم، و ينابيع الحكم» [۸۶] اذا تابعتنا سيره حفيد النبى صلى الله عليه وآله وسلم الامام أبى عبدالله الصادق، ابن محمد الباقر عليه السلام تنكشف لنا خطه اصلاحيه اجتماعيه واسعه، غنيه فى مضمونها حيه فى أهدافها، غرضه فى أسلوبها، خطه اصلاحيه فريده، تحمل فى صفحاتها الناصعه تجربه الامام الصادق عليه السلام الناجحه و تتضمن بين جوانبها الخير العميم و العطاء الخصب تقدمه لأجيال المسلمين، أطروحه عمل اجتماعى و ثقافى و سياسى شامله كامله تغنى المسيره و تلهم السائرين و تهدى الصالحين العاملين بها. التقيت فى هذه الخطه التغييريه الاصلاحيه مع معالم راسخه لهذه التجربه الرائدة التى لا أستطيع الاحاطه بها بل سوف أعرض الجوانب العريضة البارزه لهذه الخطه المباركه. فما هى المعالم البارزه لهذه الحركة التغييريه الاصلاحيه الكبرى التى انتهجها الامام السادس جعفر بن محمد عليه السلام؟ حين نطلق مصطلح الحركة التغييريه عند [صفحه ۷۳] أى امام من أئمه أهل البيت عليهم أفضل الصلاه و أزكى السلام، فانما نعنى مجموعه الأعمال و الفعاليات التى باشرها الأئمه عليهم السلام باتجاه اصلاح مفاهيم الناس و تغيير أفكارهم و توجيه حركتهم فى ضوء قيم الاسلام العادله و مفاهيمه السليمه و أحكامه الانسانيه الصالحه. و

كان في مقدمه هذه العمليه الاصلاحيه التي باشرها الأئمه من أجل عباده الله الواحد الأحد الفرد الصمد، رب العالمين، تأتي الخطه في ضوء تعاليم الاسلام لاقامه الحدود و اشاعه المعروف و النهى عن المنكر و ارساء قواعد الدين الحق في اطار الظروف الاجتماعيه و السياسيه و الحياتيه التي يعيشها الناس في عصر أى امام من أئمه أهل البيت عليهم السلام. في ضوء هذه الحقائق فان الحركه الاصلاحيه من ناحيه المهام و الطموحات قد تتبدل من امام آخر تبعاً لطبيعته المراحل و الظروف التي يمر بها كل امام، حتى أن الامام الواحد قد يمارس مجموعه من النشاطات و البرامج تختلف من حيث التنفيذ حسب الظروف السياسيه المحيطه به و ما يستجد من أوضاع مختلفه تحيط بالامام عليه السلام. فالامام على بن أبى طالب عليه السلام قاتل القاسطين و الناكثين و المارقين بسيف قاطع لا يقبل المساومه مع الحق. و الامام الحسن عليه السلام آثر الصلح مع معاويه و الى الشام و الذى نصب نفسه خليفه المسلمين، و لم يرفع السيف للقتال لعدم توفر الظروف المناسبه لنجاح المهمه، و ليمنع هدر دماء المسلمين رخيصه في ظروف صعبه تمر بها الأئمه آنذاك. فقال عليه السلام: «انى خشيت أن يجتث المسلمون عن وجه الأرض، فأردت أن يكون للدين داع» [٨٧]. و يقول الامام عليه السلام لسفيان بن ياليل لما قال له: السلام عليك يا مذل المؤمنين، قال: ما أذلتهم، ولكن كرهت أن أفنيهم، و استأصل شأفتهم. [٨٨]. [صفحه ٧٤] و يقول عليه السلام لأبى سعيد لما سأله عن السبب الذى حمله على الصلح قال: و لولا ما أتيت، لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد الاقتل [٨٩] و الامام الحسين عليه السلام شهر سيف الحق

وجاهد فى سبيل الله لأنه لا- يريد أن يعطى يزيد المارق الفاجر الضليل اعطاء الذليل و لا يقر اقرار العبيد. فرض عليه القتال فجاهد من أجل رفع كلمه الحق، لتبقى كلمهالله هى العليا. و حفيده الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام رفع لواء المجامله واللين و فتح مدرسه لتعليم الناس و هدايتهم الى الطريق الاسلامى المستقيم و ارشادهم للعمل بكتاب الله العزيز و سنه النبى الكريم صلى الله عليه و آله و سلم لقد انتهج منهجا مرنا محكوما بظروف سياسيه خاصه. و هذه رساله خاصه وجهها عليه السلام الى شيعته و أصحابه يقول فيها: «أما بعد، فسلوا ربكم العافيه، و عليكم بالدعه [٩٠] و الوقار، و السكينه و الحياء، و التنزه عما تنزه عنه الصالحون منكم، و عليكم بمجامله أهل الباطل، تحملوا الضيم منهم، و اياكم و مماظتهم [٩١] دينوا فيما بينكم و بينهم، اذا أنتم جالستموهم و خالطتموهم و ناعتموهم الكلام فانه لا بد لكم من مجالستهم و مخالطتهم و منازعتهم بالتقيه التى أمركم الله بها فاذا ابتليتكم بذلك منهم فانهم سيؤذونكم و يعرفون فى وجوهكم المنكر، و لولا ان الله يدفعهم عنكم لسطوا بكم، و ما فى صدورهم من العداوه و البغضاء، أكثر مما يبدون لكم، مجالسكم و مجالسهم واحده» [٩٢].

صيانته الخط الاسلامى أمر واجب و قيمه أساسيه

ان صيانته خط الرساله السماويه و الخاتمه أمر شرعى واجب يحرض أئمه أهل البيت عليهم السلام كل الحرص على التمسك به مهما قست الظروف فبذلوا مهجهم الطاهره و نفوسهم الزكيه و أنفقوا كل غال و نفيس من أجل صيانته هذه الرساله الحقه [صفحه ٧٥] لأنهم «شجره النبوه، و بيت الرحمه و مفاتيح الحكمه، و معدن العلم، و موضع الرساله و

مختلف الملائكة و موضع سر الله» [٩٣] و من المواقف التاريخيه من أجل صيانه الرساله السماويه موقف أبى عبدالله السبط الثانى لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الحسين بن على عليه السلام يوم كربلاء عام ٦١ هـ، كان من أوضح المواقف الخالده فى تاريخ الاسلام؛ عندما خرج على الظلم و الظالمين طالبا الاصلاح فى أمه جده رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مع علمه و وثوقه بالمأساه التى تواجهه مع آل بيته الصالحين الطيبين. و قد أعلن الهدف من تحركه، كما أعلن من النتائج التى ستحصل فقال عليه السلام: «وانى لم أخرج أشرا و لا بطرا و لا مفسدا و لا ظالما، و انما خرجت لطلب الاصلاح فى أمه جدى صلى الله عليه و آله و سلم أريد أن آمر بالمعروف و أنهى عن المنكر و أسير بسيره جدى و أبى على بن أبى طالب، فمن قبلنى بقبول الحق فالله أولى الحق و من رد على هذا أصبر حتى يقضى الله بينى و بين القوم و هو خير الحاكمين» [٩٤]. و قد تذكر الامام محمد الباقر عليه السلام التضحيه السياسيه التى ضحى بها الامام الحسن عليه السلام حين أحس بالخطر على الاسلام اذا دخل فى صراع عسكرى مع معاويه بن أبى سفيان حاكم بلاد الشام فى عصره فقال عليه السلام: «والله للذى صنعه الحسن بن على عليه السلام كان خيرا لهذه الأمه مما طلعت عليه الشمس» [٩٥]. ان عمليه صيانه الخط كههدف أعلى عند أئمه أهل البيت عليهم السلام قد جسدها الامام جعفر الصادق عليه السلام فى مواقع عديده من حركته الاصلاحيه العظيمه، و لم يثنه عن ذلك تحقيق مكاسب سياسيه هامه كما كان يظن البعض. لقد

عرضت عليه الخلافة بعد سقوط الحكم الأموي، لكنه أبى أن يثنيه الوضع الاستثنائي عن الاستمرار في ارساء قواعد رساله الاسلاميه مقدرًا ضعف قواعد المؤمنين و عدم تمكنهم من النهوض بأعباء قياده دوله اسلاميه بكل متطلباتها الشرعيه و القانونيه. [صفحه ٧٦] و يتميز حرص الامام الصادق عليه السلام على تحقيق الأهداف العليا للحركه الاصلاحيه فى عده مواقف نذكر منها: - أقوال لا أفعال: روى سدير الصيرفى قال: «دخلت على أبى عبدالله فقلت له: و الله ما يسعك القعود قال: و لم يا سدير؟ قلت: لكثره مواليك و شيعتك و أنصارك، و الله لو كان لأمير المؤمنين مالك بن الشيعه و الأنصار و الموالى، ما طمع فيه تيم و لا عدى. فقال: يا سدير و كم عسى أن تكونوا؟ قلت: مائه ألف، قال: مائه ألف، قلت نعم، و مائتى ألف... فقلت: و مائتى ألف. قلت: نعم و نصف الدنيا قال: فسكت عنى ثم أجابه بأن الأنصار الذين يريدهم لا يتواجدون على الساحة.

رفض عرض تاريخى عرضه عليه مؤسس الدوله العباسيه

جاءه أبو مسلم المروزى الخراسانى مؤسس الدوله العباسيه و عرض عليه عرضا تاريخيا يدعوه فيه للخلافه و التصدى السياسى لقياده نتائج الثوره على الأمويين. و مما قاله: «انى دعوت الناس الى موالاه أهل البيت، فان رغبت فيه فأنا أبايعك، فأجابه الامام عليه السلام: «ما أنت من رجالى و لا الزمان زمانى» [٩٦]. ان هم الامام عليه السلام كسابقه من الأئمه عليهم السلام رعايه مصلحه الاسلام العليا بعيدا عن الاغراءات الماديه و وجاهه الحكم، و بريق الدنيا و ظواهرها.

اساليب الأئمه فى تدعيم العمليه الاصلاحيه

سلك أئمه أهل البيت عليهم السلام أساليب متفاوتة فى تدعيم العمليه الاصلاحيه و ذلك حسب الظروف التى تعيشها الأئمه من سياسيه و ثقافيه و نفسيه و اجتماعيه و ما إليها. [صفحه ٧٧] و اذا ما رصدنا تاريخهم عليهم السلام وجدنا صورا شتى لأعمال، كانوا قد سلكوها لمواصله الحركه الاصلاحيه فى الأئمه الاسلاميه مع ثبات الهدف و الاصرار على صيانه خط رساله الاسلاميه. و قد يتعذر عليهم نقل أفكارهم كما تلقوها عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم مباشرة لعدم توفر ظروف مناسبه، فيعتمدون قنوات أخرى يقرها العرف العام و الأوضاع السائده. فالامام محمد الباقر عليه السلام كان يروى كثيرا من المفاهيم التى يريد ابلاغها للأئمه عن طريق جابر بن عبدالله الأنصارى و عبدالله بن عباس و زيد بن أرقم و أبى ذر الغفارى... فهو يروى عن جابر قوله: «ان النبى صلى الله عليه و آله و سلم كان يختم بيمينه» [٩٧] و عن زيد بن أرقم قوله: «كنا جلوسا بين يدي النبى صلى الله عليه و آله و سلم فقال: ألا أدلكم من اذا استرشدتموه لن تضلوا و لن تهلكوا؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هذا. و أشار الى

على بن أبي طالب، ثم قال: و آخوه، و وازره، و صدقوه، و انصحوه، فان جبريل أخبرني بما قلت لكم» [٩٨]. و عن عمر بن الخطاب قوله: «سمعت النبي صلى الله عليه و آله و سلم يقول: كل سب و نسب ينقطع يوم القيامة الا سبى و نسبي» [٩٩]. و الامام الصادق عليه السلام قد انتهج المنهج ذاته الذى انتهجه أبو الامام الباقر عليه السلام فاستخدم القنوات المألوفه فى عصره. و عن جعفر بن محمد عن عبيدالله بن أبى رافع عن ابن مخرمه قال: رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. «انما فاطمه بضعه منى يقبضنى ما يقبضها و يبسطنى ما يبسطها» [١٠٠]. [صفحه ٧٨]

مراعاة ظروف الأمة

اهتم الأئمة المعصومون عليهم السلام بصيانته مبادئ الرسالة الاسلاميه التي اعتمدوا عليها فى تبليغ الأمة و توجيهها و تثقيفها وفق هذه المبادئ ء مراعين فى ذلك ظروفها النفسيه و الفكرية و السياسيه فعن يعقوب السراج قال: «سألنى أبو عبدالله عن رجل، فقال: انه لا يحتمل حديثا، فقلت: نعم، قال: فلا يغفل، فان الناس عندنا درجات منهم على درجه، و منهم على درجتين، و منهم على ثلاث، و منهم على أربع، حتى بلغ سبعا» [١٠١]. و قدم الامام الصادق مثلا- واقعيا عن أساليب العمل الخاطئه بقوله: و سأضرب لكم مثلا تعتبرون به: كان رجل مسلم و له جار كافر يرافقه دائما، فلم يزل يزين المؤمن للكافر الاسلام حتى أسلم، فغدا عليه المؤمن فاستخرجه من منزله و ذهب به الى المسجد ليصلى معه الفجر جماعه، فلما صلى قال له: لو قعدنا نذكر الله حتى تطلع الشمس، فقعد معه، فقال له: تعلمت القرآن الى أن تزول الشمس و صمت اليوم كان أفضل،

فقعد معه وصام حتى صلى الظهر و العصر، فقال له: لو صبرت حتى تصلى المغرب و العشاء الآخر كان أفضل، فقعد معه حتى صلى المغرب و العشاء الآخره ثم نهضا، و قد بلغ مجهوده، و حمل عليه ما لا يطيق، فلما كان من الغد غدا عليه و هو يريد مثل ما صنع بالأمس، فصدق عليه بابه، ثم قال له: أخرج حتى نذهب الى المسجد، فأجابه أن انصرف عنى فان هذا دين شديد لا أطيعه، فلا- تخرقوا بهم، أما علمت أن اماره بنى أميه كانت بالسيف و العسف و الجور، و ان امامتنا بالرفق و التألف و الوقار و التقية و حسن الخلطه و الورع و الاجتهاد، فرغبوا الناس فى دينكم و فى ما أنتم فيه» [١٠٢]. [صفحه ٧٩]

التقيه

اشاره

تبنى أئمه أهل البيت عليهم السلام التقية لتكون لهم جنة من الأعداء و هى تمثل أوضح الظواهر فى التمسك بخط رساله الاسلاميه رغم التغيير للأساليب و الوسائل المناسبه للظروف السياسيه و الاجتماعيه و الثقافيه المحيطه بالأمه. و التقية، كما يقول علماء اللغه مصطلح شرعى مستل من الوقايه فقد كانت وسيله ناجحه لاختفاء النبى صلى الله عليه و آله و سلم دعوته أول الأمر حتى دعاه الله تعالى الى أن ينذر فى دعوته عشيرته الأقربين. و التقية هى التى حملت النبى صلى الله عليه و آله و سلم على اخفاء هجرته الى المدينه المنوره. كما حملت المسلمين على عدم اظهار أمرهم فى أول المسيره الاسلاميه. و التقية اليوم و كل يوم هى التى تفرض على جميع المؤمنين العقلاء من البشر أن يخفوا كثيرا من مشاريعهم عن الطواغيت و الجهلاء، و الامام الصادق كان أكثر الأئمه ارساء لمفهوم

التقيه لخصوصيات عصره و تعقيداته السياسيه و الاجتماعيه و الثقافيه. فقال عليه السلام [١٠٣]: «التقيه ديني و دين آبائي، و لا دين لمن لا تقيه له، و ان المذيع لأمرنا كالجاحد به. رحم الله امرأ اجتر موده الناس الينا فحدثهم بما يعرفون، و ترك ما ينكرون. و ما قتل المعلى بن خنيس، الا- من جهه افشائه لحديثنا الصعب». فمفهوم التقيه ركن و ثيق يأوى اليه المستضعفون ليقبهم من عاديات الظلم و الظالمين، و طريق نجاه يسلكها المسلحون العاملون و قد نبه عليها القرآن الكريم «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين و من يفعل ذلك فليس من الله في شئ الا أن تتقوا منهم تقاه» [١٠٤].

خطط الامام الصادق في التغيير

اشاره

ان الحركه التغييريه الاصلاحيه التي قام بها الامام أبو عبدالله جعفر بن محمد [صفحه ٨٠] الصادق تتطلب دراسه واسعه و جهدا طويلا، و ليس بمقدور هذا البحث المتواضع الاحاطه بكافه خصوصياتها. و اننى سوف أحاول أن أقدم بين أيدي المؤمنين نماذج من هذه الخطط «الصادقه» في التغيير و نماذج أخرى من نشاطاته العلميه في هذا الميدان الذي كان و سيبقى منهجا اصلاحيا عظيما يحتذى. أ- من خططه و مشاريعه التي قدمها للمسيره الاسلاميه عبر الأجيال و من خلال الوصايا و المواعظ و التوجيهات، تصلح لتكون لكل المجموعات الاسلاميه عبر مراحل التاريخ المختلفه نستلهم منها الخير و ننهل من رحيقها الخصب و النماء.

خطه عمل يدعو شيعته للتمسك بضامينها

روى زيد الشحام قال أبو عبدالله عليه السلام: «اقرأ من ترى أنه يطعنك منكم و يأخذ بقولي السلام، و أوصيكم بتقوى الله عزوجل و الورع في دينكم، و الاجتهاد لله، و صدق الحديث، و أداء الأمانه، و طول السجود، و حسن الجوار، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه و آله و سلم. أدوا الأمانه الى من ائتمنكم عليها برا أو فاجرا، فان رسول الله كان يأمرهم بأداء الأمانه (الخيطة و المخيط) صلوا عشائركم، و اشهدوا جنائزهم و عودوا مرضاهم، و أدوا حقوقهم، فان الرجل منكم اذا ورع في دينه و صدق الحديث و أدى الأمانه و حسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفرى و يسرنى ذلك، و يدخل على منه السرور، و قيل: هذا أدب جعفر و اذا كان غير ذلك دخل على بلاؤه و عاره، و قيل هذا أدب جعفر فوالله لحدثنى أبى أن الرجل يكون فى القبيله من شيعه على عليه السلام فيكون زينها، أدامه للأمانه، و أقضاهم للحقوق، و أصدقهم للحديث،

اليه وصاياهم و ودائعهم، تسل العشيره عنه، و يقولون: «من مثل فلان انه اذانا للأمانه، و أصدقنا للحديث» [١٠٥]. [صفحه ٨١]

خطه ثانيه لتابعيه

يقول لتابعيه في هذا البرنامج الاصلاحى: «أما بعد فاسألوا الله ربكم العافيه، و عليكم بالدعه و الوقار و السكينه، و عليكم بالحياء و التنزه عما تنزه عنه الصالحون قبلكم، و اتقوا الله و كفوا ألسنتكم عما يكرهه الله مما نهاكم عنه الا من خير، و اياكم أن تذلقوا ألسنتكم بقول الزور و البهتان و الاثم و العدوان، فان ذلق الله فيما يكرهه الله و فيما ينهى عنه مراده للعبد عندالله و مقت من الله، و صم و بكم و عمى يورثه الله اياه يوم القيامه فتصيروا كما قال الله: «صم بكم عمى فهم لا يعقلون» [١٠٦] يعنى لا- ينطقون و لا يؤذن لهم فيعتدرون. و عليكم بالصمت الا فيما ينفعكم الله به من أمر آخرتكم و يؤجركم عليه، أكثروا من أن تدعوا الله، فان الله يحب من عباده المؤمنين أن يدعوه، و قد وعد عباده المؤمنين الاستجابه، والله مصير دعاء المؤمنين يوم القيامه عملا يزيدهم في الجنه، فأكثروا ذكر الله ما استطعتم فى كل ساعه من ساعات الليل و النهار، فان الله أمر بكثره الذكر له، و الله ذاكر من ذكره من المؤمنين، و اعلموا أن الله لم يذكره أحد من عباده المؤمنين الا ذكره بخير فاعطوا الله من أنفسكم الاجتهاد فى طاعته، فان الله لا يدرك شىء من الخير عنده الا- بطاعته و اجتناب محارمه التى حرم الله فى ظاهر القرآن و باطنه قال فى كتابه و قوله الحق: «وذروا ظاهر الاثم و باطنه» [١٠٧]. و اعلموا ان ما

أمر الله به أن تجتنبوه فقد حرمه. ولا تتبعوا أهواءكم و آراءكم فتضلوا فان أضل الناس عندالله من اتبع هواه و رأيه بغير هدى من الله، و أحسنوا الى أنفسكم ما استطعتم، فان أحسنتم احسنتم لأنفسكم و ان أسأتم فلها، و اعلموا أنه لن يؤمن عبد من عبده حتى يرضى عن الله فيما يصنع الله اليه و صنع به على ما أحب و كره، و لن يصنع بمن صبر و رضى عن الله الا ما هو أهله، و هو خير له مما أحب و كره. [صفحه ٨٢] و عليكم بالمحافظة على الصلوات و الصلاة الوسطى و قوما لله قانتين كما أمر الله به المؤمنين فى كتابه من قبلكم. و اياكم و العظمه و الكبر، فان الكبر رداء الله فمن نازع الله رداءه قصمه الله و أذله يوم القيامة، و اياكم أن يبغى بعضكم على بعض فانها ليست من خصال الصالحين، فان من بغى صير الله بغيه على نفسه و صارت نصرها لله لمن بغى عليه، و من نصره الله غلب، و أصاب الظفر من الله، و اياكم أن يحسد بعضكم بعضا، فان الكفر أصله الحسد، و اياكم أن تعينوا على مسلم مظلوم، فيدعو الله عليكم فيستجاب له فيكم، فان أبانا رسول الله كان يقول صلى الله عليه و آله و سلم: «ان دعوه المسلم المظلوم مستجاب» و ليعن بعضكم بعضا. فان أبانا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان يقول: ان معاونه المسلم خير و أعظم أجرا من صيام شهر و اعتكافه فى المسجد الحرام». و اعلموا أن الاسلام هو التسليم، و التسليم هو الاسلام، فمن سلم فقد أسلم و من لم يسلم

فلا-اسلام له، و من سره أن يبلغ الى نفسه فى الاحسان فليطع الله، فان من أطاع الله فقد أبغ الى نفسه فى الاحسان، و اياكم و معاصى الله أن ترتكبوها، فانه من انتهك معاصى الله فركبها فقد أبغ فى الاساءه الى نفسه، و ليس بين الاحسان و الاساءه منزله، فأهل الاحسان عند ربهم الجنة و لأهل الاساءه عند ربهم النار، فاعملوا لطاعه الله و اجتنبوا معاصيه» [١٠٨] و للامام الصادق عليه السلام نشاطات تغييريه طبقها عبر مشروع اصلاحى عام يهدف الى بناء الاسلام و ارساء قواعده من هذه النشاطات الهامه فى الاصلاح نذكر:

مصلحه الامه الاسلاميه و رعايه شؤونها

احتلت الأمه الاسلاميه فى خط الامام عليه السلام الاصلاحى موقعا هاما بعد مصلحه الاسلام كدين و رساله. و تتجلى هذه الأهميه فى محاور عده منها. [صفحه ٨٣] أ- محور الحرص على المسلمين كأمة. ب- محور الحرص على رفع غائله الظلم الذى يلحق بالمسلمين بسبب التطبيق المنحرف للتشريع الاسلامى. و للامام عليه السلام مصاديق عمل كثيره فى هذا المجال على كلا المستويين. - قال سعيد بن بيان: مر بنا المفضل بن عمر و أنا و ختن لى نتشاجر فى ميراث، فوقف علينا ساعه، ثم قال لنا: تعالوا الى المنزل، فأتيناه فأصلح بيننا بأربعمائه درهم فدفعها الينا من عنده، حتى اذا استوثق كل واحد منا صاحبه، قال المفضل: أما انها ليست من مالى، ولكن أبا عبدالله الصادق أمرنى اذا تنازع رجلان من أصحابنا أن أصلح بينهما و أفديهما من ماله، فهذا مال أبى عبدالله» [١٠٩]. - و عن طاهر بن عيسى، عن جعفر بن أحمد، عن أبى الخير، عن على بن الحسن عن العباس بن عامر، عن مفضل بن قيس بن رمانه قال: «دخلت

على أبي عبدالله عليه السلام فشكوت اليه بعض حالي و سألته الدعاء فقال: يا جاريه هاتى الكيس الذى وصلنا به أبو جعفر فجاءت بكيس فقال: هذا كيس فيه أربعمائه دينار، فاستعن به قال: قلت: والله جعلت فداك، ما أردت هذا، ولكن أردت الدعاء لى فقال لى: و لا أدع الدعاء، ولكن لا تخبر الناس بكل ما أنت فيه فتهون عليهم» [١١٠]. - و عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد، عن محمد بن اسماعيل، عن حنان بن شعيب قال: تكارينا لأبى عبدالله عليه السلام قوما يعملون فى بستان له و كان أجلمهم الى العصر فلما فرغوا قال لمعتب: اعطهم أجورهم قبل أن يخف عرقهم» [١١١]. - و عن ابن فضال، عن ابن بكير عن بعض أصحابه قال: [صفحه ٨٤] «كان أبو عبدالله ربما أطعمنا الفرانى و الأخبصه، ثم يطعم الخبز و الزيت فقييل له: لو دبرت أمرك حتى يعتدل فقال: انما تديير أمرنا من الله اذا وسع علينا وسعنا و اذا قتر قترنا» [١١٢]. - و عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد عن أبيه، عن على بن وهبان، عن عمه هارون بن عيسى قال: قال أبو عبدالله عليه السلام لمحمد ابنه: كم فضل معك من تلك النفقه؟ قال: أربعون دينارا قال: أخرج و تصدق بها قال: انه لم يبق معى غيرها قال: تصدق بها فان الله عزوجل يخلفها، أما علمت أن لكل شىء مفتاحا؟ و مفتاح الرزق الصدقه، فتصدق بها، ففعل فما لبث أبو عبدالله الا عشره حتى جاءه من موضع أربعه آلاف دينار، فقال: «يا بنى أعطينا الله أربعين دينارا فأعطانا الله أربعه آلاف دينار» [١١٣]. - و قال ابن بسطام: «كان جعفر

بن

محمد يطعم حتى لا يبقى لعياله شىء». و كان اذا صلى العشاء و ذهب من الليل شطره أخذ جرابا فيه خبز و لحم و دراهم فحمله على عنقه، ثم ذهب به الى أهل الحاجه من المدينه فقسمه فيهم و لا يعرفونه فلما مات فقدوا ذلك فعرفوه» [١١٤] . - و قال له رجل من أصحابه جعلت فداك بلغنى أنك تفعل فى عين زياد - اسم ضيعه - شيئا أحب أن أسمعك منك. فقال عليه السلام: «نعم، كنت أمر اذا أدركت الثمره أن يثلم فى حيطانها الثلم ليدخل الناس و يأكلوا، و كنت أمر أن يوضع عشر بنيات يقعد على كل بنيه عشره كلما أكل عشره جاء عشره كلما أكل عشره أخرى يلقى لكل منهم مد من الرطب، و كنت أمر لجيران الضيعه كلهم: الشيخ و العجوز و المريض و الصبى و المرأة، و من لا يقدر أن يجىء فيكال لكل انسان مد فاذا وفيت القوام و الوكلاء أجرتهم، و أحمل الباقي الى المدينه ففرقت فى أهل البيوتات و المستحقين على قدر استحقاقهم، و حصل لى [صفحه ١٨٥] بعد ذلك أربعمائه دينار، و كان غلتها أربعه آلاف دينار» [١١٥] .

التدرج فى عمليه التغيير

التدرج فى الدعوه للمبادىء و فى عمليه البناء و التغيير الاجتماعى ضروره تفرضها طبيعه مهمه تلك الدعوه، و ليس هى حاجه ظرفيه تستغنى عنها رساله اذا تغيرت تلك الظروف. و هذا الأمر يستدعى نقطتين هامتين. أ- الأولى: اعداد المخاطبين بالأفكار الجديده اعدادا نفسيا لتقبل تلك الأفكار قبل طرحها عليهم دفعه واحده. ب - نقل المخاطبين من قناعاتهم السابقه و تطور عقلياتهم فى رساله الجديده. فاذا تحقق هذان الهدفان للرساله صار بمقدور العمليه التغييريه

فى الناس أن تسير فى اتجاه الرساله. أما اذا أريد أن تجرى عمليه رفع الناس الى مستوى الرساله دون توفير الهدفين المذكورين فان القاء الفكره الكليه بتفاصيلها على الناس دون مراعاة الظروف النفسيه و الأجواء الفكرية السائده سيؤدى الى رده فعل عنيفه تفقد الرساله أهم شروط النجاح فى مهمتها. قال تعالى: «ادع الى سبيل ربك بالحكمه و الموعظه الحسنه و جادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بالمهتدين» [١١٦] «فاذا الذى بينك و بينه عداوه كأنه ولى حميم» [١١٧]. و قد نجحت تجربته أهل البيت عليهم السلام فى العمل الاجتماعى و فى اعطاء ضروره التدرج فى العمل التخطيطى و التطبيقى لأنها جاءت اتماما لمسيره المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم فى هذا السبيل و ربما كان لظروف الأئمه عليهم السلام الخاصه، و طبيعه [صفحه ٨٦] معاناتهم و الأجواء العقليه و النفسيه و السياسيه التى عاشوها دورا أساسا فى اثناء تجربتهم فى هذا الجانب من مسيرتهم المباركه. نستخلص هذا المنهج الذى كرسه أهل البيت عليهم السلام فى عملهم التدريجى فى سبيل الله تعالى من خلال وصاياهم و ارشاداتهم أو خلال الممارسه العمليه التى طبقوها فى ظروف خاصه.

التدرج فى التخطيط

فعلى مستوى التخطيط يعتمد الامام الصادق فكره التدرج فى العمل الاجتماعى و التغيير الاصلاحى على أصعبه شتى. قال عليه السلام: «يا عبدالعزيز: ان الايمان عشر درجات بمنزله السلم يصعد منه مرقاه مرقاه، فلا يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحده لست على شىء حتى ينتهى الى العاشره، فلا تسقط من هو دونك، فيسقطك من هو فوقك و اذا رأيت من هو أسفل منك بدرجه، فارفعه اليك برفق، و لا تحملن عليه ما

لا يطبق فتكسره، فان من كسر مؤمنا فعليه جيره».

التدرج فى التطبيق

اهتم الامام عليه السلام بتنفيذ مشروع التدرج فى تطبيق العمل الاجتماعى فعمل على تبنى الحثيات الموجه لتبنيه فى نظرهم على مستوى حركتهم، و على مستوى حركه المندمجين فى خطهم من المؤمنين و قد وجدت مصاديق كثيره فى مراجع و مصادر عديده أذكر منها: قال فى وصيه لحرمان بن أعين: قال عليه السلام يا حرمان انظر الى من هو دونك و لا تنظر الى من هو فوقك فى المقدره، فان ذلك أقنع لك بما قسم لك، و أخرى أن تستوجب الزياده من ربك. و اعلم: ان العمل الدائم القليل على اليقين، أفضل عندالله من العمل الكثير على غير يقين. [صفحه ٨٧] و اعلم: أن لا- و رع أنفع من تجنب محارم الله، و الكف عن أذى المؤمنين و اغتياهم، و لا عيش أهنا من حسن الخلق، و لا مال أنفع من القنوع باليسير المجزى، و لا جهل أضر من العجب، و يقدم لنا الامام عليه السلام نموذجا عمليا حول أهميه مفهوم التدرج فى العمل الاصلاحى. عن يعقوب بن الضحاك، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: «يتولونا و لا يقولون ما تقولون تبرأون منهم؟» قلت نعم، قال: فهذا عندنا ما ليس عندكم فينبغى لنا أن نبرأ منكم، الى أن قال: فتولوهم و لا تبرأوا منهم، ان من المسلمين من له سهم، و منهم من له سهمان، و منهم من له ثلاثه أسهم و منهم من له أربعه أسهم، و منهم من له خمس أسهم، و منهم من له ستة أسهم، و منهم من له سبعه أسهم، فليس ينبغى أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين، و لا صاحب السهمين

على ما عليه صاحب الثلاثة، و لا صاحب الثلاثة على ما عليه صاحب الأربعة و لا صاحب الأربعة على ما عليه صاحب الخمسة و لا- صاحب الخمسة على ما عليه صاحب الستة و لا صاحب الستة على ما عليه صاحب السبعة و قدم عليه السلام نموذجاً عملياً آخر قال فيه: «ان رجلاً كان له جار و كان نصرانياً فدعاه الى الاسلام» [١١٨].

العموميه و الخصوصيه فى عمل الامام

تميزت أعمال الأئمة عليهم السلام من أجل التغيير الإسلامى بمحورين اثنين هما: أ- عموم أعمال الأئمة. ب- الأعمال الخاصه. اهتم الامام الصادق عليه السلام كغيره من الأئمة السابقين عليهم السلام بالحقل العام. تناول المستوى الفكرى للأئمة بكل همومها و شجونها، و الحدب عليها، و التخفيف من الظلم و الظالمين و ما الى ذلك من أمور اجتماعيه هامه فى ظل ظروف سياسيه صعبه. [صفحه ٨٨] فى الاطار الخاص اهتم الامام فى اختيار الأشخاص القادرين على تحمل أعباء المسئوليه، و من ثم تأهيلهم تأهيلاً ناجحاً روحياً و فكرياً و سلوكياً لتحمل المسئوليه فى هموم الرساله و مباشره عمليه التغيير الايجابى فى مسيره الأئمة. و حول هذه الحركه التغييريه مصاديق جمه استخلصناها من سيرتهم الطاهره. و هذه بعض مفردات حركه الامام الصادق عليه السلام العامه: - عن زكريا بن ابراهيم قال: «كنت نصرانياً، فأسلمت و حججت فدخلت على أبى عبدالله الصادق عليه السلام بمنى، و الناس حوله كأنه معلم صبيان هذا يسأله، و هذا يسأله» [١١٩]. - قال اسحاق بن ابراهيم: كنت عند أبى عبدالله الصادق عليه السلام اذ دخل عليه رجل من خراسان فقال: يا ابن رسول الله أنا من مواليكم، و بينى و بينكم شقه بعيده و قد قل ذات يدي، و لا أقدر أن أتوجه الى

أهلى الا أن تعينونى، فنظر أبو عبدالله و قال: أما تسمعون ما يقول أخوكم؟ انما المعروف ابتداء، فأما ما أعطيت بعدما سأل انما هو مكافأه لما يذل من ماء وجهه، أفييت ليلته متأرقا متمللا بين اليأس و الرجاء لا يدرى أن يتوجه بحاجته، فيعزم على القصد اليك، فأتاك و قلبه يحب، و فرائضه ترتعد، و قد نزل دمه فى وجهه، و بعد هذا فلا يدرى أينصرف من عندك بكابه الرد، أم بسرور النجاح، فان أعطيته رأيت أنك قد وصلتة و قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «و الذى فلق الحب، و برأ النسمة، و بعثنى بالحق نبيا، لما يتجشم من مسألته اياك أعظم مما نال من مصروفك» قال اسحاق: فجمعوا له خمسمائه درهم و دفعوها اليه. كان عليه السلام يوجه المجتمع بتعاليمه الى جميع مهمات الحياه، و يحث الانسان على عزه النفس فيقول: ان الله فوض الى المؤمن أموره كلها و لم يفوض اليه أن يكون ذليلا. أما تسمع قول الله: «و لله العزه و لرسوله و للمؤمنين». [صفحه ٨٩]

مفردات حركة الامام الخاصه

اشاره

و أما على مستوى التنظيم الداخلى و تأهيل الأفراد، من أجل بناء جهاز الأمه الخاص فلامام عليه السلام برنامج دقيق للتنميه كمييا و كيفيا. و هذه بعض النصوص على سبيل الذكر: - و قال عليه السلام: «أدوا الأمانه الى من ائتمنكم عليها برا أو فاجرا، فان رسول الله كان يأمر بأداء الخيط و المخيط، صلوا عشائركم، و اشهدوا جنائركم و عودوا مرضاكم، و أدوا حقوقهم، فان الرجل منك اذا ورع فى دينه، و صدق الحديث، و أدى الأمانه، و حسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفرى و يسرنى ذلك، و يدخل على

منه السرور وقيل: هذا أدب جعفر، و إذا كان غير ذلك دخل على بلاؤه و عاره، و قيل هذا أدب جعفر» [١٢٠]. - و عن على بن الحسين عليه السلام قال: «ان أولياء الله و أولياء رسوله من شيعتنا من إذا قال صدق، و إذا وعد وفى، و إذا ائتمن أدى، و إذا حمل احتمل فى الحق، و إذا سئل الواجب أعطى، و إذا أمر بالحق فعل، شيعتنا من لا يعدو عمله سمعه، شيعتنا من لا يمدح لنا معيبا، و لا يواصل لنا مبغضا، و لا يجالس لنا خائنا، و ان لقي مؤمنا أكرمه، و ان لقي جاهلا هجره، شيعتنا من لا يهر هرير الكلب، و لا يطمع طمع الغراب، و لا يسأل أحدا الا من اخوانه و ان مات جوعا، شيعتنا من قال بقولنا و فارق أحبته فينا، و أدنى البعداء، فى حينا و أبعد الغرباء فى بغضنا» [١٢١]. - و قال ابراهيم بن مهزم: «خرجت من عند أبى عبد الله عليه السلام ليله ممسيا فأتيت منزلى بالمدينه و كانت أمى معى فوق بينى و بينها كلام فأغلظت لها فلما أن كان من الغد صليت الغداه و أتيت أبا عبد الله فلما دخلت عليه قال لى مبتدئا: يا أبا مهزم مالك و للوالده أغلظت فى كلامها البارحه، أما علمت أن بطنها منزل قد سكنته، و أن حجرها مهد قد غمزته و ثديها و عاء قد شربته؟ قال: قلت بلى، قال: فلا تغلظ لها» [١٢٢]. [صفحه ٩٠] و إذا تتبعنا حركة الأئمه عليهم السلام من الناحيه التاريخيه وجدناهم جميعا يهتمون بالحركتين معا، العام و الخاص. و قد كانت مساحه عمل أى امام على صعيد هذا المحور أو ذاك،

تضييق أو تتسع حسب الظروف المحيطه به و الامكانيات المتاحة له.

رد الشبهات في صفحات ناصعات

اشاره

بسبب انفتاح المسلمين على الحضارات الوافده و الأفكار الجديده التي كانت تهيمن على البلاد التي فتحها المسلمون خلال القرن الأول و الثاني الهجريين كثرت الشبهات و طغت موجه الأفكار المنحرفه في بلاد المسلمين، فنشطت حركه التصوف و ظهر الجبر و التفويض، و نشط الزنادقه و أصحاب التشبيه و التعطيل و ما الى ذلك... و في هذا المجال كان للامام الصادق عليه السلام و تلامذته دور مشرف فعال في الرد على هذه الشبهات الكاذبه و صد تلك الموجات الفكرية الشاذه، و قد شهدت الحركه الفكرية في عصر الامام الصادق عليه السلام ظاهره مميزه من المناظرات و الحوارات للرد على تخرصات المارقين و شبهات المنحرفين، أصحاب النظريات الباطله. و كان على رأس المحاورين الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر عليه السلام. و هذه نماذج من هذه الحوارات و المناظرات الهاديه الى الحق التي كان لها دور أساسى في الحركه الاصلاحية في عصره. ناظر عليه السلام أهل الأديان المختلفه، و الفرق المتعدده في شتى العلوم و مختلف المواضيع، كما ناظر المرتابين و أهل الضلال و الملحدين و الزنادقه يدعوهم فيها الى سبيل الله و توحيده، و رفض الخضوع لغير سلطان الله و عدم الشرك به، ليخرجهم بذلك من الظلمات الى النور، و يهديهم الى صراط مستقيم، بأسلوب نافذ قوى مراعيًا في ذلك المستوى الفكرى للمخاطبين و قابليتهم... فكان له من الحجج البوالغ ما رفع به العذر، و أزال الريب. [صفحہ ۹۱]

الرد على الزنادقه

جاء أحد الزنادقه ممن يثون الشبهات حول الدين الى الامام الصادق و هو في البيت الحرام، و بعد أن قابله و تبادلًا حديثًا قصيرا قال له الامام عليه السلام انتظر حتى أفرغ من الطواف، ثم ائتنا نحدثك فنرى ما عندك.

و لما فرغ أبو عبدالله من طوافه و صلواته، أتاه الرجل و جلس تلامذه الامام مجتمعين عنده، و منهم هشام بن الحكم. قال أبو عبدالله عليه السلام: أتعلم أن للأرض فوقا و تحتا؟ قال: نعم. قال أبو عبدالله: فهل دخلت تحتها؟ قال: لا، قال الامام عليه السلام: ما يدريك ما تحتها؟ لا أدري الا أنى أظن أن ليس تحتها شىء. قال الامام عليه السلام: فالظن عجز فلم لا تستيقن؟. ثم أردف الامام الصادق يقول: أفصعدت الى السماء؟ قال: لا. قال: أفتردى ما فيها؟ قال: لا. قال الامام عليه السلام: عجباً لك لم تبلغ المشرق و لم تبلغ المغرب، و لم تصعد الى السماء و لم تجز هناك، فلم تعرف ما خلفهن و أنت مع ذلك جاحد بما فيهن؟. ثم قال عليه السلام: أيها الرجل، لمن لا يعلم حجه على من يعلم، و لا حجه للجاهل، افهم عنا فانا لا نشك في الله أبداً، أما ترى الشمس و القمر و الليل و النهار يلجان فلا يشتبهان ويرجعان و اضطررا ليس لهما مكان الا مكانهما؟ فان كانا يقدران على أن يذهبا فلم لا يصير الليل نهارا و النهار ليلا؟ لقد اضطررا الى دوامها و الذى اضطرهما هو أعظم منهما و أكبر. ثم أخذ عليه السلام يناظره فى أمور كثيرة حتى أدى به الأمر الى الاعتراف بخطئه و رجوع عن مقالته، فأمر هشام بن الحكم أن يتولى توجيهه [١٢٣].

[صفحة ٩٢] و له عليه السلام مناظرات مع ابن أبى العوجاء [١٢٤] فى التوحيد غيره، و كان ابن أبى العوجاء و من الزنادقة المشهورين فى عصره، و قتل على الزندقة و اعترف عند قتله بدسه الأحاديث الكاذبه فى أحاديث النبى صلى الله عليه و آله و

سلم. فمن تلك المناظرات: أنه كان هو و ابن المقفع [١٢٥] فى المسجد الحرام يلاحظان الجمع الذى كان يقوم بالطواف حول الكعبة، فقال ابن المقفع لأصحابه: لا- واحد من هؤلاء يستحق اسم الانسانيه الا هذا الشيخ الجالس (أشار الى جعفر بن محمد الصادق) أما الباقر فرعاع و بهائم، فقام ابن أبى العوجاء الى الشيخ و تحدث معه رجع و قال: ما هذا يبشر! و ان كان فى الدنيا روحانى يتجسد اذا شاء ظاهرا، و يتروح اذا شاء باطنا فهو هذا. و حينما اقترب من الامام و أصبحا منفردين قال له الامام الصادق عليه السلام: لو كان الأمر كما يقول هؤلاء (و أشار الى الجمع القائم بالطواف) و هو حق كما يقولون - نجا هؤلاء و عطبتهم، أما اذا انعكس الحال و كان على ما تقولون - و هو ليس كما تقولون - فأنتم و اياهم سواء. فسأله ابن أبى العوجاء: رحمك الله أيها الشيخ أى شىء نقوله نحن، و أى [صفحة ٩٣] شىء يقولونه هم؟ فأجابه الامام جعفر عليه السلام: انى لما تقولون أن يكون كما تقولون؟! هم يقولون بالمعاد، و الوعد و الوعيد، و ان للسما الهاء، و بها عمراننا، بينما تزعمون أن السماء خراب و ليس بها أحد. فقال ابن أبى العوجاء: لو كان الأمر كما تقول، فما منع الله من الظهور لجميع خلقه و دعوتهم الى عبادته حتى لا يصبح اثنان فيهم على خلاف. لماذا اختفى عنهم، و مع ذلك أرسل اليهم رسلا؟ لو كان قد ظهر بذاته لهم، لكان ذلك أسهل الى الاعتقاد به. فأجابه الامام جعفر عليه السلام: كيف اختفى عنك من أظهر قدرته فى نفسك أنت، و فى نمائك؟! و كان جوابا بليغا حتى قال ابن

أبى العوجاء لأصحابه: و ظل يحصى لى قدره الله التى فى نفسى، و التى لم أستطع رفضها حتى ظننت أن الله قد نزل بينه و بينى». - و عن عيسى بن يونس قال: «كان ابن أبى العوجاء من تلامذه حسن البصرى، فانحرف عن التوحيد، فقبل له: تركت مذهب صاحبك و دخلت فيما لا أصل له و لا حقيقه؟. قال: ان صاحبي كان مخلطا يقول طورا بالقدر و طورا بالجبر، فما أعلمه اعتقد مذهبا دام عليه، فقدم مكة متمردا، و انكارا على من يحجه، و كان العلماء يكرهون مجالسته لخبث لسانه، و فساد ضميره فأتى أبا عبدالله عليه السلام فجلس اليه فى جماعه من نظرائه، فقال: يا أبا عبدالله ان المجالس بالأمانات، و لا بد لكل من به سعال أن يسعل أفتأذن لى فى الكلام؟ فقال تكلم، فقال: الى كم تدوسون هذا البيدر، و تلوذون بهذا الحجر، و تعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب و المدر و تهرولون حوله كهروله البعير اذا نفر، ان من فكر فى هذا و قدر و علم أن هذا فعل أسسه غير حكيم و لا ذى نظر، فقل فانك رأس هذا الأمر و سنامه، و أبوك رأسه و نظامه!. فقال أبو عبدالله عليه السلام: ان من أضله الله و أعمى قلبه، استوخم الحق و لم يستعذبه و صار الشيطان وليه، يورده مناهل الهلكه ثم لا يصدره، و هذا بيت استعبدالله به عباده ليختبر طاعتهم فى اتيانه، و حثهم على تعظيمه و زيارته، جعله [صفحہ ۹۴] محل أنبيائه و قبله للمصلين له، فهو شعبه من رضوانه، و طريق يؤدى الى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، و مجتمع العظمه و الجلال، خلقه الله قبل دحوالأرض بألفى عام،

فأحق من أطيع أمر و النهى عما زجر، هو الله المنشىء للأرواح و الصور. فقال ابن أبي العوجاء: ذكرت الله فأحلت على الغائب. فقال أبو عبدالله عليه السلام: و يلك!! كيف يكون غائبا من هو مع خلقه شاهد و اليهم أقرب من حبل الوريد، يسمع كلامهم و يرى أشخاصهم و يعلم أسرارهم؟! فقال ابن أبي العوجاء: فهو فى كل مكان، أليس اذا كان فى السماء كيف يكون فى الأرض و اذا كان فى الأرض كيف يكون فى السماء؟. فقال أبو عبدالله عليه السلام: انما وصفت المخلوق الذى اذا انتقل من مكان اشتغل به مكان، و خلا منه مكان، فلا يدرى فى المكان الذى صار اليه ما حدث فى المكان الذى كان فيه، فأما الله العظيم الشأن، الملك الديان، فلا يخلو منه مكان و لا يشتغل به مكان، و لا يكون الى مكان أقرب منه الى مكان. - و عن يونس بن ظبيان قال: «دخل رجل على أبي عبدالله عليه السلام: قال: رأيت الله حين عبدته؟ قال: ما كنت أعبد شيئا سلم أراه، قال: فكيف رأيت؟ قال: لم تره الأبصار بمشاهده العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان، لا يدرك بالحواس، و لا يقاس بالناس، معروف بغير تشبيه» [١٢٦]. قال الزنديق: فمن أين أثبت أنبياء أو رسلا؟. فقال عليه السلام: انا لما أثبتنا أن لنا خالقا صانعا متعاليا عنا و عن جميع ما خلق، و كان ذلك الصانع حكيمًا لم يجز أن يشاهده خلقه، و لا أن يلامسوه، و لا أن يباشروهم و يباشروه و يحاجهم و يحاجوه، ثبت أن له سفراء فى خلقه و عباده يدلونهم على مصالحهم و منافعهم، و ما به بقاؤهم، و فى تركه فناؤهم، فثبت الآمرون و

الناهون عن الحكيم العليم فى خلقه، و ثبت عند ذلك أن له معبرين، [صفحه ٩٥] و هم أنبياء الله وصفوته من خلقه، و هم حكماء مؤدبين بالحكمه، مبعوثين عنه، مشاركين للناس فى أحوالهم على مشاركتهم لهم فى الخلق و التركيب مؤيدين من عندالحكيم العليم بالحكمه و الدلائل و البراهين و الشواهد: من احياء الموتى و ابراء الأكمه و الأبرص، فلاتخلو الأرض من حجه يكون معه علم يدل على صدق مقال الرسول و وجوب عدالته» [١٢٧]. سأله الزنديق: أخبرنى عن قول الله تعالى: «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث و رباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة» [١٢٨] و قال فى آخر السوره: «و لن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء و لو حرصتم فلا- تميلوا كل الميل». قال الصادق عليه السلام: أما قول تعالى: «فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة» فانما عنى بالنفقه. و قوله تعالى: «و لن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء و لو حرصتم». فانما عنى بها الموده، فانه لا يقدر أحد أن يعدل بين امرأتين فى الموده» [١٢٩]. - قال هشام بن الحكم: قال أبو شاعر الديصانى: ان فى القرآن آيه هى قوه لنا. قلت: و ما هى؟ فقال: «و هو الذى فى السماء اله و فى الأرض اله» فلم أدر بما أجيبه، فحججت فخبرت أبا عبد الله عليه السلام فقال: هذا كلام زنديق خبيث، اذا رجعت اليه فقل له: ما اسمك بالكوفه؟ فانه يقول فلان. و ما اسمك بالبصره؟ فانه يقول: فلان. فقل كذلك الله ربنا فى السماء اله، و فى الأرض اله، و فى البحار اله، و فى كل مكان اله. قال فقدمت أباشاكر فأخبرته فقال: هذه نقلت من الحجاز

[١٣٠] .. - و جاء الديصاني هشام بن الحكم فقال له: ألك رب؟... فقال: بلى. قال: قادر؟ قال: قادر قاهر. [صفحة ٩٦] قال: هل يقدر أن يدخل الدنيا كلها في البيضة، لا يكبر البيضة و لا يصغر الدنيا؟ فقال هشام: النظره. قال له: انظرتك حولا، ثم خرج عنه. فركب هشام الى أبي عبدالله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له، فقال: يا ابن رسول الله أتاني عبدالله الديصاني بمسأله ليس المعول فيها الا على الله و عليك. فقال أبو عبدالله عليه السلام ماذا سألك؟ فقال: لى: كيت كيت... فقال أبو عبدالله عليه السلام كم حواسك؟ قال: خمس. فقال أيها أصغر؟ فقال: الناظر. (العين). قال: و كم قدر الناظر؟ قال: مثل العدسه أو أقل منها: فقال يا هشام: فانظر أمامك و فوقك أمامك و فوقك و أخبرني بما ترى. فقال: أرى سماء و أرضا و دورا و قصورا و ترابا و جبالا و أنهارا... فقال أبو عبدالله عليه السلام: ان الذى قدر أن يدخل الذى تراه العدسه أو أقل منها قادر أن يدخل الدنيا كلها البيضة، و لا- يصغر الدنيا و لا- يكبر البيضة. فانكب هشام عليه يقبل يديه و رأسه ورجليه، و قال: حسبي يا ابن رسول الله. فانصرف الى منزله، و غدا اليه الديصاني فقال: يا هشام انى جئتك مسلما و لم أجئك متقاضيا. فقال له هشام: ان كنت جئت متقاضيا فهالك الجواب. فخرج عنه الديصاني و أخبر أن هشاما دخل على أبي عبدالله عليه السلام، فعلمنا الجواب. فمضى عبدالله الديصاني حتى أتى باب أبي عبدالله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له فلما قعد قال له: يا جعفر بن محمد دلنى على معبودى. فقال له أبو عبدالله عليه السلام: ما اسمك؟. فخرج عنه و

لم يخبره باسمه. فقال له أصحابه: كيف لم تخبره باسمك؟ قال: لو كنت له: (عبدالله) كان يقول: من هذا الذى أنت له عبد؟ فقالوا له: عد اليه يدلك على معبودك و لا يسألك عن اسمك فرجع اليه و قال له: يا جعفر [صفحة ٩٧] دلنى على معبودى و لا- تسألنى عن اسمى فقال له أبو عبدالله عليه السلام اجلس، و اذا غلام له صغير فى كفه بيضه يلعب بها. فقال أبو عبدالله عليه السلام: ناولنى يا غلام البيضه فناوله اياها، فقال أبو عبدالله عليه السلام يا ديسانى هذا حصن حصين مكنون، له جلد غليظ، و تحت الجلد الغليظ جلد رقيق، و تحت الجلد الرقيق ذهبه مايعه، و فضه ذائبه، فلا الذهبه المايعه تختلط بالفضه الذائبه و لا الفضه الذائبه تختلط بالذهبه المعايغه، هى على حالها لم يخرج منه مصلح فيخبر عن اصلاحها، و لا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها، لا- يدري للذكر خلقت أم للأُنثى تنفلق عن أمثال ألوان الطواويس، أترى له مدبرا؟. فأطرق مليا ثم قال: أشهد أن لا اله الا الله وحده لا- شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، و أنك امام و حجه من الله على خلقه، و أنا تائب مما كنت فيه [١٣١]. هذه بعض نماذج من مناظرات الامام الصادق مع الزنادقه و الملحدين من حمله الباطل لكن له حوارات و مناقشات مع فقهاء عصره و مفكريهم من المسلمين و هذه نماذج من هذه الحوارات على سبيل الذكر.

حواره مع النعمان بن ثابت (أبي حنيفه)

- روى عن البشير بن يحيى العامرى عن ابن أبى ليلى قال: دخلت أنا و النعمان أبو حنيفه على جعفر بن محمد، فرحب بنا و قال: يا ابن أبى ليلى من هذا الرجل؟ فقلت:

جعلت فداك من أهل الكوفة له رأى و بصيره و نفاذ. قال عليه السلام: فلعله الذى يقيس الأشياء برأيه؟ ثم قال: يا نعمان هل تحسن أن تقيس رأسك؟ قال: لا، قال: ما أراك تحسن أن تقيس شيئاً فهل عرفت الملوحة فى العينين، والمراره فى الأذنين، و البروده فى المنخرين، و العذوبه فى الفم؟ قال: لا. قال: فهل عرفت كلمه أولها كفر و آخرها ايمان؟ قال: لا. قال ابن أبى ليلى: قلت: جعلت فداك لا تدعنا فى عمياء مما وصفت. [صفحه ٩٨] قال: نعم حدثنى أبى عن آباءه عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: ان الله خلق عينى ابن آدم شحمتين فجعل فيهما الملوحة، فلولا ذلك لذابتا و لم يقع فيهما شىء من القذى الا- أذابه، و الملوحة تلفظ ما يقع فى العين من القذى، و جعل المراره فى الأذنين حجاباً للدماغ و ليس من دابه تقع فى الأذن الا التمسست الخروج، و لولا ذلك لوصلت الى الدماغ فأفسدته، و جعل الله البروده فى المنخرين حجاباً للدماغ و لولا ذلك لسال الدماغ، و جعل العذوبه فى الفم منا من الله تعالى على ابن آدم ليجد لذه الطعام، و الشراب. و أما كلمه أولها كفر و آخرها ايمان فقول لا اله الا الله. ثم قال عليه السلام: يا نعمان اياك و القياس. فان أبى حدثنى عن آباءه عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: من قاس شيئاً من الدين برأيه قرنه الله تبارك و تعالى مع ابليس، فانه أول من قاس، حيث قال: خلقتنى من نار و خلقتة من طين، فدعوا الرأى و القياس فان دين الله لم يوضع على القياس.

و فى روايه اخرى أن الصادق عليه السلام قال لأبى حنيفه، لما دخل عليه: من أنت؟ قال: أبو حنيفه. قال عليه السلام: مفتى أهل العراق؟ قال: نعم. قال: بماذا تفتيهم؟ قال: بكتاب الله، قال عليه السلام: و انك لعالم بكتاب الله، ناسخه و منسوخه، و محكمه و متشابهه؟ قال: نعم. قال: فأخبرنى عن قول الله عزوجل «و قدرنا فيها السير سيروا فيها لىالى و أياما آمنين» [١٣٢] أى موضع هو؟ قال أبو حنيفه: هو ما بين مكه و المدينه، أبو عبدالله الى جلسائه، و قال: نشدتكم بالله هل تسىرون بين مكه و المدينه و لا تأمنون على دمائكم من القتل، و على أموالكم من السرقة؟ فقالوا: اللهم نعم، فقال أبو عبدالله عليه السلام: و يحك يا أباحنيفه ان الله لا يقول الا- حقا. أخبرنى عن قوله تعالى: «و من دخله كان آمنا» [١٣٣] أى موضع هو. قال: ذلك بيت الله الحرام، [صفحه ٩٩] فالتفت أبو عبدالله الى جلسائه و قال: نشدتكم بالله هل تعلمون: ان عبدالله بن الزبير و سعيد بن جبیر دخلاه فلم يأمنوا القتل؟ قالوا: اللهم نعم. فقال أبو عبدالله عليه السلام: و يحك يا أباحنيفه، ان الله لا يقول الا حقا فقال أبو حنيفه: ليس لى علم بكتاب الله، انما أنا صاحب قياس قال أبو عبدالله: فانظر فى قياسك ان كنت مقيسا أيما أعظم عندالله القتل أو الزنا؟ قال: بل القتل: قال عليه السلام: فكيف رضى فى القتل بشاهدين، و لم يرض فى الزنى الا بأربعة؟ ثم قال له: الصلاه أفضل أم الصيام؟ قال: بل الصلاه أفضل. قال عليه السلام: فيجب على قياس قولك على الحائض قضاء ما فاتها من الصلاه فى حال حيضها دون الصيام، و قد أوجب الله تعالى عليها

قضاء الصوم دون الصلاة. ثم قال له عليه السلام: البول أقذر أم المنى؟ قال: البول أقذر قال عليه السلام: يجب على قياسك أن يجب الغسل من البول دون المنى وقد أوجب الله تعالى الغسل من المنى دون البول. قال أبو حنيفة إنما أنا صاحب رأى. قال عليه السلام: فما ترى في رجل كان له عبد فتزوج و زوج عبده في ليله واحده فدخلها بامرأتهما في ليله واحده ثم سافرا و جعلا امرأتهما في بيت واحد ولدتا غلامين فسقط البيت عليهم فقتلت المرأتين و بقى الغلامان، أيهما في رأيك المالك و أيهما المملوك؟ و أيهما الوارث و أيهما الموروث؟. قال: إنما أنا صاحب حدود. قال عليه السلام فما ترى في رجل أعمى فقأ عين صحيح و أقطع قطع يد رجل، كيف يقام عليهما الحد؟ قال: إنما أنا رجل عالم بمباعت الأنبياء. قال عليه السلام: فأخبرني عن قول الله لموسى و هارون حيث بعثهما الى فرعون [صفحه ١٠٠] «لعله يتذكر أو يخشى» [١٣٤]. و لعل منك شك؟. قال: نعم. قال: و كذلك من الله شك اذ قال: «لعله»؟ قال أبو حنيفة: لا علم لى. قال عليه السلام: تزعم أنك تفتى بكتاب الله و لست ممن ورثه، و تزعم أنك صاحب قياس و أول من قاس ابليس لعنه الله و لم بين دين الاسلام على القياس، تزعم انك صاحب رأى و كان الرأى من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم صوابا، و من دونه خطأ، لأن الله تعالى قال: «فاحكم بينهم بما أراك الله» و لم يقل ذلك لغيره. و تزعم أنك صاحب حدود، و من أنزلت عليه أولى بعلمها منك، و تزعم أنك عالم بمباعت الأنبياء و لخاتم الأنبياء

أعلم بمباعثهم منك، و لولا أن يقال: دخل على ابن رسول الله فلم يسأله عن شىء ما سألتك عن شىء، فقس ان كنت مقيسا. قال أبو حنيفة: لا أتكلم بالرأى و القياس فى دين الله بعد هذا المجلس [١٣٥].

مناظراته مع المعتزله

شكل أهل الاعتزال فى عصر الامام عليه السلام خطأ فكريا مميزا تجاه المدارس الفكرية الأخرى فكان للامام جولات متعددة و مناقشات دقيقه نذكر منها: - جاء فى كتاب الاحتجاج عن عبدالكريم بن عتبه الهاشمى قال: «كنت عند أبى عبدالله عليه السلام بمكة اذ دخل عليه أناس من المعتزله فيهم عمرو بن عبيد و واصل بن عطاء و حفص بن سالم، و أناس من رؤسائهم، و ذلك أنه حين قتل الوليد، و اختلف أهل الشام بينهم، فتكلموا فأكثروا و خطبوا فأطالوا فقال لهم أبو عبدالله: انكم قد أكثرتم على فأطلتم فأسندوا أمركم الى رجل منكم، فليتكم بحجتكم و ليوجز». فأسندوا أمرهم الى عمرو بن عبيد فأبلغ و أطال، فكان فيما قال: قتل أهل الشام خليفتهم، و ضرب الله بعضهم ببعض، و تشتت أمرهم، فنظرنا فوجدنا رجلا [صفحة ١٠١] له دين و عقل و مروءة، و معدن للخلافه و هو محمد بن عبدالله بن الحسن فأردنا أن نجتمع معه فنبايعه ثم نظهر أمرنا معه، و ندعو الناس اليه، فمن بايعه كنا معه و كان منا، و من اعتزلنا كففتنا عنه، و من نصب لنا جاهدناه، و نصبنا له على بغيه، و نرده الى الحق و أهله، و قد أحببنا أن نعرض ذلك عليك، فانه لا غنى بنا عن مثلك، لفضلك، و لكثرة شيعتك فلما فرغ قال أبو عبدالله عليه السلام أكلكم على مثل ما قال عمرو؟ قالوا: نعم، فحمد الله و أثنى

عليه و صلى على النبي ثم قال: انما نسخط اذا عصى الله فاذا اطع الله رضينا أخبرنى يا عمرو لو أن الأمة قلدتك أمرها فملكته
بغير قتال و لا- مؤونه فقيل لك: و لها من شئت من كنت تولى؟ قال: كنت أجعلها شورى بين المسلمين، قال: بين كلهم؟ قال:
نعم فقال: بين فقهاءهم و خيارهم؟ قال: نعم. قال: قريش و غيرهم؟ قال: العرب و العجم. قال: فأخبرنى يا عمرو أتتولى أبابكر و
عمر أو تتبرأ منهما؟ قال: أتولاهما. قال: يا عمرو ان كنت رجلا تتبرأ منهما، فانه يجوز لك الخلاف عليهما، و ان كنت تتولاهما
فقد خالفتهما، قد عهد عمر الى أبى بكر فبايعه و لم يشاور أحدا، ثم ردها أبوبكر عليه و لم يشاور أحدا ثم جعلها عمر شورى
بين ستة، فخرج منها الأنصار غير أولئك الستة من قريش، ثم أوصى الناس فيهم بشىء ما أراك ترضى أنت و لا أصحابك قال:
و ما صنع؟ قال: أمر صهيبا أن يصلى بالناس ثلاثة أيام و أن يتشاور أولئك الستة ليس فيهم أحد سواهم الا ابن عمر و يشاورونه
و ليس له من الأمر شىء و أوصى من كان بحضرته من المهاجرين و الأنصار ان مضت ثلاثة أيام و لم يفرغوا و يبايعوا أحدهم
أن يضرب أعناق الستة جميعا، و ان اجتمع أربعة قبل أن يمضى ثلاثة أيام و خالف اثنان أن يضرب أعناق الاثنين، أفترضون
بهذا فيما تجعلون من الشورى فى المسلمين؟ قالوا: لا. [صفحہ ۱۰۲] قال: يا عمرو دع ذاك، رأيت لو بايعت صاحبك هذا الذى
تدعو اليه، ثم اجتمعت لكم الأمة و لم يختلف عليكم منها رجلا فأفضيتهم الى المشركين الذين لم يسلموا و

لم يؤدوا الجزية، كان عندكم و عند صاحبكم من العلم ما تسيرون فيهم بسيره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المشركين في الجزية؟ قالوا: نعم. قال: فتصنعون ماذا؟ قالوا: ندعوهم الى الاسلام فان أبوا دعوناهم الى الجزية؟ قال: فان كانوا مجوسا و أهل كتاب و عبده النيران و البهائم و ليسوا بأهل كتاب؟ قالوا: سواء. قال: فأخبرني عن القرآن أتقرؤونه؟ قال: نعم. قال: اقرأ: «قاتلوا الذين لا- يؤمنون بالله و لا- باليوم الآخر و لا يحرمون ما حرم الله و رسوله و لا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد و هم صاغرون» [١٣٦]. قال: فاستثنى الله عزوجل، و اشترط من الذين أوتوا الكتاب فهم و الذين لم يؤتوا الكتاب سواء قال: نعم. قال عليه السلام: عمن أخذت هذا؟ قال: سمعت الناس يقولونه. قال: فدع ذا، فانهم ان أبوا الجزية فقاتلتهم فظهرت عليهم كيف تصنع بالغنيمه؟ قال: أخرج الخمس و أقسم أربعة أخماس بين من قاتل عليها. قال: تقسمه بين جميع من قاتل عليها؟ قال: نعم. قال: فقد خالفت رسول الله في فعله و في سيرته، و بينى و بينك فقهاء أهل المدينة و مشيختهم، فسلمهم فانهم لا- يختلفون و لا- يتنازون في أن رسول الله انما صالح الأعراب على أن يدعهم في ديارهم و أن لا يهاجروا، على أنه ان دهمه من عدوه دهم فيستفزههم فيقاتل بهم، و ليس لهم من الغنيمه نصيب، و أنت تقول بين [صفحة ١٠٣] جميعهم، فقد خالفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سيرته في المشركين. دع ذا ماذا تقول في الصدقه؟. قال: فقرأ عليه

هذه الآية: «انما الصدقات للفقراء و المساكين و العاملين عليها...» [١٣٧] الى آخرها. قال: نعم، فكيف تقسم بينهم؟ قال: أقسمها على ثمانية أجزاء فأعطى كل جزء من الثمانية جزءا. فقال عليه السلام: ان كان صنف منهم عشرة آلاف و صنف رجلا واحدا أو رجلين أو ثلاثة، جعلت لهذا الواحد مثل ما جعلت للعشرة آلاف؟. قال: نعم. قال عليه السلام و ما تصنع بين صدقات أهل الحضر و أهل البوادي فتجعلهم فيها سواء؟ قال: نعم. قال عليه السلام: فخالفت رسول الله في كل ما أتى به، كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقسم صدقه البوادي في أهل البوادي، و صدقه الحضر في أهل الحضر، و لا يقسم بينهم بالسوية انما يقسمه قدر ما يحضره منهم، و على قدر ما يحضره. فان كان في نفسك شىء مما قلت لك فان فقهاء أهل المدينة و مشيختهم كلهم لا يختلفون في أن رسول الله كذا كان يصنع. ثم أقبل على عمر و قال: اتق الله يا عمر و أنتم أيضا الرهط فاتقوا الله، فان أبى حدثني و كان خير أهل الأرض و أعلمهم بكتاب الله و سنه رسوله: أن رسول الله قال: «من ضرب الناس بسيفه، و دعاهم الى نفسه و في المسلمين من هو أعلم منه، فهو ضال متكلف» [١٣٨]: [صفحة ١٠٥]

الامام الصادق موسوعه علميه و علوم انسانيه

اشاره

كان للأئمة الاثني عشر أهل بيت رسول الله، دور هام في بناء تاريخ الاسلام و ترسيخ معانيه في قلوب الناس. و من يدرس هذا التاريخ يجد الامام على بن أبى طالب عليه السلام قوه هائله ساهمت في رفع رايه الاسلام على دنيا الله، و صارعت الظالمين و الكفار و الاستكبار، و ذلك بفضل بأسه الشديد

و علمه المستنير بنورانيه الاسلام. ثم جاء بعده الامام الحسن عليه السلام فمثل دورا بارزا فى حقن دماء المسلمين، و بقاء الاسلام قوه قاهره ضد الكفار و المارقين، بما أبرمه مع معاويه بن أبى سفيان من موثيق لم يكذ تجف مدادها حتى نكث معاويه كل ما أبرمه، و حكم حكما دكتاتوريا و كسرويا. و لم يكتف بذلك حتى نصب ابنه يزيد الفاجر المارق بحد السيف حاكما على المسلمين و قد وصفه المؤرخون بأنه: ماجن سكير عربيد ظهرت هذه الخصال كلها فى أقواله و أفعاله ظلما سقى مرارته جماهير الشعب بلا شفقه و لا رحمه. و جاء دور الامام الحسين عليه السلام فوجد كتاب الله يدعوه الى الثوره على مفاسد عصره و ظلم الحكام الأمويين و انحرفهم عن الخط الاسلامى فقدم نفسه شهيدا مجاهدا ليعيد الى الاسلام نضارته الرحمانيه و للمسلمين الحياه السعيده الهائنه التى نعموا بمذاقها أيام رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. و لى الامام الحسين عليه السلام نداء القرآن، و قدم دمه الطاهر و دماء أهله و صحبه الأبطال قربانا لله فى سبيل الاسلام [صفحه ١٠٦] و رفع رايه الاسلام. فكانت هذه الدماء الزكيه المسلسله من دم جده رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الطاقه القويه الصلبه التى أعادت للاسلام عزته و زحزحت كابوس الظلم و العذاب عن قلوب جماهير الشعب. يروى لنا التاريخ أن عبدالملك بن مروان كان يفتح القرآن الكريم و يتلو بضع آيات منه بين الحين و الحين... و بينما هو يقلب بصره فيه يوم بشر بأنه أصبح للمسلمين حاكما.. طبق القرآن و ألقى به جانبا و قال له: هذا آخر العهد بك». و قد سرت هذه

الروح أثناء حكمه فى خلايا طبقه المترفين.. فانصرفت قلوبهم الى الدنيا و شغلوا بمباهجها و ملذاتها. ثم تسربت عدوى تلك الروح الى سواد الشعب... و بصر الامام زين العابدين الشهوات الآئمه تستحوز على مشاعر عامه الناس، فبدأ بمعالجه الوضع عن طريق الأدعيه التى تستمد مباهجها الساحره من أنوار الذكر الحكيم، فكان لها الدور الواضح فى تحويل الناس الى التمسك بحبل الله المتين بما أشعلته فى أعصابهم من الحنين الى الله رب العالمين و ما لبثوا أن اتخذوا منها دواء ناجعا لأوجاع الظلم التى ينفثها فى أحاسيسهم الحكام المستهترون. و يأتى دور الامام الباقر عليه السلام فىرى ظلام الجهل يخيم فى أرض الاسلام فوق قبته الخضراء... مما دعاه الى انشاء مدرسه فقيهيه تعنى بترييه الأجيال الصاعده على نهج الاسلام القويم و خطه المستقيم، فتقدمت البلاد فى عهده تقدما حضاريا مباركا لا غبار عليه. ثم جاء بعده ولده الامام الصادق عليه السلام فى عصر تكاد تطفأ فيه شمعته الحكم الأموى و تشتعل شمعته الحكم العباسى. أمعن الامام الصادق النظر فى أوضاع المجتمع الاسلامى، فدرسها دراسه وافية من جميع نواحيها: الثقافيه و الاقتصاديه و العمرانيه و العلميه فرأى تخلفا اجتماعيا و حضاريا، و لا دواء له سوى العلم وحده، فهو مفتاح كل الخزائن العمرانيه و الحضاريه و الاقتصاديه، مما دفعه الى عقد العزم على توسيع مدرسه أبيه حتى يجعل منها جامعه اسلاميه عليا تضم فى أحضانها آلاف الطلاب [صفحه ١٠٧] و تخرج آلاف الفقهاء و المجتهدين حتى استقطبت أربعه آلاف طالب من بينهم رؤساء المذاهب الأخرى [١٣٩]. و انطلاقا من حزمه الصادق و عمله الواعى و المخلص، و فى ظل الأوضاع السياسيه السائده حينذاك، حقق باذن الله ما كان

يصبو اليه في مدرسته الذائعه الصيت. روى الحسن بن علي الوشا الذي جاء بعد الامام الصادق فقال: «أدركت في هذا المسجد، مسجد الكوفه، تسعمايه شيخ كل يقول: حدثني: جعفر بن محمد» [١٤٠]. أما عن الأرصداه التي كانت تعطى في جامعه الامام الصادق عليه السلام كانت متنوعه كالأرصداه التي تعطى اليوم في جامعاتنا. وهى: ١- الفقه و التشريع. ٢- تفسير القرآن و علومه. ٣- الفلسفه و علم الكلام في منهج قرآنى. ٤- أصول علم الفقه. ٥- علم الأخلاق. ٦- علم الطب. ٧- علم الكيمياء. ٨- علم الفلك. ٩- العلوم الكونيه. ١٠- علم الأحياء. يحدثنا عن هذه العلوم أحد علماء الأزهر الشريف، الشيخ محمد أبوزهره [صفحه ١٠٨] فيقول: «ان الامام جعفر الصادق كان قوه فكريه في هذا العصر، لم يكتف بالدراسات الاسلاميه، و علوم القرآن و السنه، و العقيداه بل اتجه الى دراسه الكون و أسراراه، ثم خلق بعقله الجبار في سماء الأفلاك، و مدارات الشمس و القمر و النجوم، ثم علم وحدانيه الخالق من ابداع المخلوق، و من تعدد الأشكال و الألوان، و انه و ان كان قد درس الكون، و أصل الكون، و خاض مع الفلاسفه الذين كانوا يشككون الناس في اعتقادهم، متتبعين من سبقهم من مشركى اليونان - قد عنى عنايه كبرى بدراسه النفس الانسانيه» [١٤١]. و قد كان لمدرسه أو جامعه الامام الصادق صدى واسع المدى، بعث الحركه العلميه و الثقافيه التي ساهمت في تطوير العالم الاسلامى تطويرا خلاقا مبدعا. و قد ورد في كتاب مختصر تاريخ العرب للسيد أمير على الهندى وصفا حيا لذلك البعث المبارك فقال: «لا مشاحه أن انتشار العلم في ذلك الحين قد ساعد على فك

الفكر من عقاله، فأصبحت المناقشات الفلسفيه عامه فى كل حاضره من حواضر العالم الاسلامى، و لا يفوتنا أن نشير الى أن الذى تزعم تلك الحركه هو حفيد على بن أبى طالب المسمى بالامام الصادق» ثم يزيد شارحا عن فكر الامام الثاقب وسعه علومه: «و هو رجل رحب أفق الفكر، بعيد أغوار العقل، ملم كل الالمام بعلوم عصره» و عن الجامعه التى باتت روضه معطاء على ألسنه العالم يقول: «ان طلاب العلم كانوا يأتونها من كل فج عميق لكى يغنوا عقولهم من ثرواتها العلميه.. ثم يعودوا الى بلدانهم لينشروا فيها ذلك الغنى ثقافه و مدنيه و عمراننا و حبا. و لم يكن يحضر حلقاته العلميه أولئك الذين أصبحوا مؤسسى المذاهب [صفحه ١٠٩] الفقيهيه فحسب، بل كان يحضرها طلاب الفلسفه و المتفلسفون من الأنحاء القاصيه» [١٤٢]. و فى منجد الأعلام يقولون: ان جامعه الامام الصادق كانت امتدادا لمدرسه أبيه الامام الباقر عليه السلام و كانت عشا ذهبيا لطلاب العلوم، و قد سعدت بما كانت تنشده من تلقيح الأذهان بسحر البهاء الثقافى... و نجحت نجاحا كبيرا فى نشر الثقافه الاسلاميه. و قالوا: من شؤون الصادق نسخ الحياه العلميه.. و الفاعل الحى فى تقدمها و سموها... ألا- و هو التأليف و التدوين. الذى كان من أهم انجازات الامام الصادق.. و كان قبله قليل الحدوث. و لا مناص لك من أن تأخذ الدهشه بلبك حين يطلعونك على عدد الكتب التى ألفها تلاميذه فى ذلك الزمن، و بلغ ما ألفه تلاميذه أربعمائيه كتاب لأربعمائيه مؤلف» [١٤٣]. و هذا ابن حجر، الشافعى المذهب، يخبرنا عن علوم الامام الصادق و انبساطها فى العالم انبساط ضياء الصباح، قال: «و نقل الناس عن الصادق من العلوم

ما سارت به الركبان، و انتشر صيته في جميع البلدان» [١٤٤] وهكذا كما ترى تجاوز الحديث عن جامعه الامام الصادق الى خارج العالم العربي و الاسلامي، فعلماء الغرب قد رووا علم الامام الصادق و عرفوا أن وجوده كان مناره للمجتمع الانساني بأسره، بما نثر من درر علومه و حكمته على طلابه في أفياء بستانه الأنيق في المدينة المنوره. و المستشرق المعروف (رونلدسن) يعرض علينا لوحه فيها مشهد تاريخي بارز للامام الصادق و يؤكد وجود شبه بين مدرسه الامام و بين مدرسه الفيلسوف اليوناني سقراط. قال: «و من الوصف الذي تقرأه عن اكرام جعفر الصادق ضيوفه في بستانه الجميل في المدينة، و استقباله الناس على مختلف [صفحه ١١٠] مذاهبهم يظهر لنا أنه كانت له مدرسه شبه سقراطيه» [١٤٥]. و في الفصل الرابع من كتابه تحت عنوان: «المدرسه الكبرى» صدره بقول الامام الشافعي: يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله، في القرآن أنزله كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاه له و يتابع قائلا في هذا الفصل ص ٢٠٥ «الامام جعفر يمثل صميم الاسلام يجتمع في نسبه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و أبوبكر و علي... و هو امام الدين و الفقه و بحر في العلوم الطبيعيه... و هذا البحر امام يهتدى بهديه و اجتهاده أئمه أهل السنه كافه». و يطل علينا ثانيه الشيخ محمد أبوزهره ليقدم لنا جديدا عن الامام الصادق فيقارن بين الامام الصادق و سقراط و يقول: لا جدال أن سقراط أحدث ثوره في الفلسفه بأسلوبه و فكره... و الامام الصادق جعل من الفلسفه منهاجا فخلق ثوره على الجمود و أذهل عقول

الملحدين... ولكن، هل وقف الامام عند حدود الفلسفه؟ يزيد الشيخ أبوزهره: «و اذا كان تاريخ الفلسفه يقرر أن سقراط قد أنزل الفلسفه من السماء الى الانسان، فالامام الصادق قد درس السماء والأرض و الانسان و شرائع الدين. و لدراسته للكون و الانسان، فهم الأخلاق الانسانيه على وجهها، و ما يقوم الانسان، و ما يهديه، و فهم أثر الدين فيه، و فهم الطبائع و الغرائز و ما يهذبها» [١٤٦]. فالفرق واضح تماما، فسقراط وقفت ثورته عند حدود الفلسفه أما الصادق فقد تجاوز حدود الفلسفه: «التوحيد... و الاجتماع و الاقتصاد... و كثير من العلوم... فدرس الكون ثم نفذ الى أعماق الروح الانسانيه فدرسها... و هذه الدراسه يسرت له فهم أخلاق الناس و طبائعهم و سيرهم. و هذا الفهم سهل عليه أن [صفحه ١١١] يهذب أخلاقهم و أمزجتهم، و يقوم طبائعهم و عاداتهم، و فى ذلك فليتنافس المتنافسون. و الحقيقه أن أفضل كلمه نستطيع وصف الامام الصادق بها هى كلمه: عبقرية. لقد كان متألقا فى أخلاقه المحمديه.. الاسلاميه.. الانسانيه، متألقا فى أصول العلوم الدينيه، و السياسيه و الاجتماعيه، و الاقتصاديه، و العلميه... و فروعها... و الامام الصادق كان يصنع العلماء و يربيهم، لأنه يمتلك عبقريتين: عبقرية علميه و عبقرية أخلاقية. فحياته المقدسه فى كل جوانبها الروحيه و الماديه خير و حق و نور. أنى سار و كيفما اتجه و حيثما حل. كان كالماء للأرض العطشى و كالهواء المنعش للانسان و كأشعه الشمس تتغلغل فى خلايا الكون فتنعشه... و تنيره. قال الأستاذ رمضان لاوند فى ذكره مدرسه الامام الصادق عليه السلام و من خرجتهم من كبار العلماء: «كانت حياه الامام الصادق اشعاعا لا ينقطع، يصوغ به العلماء،

و يشبع به حب المعرفة، كما كانت حياته شعاعا لا ينقطع يضيء به الحب سخاء في اليد، وسعه في الصدر، و نبلا في النفس، و نقاء في الضمير» [١٤٧]. و في تاريخ الاسلام نجد مدرسته تنطق خصبا و علما و وعيا، و ما من كاتب أو باحث يبحث عن يقظه الفكر العربي - الاسلامي، الا ويشير باصبع من نور الى جامعته الصادق التي تتدفق منها جداول في رحاب العالم فتعلو بها قباب العمران، و تخضر منها جنات الحضارات، و تسمو بها سماء الانسانيه. ذلك السمو العلمي المتعدد الجوانب يجعل من الامام الصادق دائره معارف، يسعى لينهل من نيمر علومها كل طالب نابه من طلاب عصره، يتطلع الى التخصص في ماده العلميه التي يتعشقها، فحقق لهم ما ارادوا فكان منهم الفقهاء و العلماء و الأدباء و طلاب العلوم في جميع أنواعها مثل الفقه و الفلسفه و علم الكلام و التفسير و الكيمياء... يذكر أصحاب «منجد الأعلام» فيقولون: «الصادق هو نسخ الحياه العلميه... و الفاعل الحي في تقدمها و سموها ألا و هو: التأليف و التدوين» [١٤٨]. [صفحه ١١٢]

امام العلماء و ملهم الكيمياء

لم يكن علم الامام الصادق كسبيا و أخذنا من أفواه الرجال و مدارسهم، بل ورث العلم عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. و في هذا المقام يقول عليه السلام: «و الله لقد أعطينا علم الأولين و الآخرين» [١٤٩] و كان عليه السلام يقول: ان حديثي حديث أبي و حديث أبي جدى و حديث جدى حديث أمير المؤمنين على بن أبي طالب و حديث على أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و حديث رسول الله قول

الله عزوجل [١٥٠] و الامام الصادق الذى عاش فى كنف والده محمد الباقر نحو من ثلاثين عاما جامعه فكريه و عبقرية رحمانيه من الصعوبه بمكان الاحاطه بها من جميع جوانبها. و احصاء فضله وسعه علومه، و آفاق فكره ضرب من المستحيل، قال أبوالفتح الأربلى: «كثره علومه المفاضه على قلبه من سجال التقوى، حتى صارت الأحكام التى لا- تدرك عللها، و العلوم التى تقصر الأفهام عن الاحاطه بحكمها تضاف اليه و تروى عنه» [١٥١]. و يكفى أن نعلم أنه تميز بالحنكه السياسيه و الصبر على المكاره و المداراه، فلم يعرض نفسه للخطر، و رفض الخلافه عندما عرضت عليه، و نصح ابن عمه «النفس الزكيه» و اخوته من أبناء الحسن بالابتعاد عن المعارضه المسلحه ضد العباسيين. [صفحه ١١٣] و لما كان بيته عليه السلام كالجامعه يمجج بالحكماء و أهل العلم كما يقول: الأستاذ محمد صادق نشأت فكان عليه السلام يلقى على طلابه مختلف العلوم، و ينميهم بفنون المعارف، و مضافا لما يلقى على طلابه فى الفقه، و الحديث و التفسير، يخص من يجد فيه القابليه بالعلوم الحديثه، و لقد وجد عليه السلام فى تلميذه جابر بن حيان استعدادا و لياقه، فأخذ يخصه بوقت يدرسه فيه الكيمياء، و غيرها من العلوم، حتى كتب جابر من محاضرات الامام عليه السلام مئات الرسائل، و قد طبعت خمسمائه رساله منها فى المانيا قبل ثلاثمائه سنه أو أكثر، و هى موجوده فى مكتبه الدوله ب(برلين) و مكتبه(باريس) [١٥٢] و بلغت مؤلفات جابر ٣٩٠٠ رساله» [١٥٣]. [صفحه ١١٤]

نسبه هذه العلوم الى الامام الصادق

هذه كلمات بعض أعلام الشرق و الغرب تفيد نسبه هذا العلم الى الامام الصادق عليه السلام و أن جابر بن حيان أخذه عنه، و منه تعلم

الأوروبيون. نذكر من ذلك: - قال شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان المتوفى سنه ٦٨١ هـ بعد أن تحدث عن الامام الصادق عليه السلام: و كان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفى الطرطوسى [١٥٤] قد ألف كتابا يشتمل على ألف ورقه، تتضمن رسائل جعفر الصادق [صفحه ١١٥] و هى خمسمائه رساله [١٥٥]. و قال الأديب بطرس البستاني: و لقب بالصادق لصدقه فى مقالته، و فضله عظيم و له مقالات فى صناعه الكيمياء [١٥٦]. - و نشرت جريده الثوره (البغداديه) تحت عنوان: العرب رواد الحضاره الأورويه قالت: الامام جعفر الصادق أول مكتشف (حامض النتريك) والماء الملكى و قالت: ان كتب العملاق العربى، جابر بن حيان، تترجم الى اللاتينيه حال الحصول عليها، و ان الكيمياءى الانكليزى، بريستلى، يتعلم اللغه العربيه ليطلع بنفسه على روائع جابر بن حيان [١٥٧]. و قالت أيضا: عالم كيمياءى غربى يعتبر عصر الامام الصادق عليه السلام مساويا لعصر (بريستلى) و (لافوازييه). - و قال السيد محسن الأمين فى ترجمته لجابر: من أصحاب الامام جعفر الصادق عليه السلام و أحد أبوابه، و من كبار الشيعه، و ما يأتى عند تعدد مؤلفاته يدل على أنه كان عجائب الكون و نوادر الدهر، و ان عالما يؤلف ما يزيد على ٣٩٠٠ كتاب فى علوم جلها عقليه و فلسفيه لهو حقا من عجائب الدنيا... و مع ذلك يشتغل بصناعه الكيمياء، حتى صار أشهر من أن ينسب اليه هذا العلم و ذلك يحتاج الى زمن طويل، و جهد عظيم، و يكفى فى تفرد الرجل أن كتبه بقى كثير منها محفوظا فى مكاتب الغرب و الشرق و طبع جمله منها و ترجم جمله منها» [١٥٨]. - و

قال هبه الدين الشهرستاني: أبو موسى جابر بن حيان الصوفى الكوفى، من أشهر مشاهير تلاميذ الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام و قد سماه الافرنج: أستاذ الحكمة، و لذكره تجليل و تبجيل لديهم، و اعترفوا له بأنه المكتشف لتسعه عشر عنصرا من عناصر المواد التى بلغت اليوم فوق المائة. و له مؤلفات كثيره فى [صفحه ١١٦] الهيثه و النجوم طبعت فى المانيا قبل مئات السنين [١٥٩]. و قال: لقد نسبوا الى جابر كشف الراديوم أيضا. حيث قال فى بعض رسائله: ان الذى يجب أن يرى الشمس فى منتصف ليل حالك، فليضع كذا و كذا، و الراديوم المذكور كشفته مدام كورى البولونيه فى عصرنا و أنه يشع بنور أبيض أبدي، و يدفىء حجرتها الى عشرين درجه من الحرارة دون أن يقل وزنه أو حجمه أو حرارته. و ذكر ابن النديم المصادر التى ترجمت لجابر و ذكرت اشتغاله بالكيمياء قال: ٣٠٠ كتاب تقريبا فى الكيمياء و ذكر أنه ألف ٣٠٠ كتاب فى الفلسفه و ١٣٠٠ كتاب فى الحيل، و ١٣٠٠ كتاب فى صنائع مجموعته و آلات الحرب و ٥٠٠ كتاب فى الطب [١٦٠]. [صفحه ١١٧]

مؤلفات الامام الصادق

كان عصر الامام الصادق عصر ظلم و جور، و تشدد الحكام و بصوره خاصه على آل البيت و من يلوذ بهم ممن عرفوا الحق و عملوا به. من أجل ذلك كان الامام مضطرا لأن يعمل بالخفيه، و أن يجعل التقية سياسه خاصه له و لأبنائه و شيعته. فقال عليه السلام: «التقيه دينى و دين آبائى» و ذلك ابعادا للشبهه و التهم عنهم، و حفظا لحياتهم من تهديد السلطان لهم بالسجن أو المضايقه أو الاهانته. لهذا لم يكن للامام الصادق مجلس الا الجامع يجتمع

فيه مع طلابه و مريديه، و كان ينتهز بعض الفرص للتصريح عن أفكاره و آرائه الدينيه أو الفلسفيه أو الاجتماعيه أو العلميه لطلابه حتى أنه بلغ عددهم ما يقارب أربعة آلاف رجل [١٦١] و ذكر أسماء بعضهم من الرجال و النساء الشيخ الطوسى فى (رجاله). و تحدث الشيخ المظفرى عن مؤلفاته عليه السلام فقال: ما روى عنه بلا واسطه ثمانون كتابا و بواسطه سبعون، أضف الى ذلك الأصول الأربعمائه التى ذكرها أهل الفهارس و السير و جلها رواها تلاميذه عنه [١٦٢]. و فى موسوعه أعيان الشيعة لائحه تضم أربعاً و عشرين مؤلفاً بين كتاب و رساله بالاضافه الى الوصايا و عدد، لا يحصى من الحكم و المواعظ. و هذه المؤلفات هى: ١- رساله الى النجاشى و الى الأهواز المعروفه برساله عبدالله بن النجاشى. [صفحه ١١٨] ٢- رساله له عليه السلام أوردتها الصدوق فى الخصال و أورد سنده اليها عن الأعمش عن جعفر بن محمد عليه السلام تتضمن شرائع الدين من الوضوء و الغسل بأقسامه، و الصلاه بأقسامها، و الزكاه زكاه المال و زكاه الفطره و الحيض و الصيام و الحج و الجهاد و النكاح و الطلاق و أحكام الصلاه على النبى صلى الله عليه و آله و سلم و حب أولياء الله و البراءه من أعداء الله و بر الوالدين و حكم المتقين و أحكام الأولاد و أفعال العباد و الجبر و التفويض و حكم الأطفال و عصمه الأنبياء و الأئمه و خلق القرآن و وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و معنى الايمان و عذاب القبر و البعث و التكبير فى العيدين و أحكام النفساء و الأطعمه و الأشربه و الصيد و الذباجه و الكبائر

و غير ذلك. ٣- كتاب توحيد المفضل [١٦٣] من تأليف الامام الصادق عليه السلام و هو أحسن كتاب فى رد الدهريه و اثبات الصانع، موجود بتمامه فى البحار، و قد طبع مستقلا على الحجر بمصر، و قد ورد فى مجله المقتبس أنه طبع فى استنبول. ٤- الاهليلجه بروايه المفضل بن عمر أيضا، و قد ورد نصه فى الجزء الثانى من كتاب البحار. و خلاصته أن المفضل كتب الى أبى عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يعلمه فيه أن أقواما ظهوروا من أهل هذه المله، يمجدون الربويه و يجادلون على ذلك، و يسأله أن يرد على قولهم ليحتج عليهم فيما ادعوا به. فأجابهم الامام عليه السلام بكتاب ذكر فيه أن طبيبا من بلاد الهند كان يجادله بالموضوع نفسه، و بينما هو يوما يدق اهليلجه، ليخلطها بدواء احتاج اليه، تعرض لانكار الربويه، فأدلى اليه الامام بعدد من البراهين العقلية و الدلائل الحسيه ما أفحمه، و جعله يقر الربويه و التوحيد. و فى هذا الحديث ذكر الامام أسماء عدد من العقاقير الطبيه، و أسماء الأماكن التى تنمو أو تجلب منها، بالإضافة الى ذكر بعض المعلومات الطبيه و الصيدليه، مما يدل على ثقافته الجيده بهذين العلمين الأصيلين. [صفحه ١١٩] ٥- كتاب مصباح الشريعه و مفتاح الحقيقه [١٦٤]: فى الأخبار و المواعظ، كتاب معروف متداول، و عن الكفعمى فى مجموع الغرائب أنه قال: و من كتاب مصباح الشريعه و مفتاح الحقيقه قال الصادق عليه السلام: و نقل منه أشياء كثيره بلفظ قال: الصادق عليه السلام. و عن الشهيد الثانى فى كشف الريه و منيه المرید و مسكن الفؤاد و أسرار الصلاه أنه نقل جمله من أخباره ناسبا لها الى الامام الصادق عليه السلام

بصوره الجزم و قال فى آخر بعضها: هذا كله من كلام الصادق عليه السلام بشهاده الشارح الفاضل يعنى الشهيد الثانى و السيد بن طاووس و مولانا محسن القاشانى و غيرهم فلا- وجه لتشكيك بعض المتأخرين بعد ذلك. ٦- رساله الى أصحابه رواها الكلينى فى أول روضه الكافى بسنده عن اسماعيل ابن جابر أبى عبدالله عليه السلام أنه كتب بهذه الرساله الى أصحابه و أمرهم بمدارستها و النظر فيها و تعاهدها و العمل بها و كانوا يضعونها فى مساجد بيوتهم فاذا فرغوا من الصلاه نظروا فيها. و بسنده عن اسماعيل بن مخلص السراج قال: خرجت هذه الرساله من أبى عبدالله عليه السلام الى أصحابه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاسألوا الله ربكم العافيه. و ذكر الرساله بطولها و أورد شيئاً من أولها فى تحف العقول بعنوان رسالته الى جماعه من شيعته و أصحابه. ٧- رساله الى أصحاب الرأى و القياس. ٨- رسالته عليه السلام فى الغنائم و وجوب الخمس أوردتها و ما بعدها الى السادس عشر فى تحف العقول. ٩- وصيته لعبدالله بن جندب، و قد ورد ذكرها. [صفحه ١٢٠] ١٠- وصيته لأبى جعفر محمد بن نعمان الأحول. ١١- نثر الدرر كما سماه بعض الشيعة و كله حكم بالغه الأهميه. ١٢- كلامه فى وصف المحبه لأهل البيت و التوحيد و الايمان و الاسلام و الكفر و الفسق... ١٣- رسالته فى وجوه معايش العباد و وجوه اخراج الأموال جواباً لسؤال من سأله: كم جهات معايش العباد التى فيها الاكتساب و التعامل بينهم و وجوه النفقات. ١٤- رساله فى احتجاجة على الصوفيه فيما ينهون عنه من طلب الرزق. ١٥- كلامه فى خلق الانسان و تركيبه. ١٦- حكمه القصيره، موجود الكثير منها

فى تحف العقول، و هناك كتب مرويه عن الصادق عليه السلام، جمعها أصحابه مما رووه عنه فيصح بهذا الاعتبار نسبتها اليه لأن الاملاء أحد طرق التأليف و قد ذكر منها النجاشى خمسة و يحتمل تداخلها مع بعض ما تقدم. ١٧- نسخه ذكرها النجاشى فى ترجمه محمد بن ميمون الزعفرانى فقال: عامى غير أنه روى عن أبى عبدالله عليه السلام نسخه. ١٨- نسخه رواها الفضيل بن عياض عنه عليه السلام قال النجاشى فى ترجمه الفضيل: بصرى، ثقه عامى روى عن أبى عبدالله عليه السلام نسخه. ١٩- نسخه رواها عبدالله بن أبى أويس بن مالك بن أبى عامر الأصبهى حليف بنى تميم بن مره أبوأويس عنه عليه السلام قال النجاشى له نسخه عن جعفر بن محمد. ٢١- نسخه يرويها ابراهيم بن رجاء الشيبانى قال النجاشى: له عن جعفر عليه السلام نسخه. ٢٢- كتاب يرويّه جعفر بن بشير البجلي قال الشيخ فى الفهرست: له كتاب ينسب الى جعفر بن محمد روايه على بن موسى الرضا عليهم السلام. ٢٣ - تقسيم الرؤيا فى كشف الظنون؛ تقسيم الرؤيا للامام جعفر [صفحه ١٢١] الصادق عليه السلام. و فى الذريعه: لم نجد سندا لهذه النسبه فى غيره فالظاهر أنه من تصنيف بعض الشيعة بالروايه عنه. هذا ما عرف من الكتب التى دونت وحدها و عرفت بأسماء مخصوصه و الا فالذى جمع مما رواه عنه العلماء فى فنون شتى من فنون العلم فى الكلام و التوحيد و سائر أصول الدين و الفقه و أصول الفقه و الطب و الاحتجاج و الحكم و المواعظ و الآداب و غير ذلك لا يكاد يحيط به الحصر. ٢٤ - كتاب رسائل الامام الصادق عليه السلام الى جابر بن حيان الكوفى. و قد جاء فى موسوعه أعيان الشيعة أن

اليافعى فى كتابه مرآه الجنان يقول عن الامام الصادق: «وقد ألف تلميذه جابر بن حيان كتابا يشتمل على ألف ورقه يتضمن رسائله، و هى خمسمائه رساله». و يقول صاحب الموسوعه: «لم يذكر أحد من أصحابنا، الذين ألفوا فى رجال الشيعة و أصحاب الأئمه، كالطوسى و النجاشى، و من عاصرهم أو تقدمهم أو تأخر عنهم، جابر بن حيان من تلاميذ الصادق و لا من أصحابه، و لا ذكره فى رجال الشيعة. و من العلماء الذين تكلموا على أعمال جابر و أيدوا صحبته للامام جعفر عليه السلام ابن النديم، و القفطى، و ابن خلكان، كما أن الحارث بن المحاسبى و سهل بن عبدالله التستري ذكر الكلمه صحيحه جابر بن حيان، و وصفاه بأنه كان متقدما فى العلوم الطبيعیه، بارعا فى صناعه الكيمياء. أما القول بأن جابر بن حيان كان من أعيان الشيعة، و من أصحاب الامام الصادق، و قد أيد ذلك علامه السيد محسن الأمين و السيد ابن طاووس الحسنى الحلبي، فى كتابه (فرج المهموم فى معرفه الحلال و الحرام من علم النجوم) و كذلك روى الحسين بن بسطام بن سابور و أخوه عبدالله عن جابر بن حيان عن الامام الصادق، أمورا كثيره وردت فى كتابهما المعروف بطب الأئمه، و الأمثله على ذلك كثيره، و كلها وردت فى كتاب أعيان الشيعة. يقول الدكتور يحيى الهاشمى فى كتابه: الامام الصادق ملهم الكيمياء، ما يلى: [صفحه ١٢٢] «من الأمور التى تلفت النظر فى تاريخ العلوم مشكله الامام جعفر الصادق و علاقته الكبرى مع جابر بن حيان، أبوالكيمياء فى العصر الوسيط، لقد تصدى لهذا الموضوع عدد من المستشرقين و الكيمائيين فلم يوفوه حقه، لأنهم عالجوا المشكله دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث فى

رسائل جابر نفسها». ان أول من لفت الأنظار الى جابر بن حيان كان العالم الفرنسي برتلو (Berthelot) م ١٩٠٧ م في كتابه: الكيمياء فى القرون الوسطى و الذى نشره عام ١٨٩٨ م و يعتقد العالم (هو لميارد) أنه برتلو لم يقدر شخصيه الصادق حق قدرها، لأنه لم يتح له أن يدرسها الدرسة الكافية. اطلع برتلو على كثير من الخطوط اللاتينية التى تضم مؤلفات جابر، كما حصل على مخطوط مدون باللغه العربية يضم مجموعه من مؤلفات جابر، موجود فى مكتبه (ليدن). أما المؤلفات فهى: كتاب الرحمه، و كتاب الملك، و كتاب الزئبق، و كتاب الأرض، و كتاب الموازين، و قد قام بترجمتها و نشرها. لكن العالم برتلو كان يجهل اللغه العربية لذلك استعان بالأستاذ هوذا (Houdas) الذى كان يتقن العربية، و يجهل علم الكيمياء، فجاءت ترجمته مملوءه بالأخطاء. اهتم المستشرقون الباحثون فى مؤلفات جابر فقام (هولميارد) بتصنيف مؤلفات جابر الهامه فقسمها الى أربعة أقسام: أ - مجموعه المائه و الاثنى عشر كتابا. ب - مجموعه السبعين كتابا. ج - مجموعه العشر كتب فى المصححات. د - الكتب الأربعة فى الميزان. و قال: ان بعض كتب الفئه الأولى قد أهداها جابر الى البرامكه و هى بمجموعها مقتبسه من (لوح الزمرد) الذى ألفه (هرمس). و يرى (هولميارد) أن جابرا قد استقى علومه من الامام جعفر الصادق، و أن مؤلفاته فى الكيمياء أصيله. [صفحه ١٢٣] أما الزمرد الثانى: فقد اهتم بها الراهب الايطالى جيرار الكريمونى فقام بترجمتها الى اللغه اللاتينية خلال القرن الثانى عشر. و المجموعه الثالثه: كانت تضم الانجازات الكيماويه التى نسبها جابر الى بعض الكيمايين المزعومين أمثال: فيتاغورس و سقراط و أفلاطون و أرسطوطاليس. و

فى كتب الفئه الرابعه يوجد شرح نظريه الميزان التى جاء بها جابر. و التى تعنى حسب رأى (هولميارد) بضروره الوصول الى توازن الطبايع فى الأعمال الكيمياءيه للحصول على الذهب. ان أهم نظريه جاء بها جابر بنظر الكيمائيين هى أن المعادن تتشكل فى باطن الأرض من اتحاد الكبريت بالزئبق. و للحصول على الذهب لا بد من تنقيه كل من هذين العنصرين. و يقول جابر: ان المعادن تتشكل فى باطن الأرض من اتحاد و تزواج الكبريت بالزئبق تحت تأثير الكواكب، فيتحولان الى جسم صلب هو أصل لجميع المعادن. و ينشأ اختلاف معدن عن آخر من اختلاف نقاوه كل من الكبريت و الزئبق، و للحصول على الذهب الصافى لا بد من تنقيه كل منهما. و بعد وفاه الامام جعفر عليه السلام، كان للبرامكه الفضل فى وصول جابر الى بلاط الرشيد. و قد قام جابر بتقديم كتاب (الزهره) أى النحاس له. و هو أفضل كتاب ألفه جابر فى علم الكيمياء. و لهذا الكتاب مع كتاب الحديد و بقيه المعادن، شرح مطول ينسب الى سلمه بن أحمد المجريطى، و المدون فى مخطوط، و محفوظ فى المكتبه الوطنيه بباريس تحت رقم (٤١٢١) و فى هذا المخطوط شرح مفصل عن صفات و طريقه استحصال و تنقيه المعادن السبع المعروفه و هى: الفضة - الذهب - الرصاص - القصدير - النحاس - الحديد (و الخارصينى؟) لم يستطع الباحثون التأكد من الاسم الحقيقى للمعدن الأخير، و الذى يعنى: الحديد الصينى، و ربما كان التوتياء الذى نعرفه اليوم. و يقول بعض المؤلفين العرب أن هذا المعدن كان يستعمل فى صنع المرايا التى تشفى الاضطرابات [صفحه ١٢٤] البصريه عند النظر فيها. كما يدخل فى تركيب الأجراس

ذات الأصوات المطربه. و الأمر الهام جدا الذى شغل أذهان الكيميائيين بما فيهم جابر بن حيان، صنع الاكسير. يقول العالم هولميارد: كان الاسكندرانيون و الحرايون يستعملون فقط موادا معدنيه يرجحونها على غيرها، ولكن جابرا أراد أن يطور الصنعه فأدخل موادا من أصل حيوانى أو نباتى فى صنع الاكسير. فمن المواد ذات الأصل الحيوانى استعمل بالدرجه الأولى المنى، و مخ العظام، و الدم، و البول و الجلد. و من النباتات، استعمل خاق الذئب، الفلفل، الخردل، الكمثرى، الشقار (Amemone). و فى عام ١٩٨٨ م قام الباحث الفرنسى (بيير لورمى) بتحقيق مجموعه من مؤلفات جابر فى الكيمياء بلغ عددها ١٤ كتابا، و جمعها فى كتاب واحد أطلق عليه اسم «تدبير الاكسير الأعظم». هذا الكتاب العظيم قام بطبعه و نشره المعهد العلمى الفرنسى بدمشق على نفقته الخاصه. يقول السيد لورمى فى مقدمه هذا الكتاب: «لقد جمعنا هنا عددا من الرسائل التى تعالج موضوع التدبير الأعظم، أى الحصول على الاكسير الذى من شأنه أن يحول المعادن الخسيسه الى ذهب... و تكمن أهميه هذه الرسائل فى أنها تعرض التدبير الأعظم فى مجمله و لو بطريقه مقتضبه ولكنها واضحه... و لهذه النصوص أصول مختلفه: فالنصوص ذات الرقم من (١ الى ١٠) تنتمى الى مجموعه السبعين كتابا و هى تتألف من سبعين فصلا كما يدل عليها اسمها. و هذه أسماء هذه المجموعه. كتاب اللاهوب، كتاب الباب، كتاب الثلاثين كلمه، كتاب المنى، كتاب الهدى، كتاب الصفات، كتاب العشره، كتاب النعوت، كتاب العهد، كتاب السبعه، كتاب تدبير الأركان و الأصول، كتاب المنفعه، كتاب هتك الأستار، كتاب الصافى. و للعلماء العرب و الأجانب شهادات رفيعه المستوى لجابر تفيد عن بعد [صفحه ١٢٥] معرفته و عمق

خبرته فى علم الكيمياء. من هؤلاء أذكر العلامة المعروف: (لوبون) الذى قال: «تألف من كتب جابر موسوعه علميه، تحتوى على خلاصه ما وصل اليه علم الكيمياء عند العرب فى عصره، و قد اشتملت كتبه على بيان مركبات كيمائيه كانت مجهوله قبله، و هو أول من وصف أعمال التقطير و التبلور و التذويب و التحويل الخ» [١٦٥].

السموم و دفع مضارها

اشاره

ظهرت براعه جابر بن حيان فى علمى الكيمياء و الطب فى كتابه القيم (السموم و دفع مضارها) و وصف فيه أنواعا من المواد الكيمائيه، كالزجاج و الزنجار و الاسفيداج، و بين طرق تنقيتها و تصنيع بعضها بالطرق الكيمائيه. كما تكلم على الزئبق بأنواعه: المقتول، و المصعد و الحى. و قال بأن الزئبق الحى غير ضار البتة، اذا أخذ عن طريق الفم، الا أن صبه فى الأذن و الأنف فتأكد. و القول الأخير ينسب الى أبى بكر الرازى، و الأولى أن يعتبر من انجازات جابر. و لقد وصف جابر وصفا واضحا التأثير الفارماكوجى لكثير من السموم، و صنفها بحسب تأثيرها. و هو عمل ضخم جدا لم يقم بمثله الرازى و ابن سينا. و يشير جابر فى كتاب السموم الى بعض مؤلفاته الطبيه منها كتاب الطب الكبير و كتاب المزاج. ولسنا بحاجة الى الحديث عن الصله الوثيقه بين جابر التلميذ و الامام جعفر عليه السلام الأستاذ، فكل مؤلفات جابر كانت تخضع لتوجيه و رقابه أستاذه الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. و فى سنه ١٩٢٤ م قام المرحوم اسماعيل مظهر بتأليف كتاب «تاريخ الفكر العربى». خصص فيه فصلا كاملا للكلام عن جابر بن حيان و ناقش فيه آراء روسكا. و قد أكد كلامه المرحوم الدكتور يحيى الهاشمى فى كتابه: الامام الصادق [صفحہ

[١٢٦] ملهم الكيمياء. فوافق على ما قاله و أضاف اليها بعض آرائه السديده. و لا يخفى على أحد أن العلماء يستفيدون من خبرات بعضهم لبعض، و لولا ذلك لما تطورت الحضاره الانسانيه و اكتشفت الأبحاث العلميه. يقول الدكتور بدوى: ان العالم الالمانى كراوس قد سعى الى معرفه المصادر التى استقى منها جابر نظرياته فى المعادن و الاكسير، فعرض بصوره موجزه تطور علم الكيمياء عند اليونان، ثم بحث فى صله كيمياء جابر بأدوار ذلك التطور. و اهتم بصوره خاصه بصله جابر بكيمياء ذو سيموس و بليناس، و هما من علماء القرن الأول للميلاد غالبا، و انتهى ببحثه الى أن هنالك اختلاف كبير جدا بين كيمياء جابر و كيمياء اليونان القديمه. ثم قال: «ان كيمياء جابر تمتاز بالميل الى الناحيه التجريبيه، و استبعاد الخوارق و الاتجاه العلمى العقلى. كما أن جابرا استعمل ملحاً لم يعرفه قدماء اليونان و الشرقيون، و يعنى ملح النوشاد». و ما نخلص اليه أن لجابر بن حيان فضلا كبيرا فى وضع الأسس الصحيحه لعلم الكيمياء الحديث، و أن أعماله العلميه و الفلسفيه كانت تتم تحت اشراف أستاذه الامام الصادق عليه السلام الذى عاش فى عصر انفتح فيه الفكر العربى على جميع العلوم الظاهره و الخفيه، فاستفاد منها كثيرا و أفاد كثيرا. يقول محمد أبوزهره بعد أن نقل كلام السيد هبه الدين الشهرستانى فى تلمذه جابر على الامام الصادق عليه السلام: و ان ذلك الكلام يستفاد منه: اتصال جابر بالامام الصادق، و أنه كان يدارسه و يختصه بالانفراد فى دراسته، مما يدل على أن ما كانا يتدرسانه لا يطيقه كل الناس، لدقه حقائقه، و عمق ما يحتاج اليه من تفكير. و يستفاد منه: ان للامام الصادق

عليه السلام مشاركة فكريه فى الرسائل التى كتبها جابر [١٦٦] و أن الذى نريد أن نسجله فى هذا المقام هو: أن الامام جعفر كان قوه [صفحه ١٢٧] فكريه فى هذا العصر لم يكتف بالدراسات الاسلاميه، و علوم القرآن و السنه، و العقيده، بل اتجه الى دارسه الكون و أسراره، ثم حلق بعلقه القوى الجبارى فى سماء الأفلاك، و مدارات الشمس و القمر و النجوم، و بذلك علم مقدار نعمه الله على عبيده من الانسان فى تسخير ما فى الكون لهم، ثم على وحدانيه الخالق من ابداع المخلوق، و من تعداد الأشكال و الألوان و القوى فى المحادثات» [١٦٧]. [صفحه ١٢٨]

الامام الصادق فى محراب العلوم الطبيعیه (الكونیه)

فى رحاب الطب

من المعلوم أن علم الطب من العلوم التى برع فيها الامام الصادق عليه السلام، ولكن من هو أستاذه فى هذا العلم؟ و أين تعلم الطب؟ و كيف؟ كل هذه الأسئلة نرغب بشوق الى معرفتها. فى مجلس الحاكم العباسى أبى جعفر المنصور طيب هدى، كان يقرأ فى كتاب طبى مفتوح بين يديه، و المجلس غاص بأعيان الدوله و علمائها. و الامام الصادق عليه السلام جالس معهم الى يمين المنصور مصغ اليه. قال الطبيب الهندى للامام عليه السلام: يا أباجعفر أتريد مما معنى شيئاً؟ دون سائر الحاضرين من علماء و فقهاء و سياسيين؟. مما يبدو أن المنصور قد تأمر مع الطبيب الهندى ضد الامام الصادق ليظهره مظهر الضعيف أمام الحاضرين، و ليجعل من ذلك دعايه يشوه بها سمعته عند الفقهاء خاصه... و جماهير الشعب عامه، و لا يخفى أن الجميع يصفى الامام الحب و الاجلال و يستمد منه شعاعاً مقدساً من جده رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و هذه الرؤيه الجماهيريّه كانت تؤذى المنصور،

تجعله يتجرع غصصا لا يطيقها، لذلك كان ينصب له شراكا متتابعه للكيد منه بين الحين و الحين. و يعيد الهندي السؤال بأعلى صوته: يا أباجعفر أتريد مما معي شيئا؟. فأجابه الامام بثقه مطلقه، و لا يخفى عليه ما كان يرمى من سؤاله: «لا، ما [صفحه ١٢٩] معي خير مما معك». عظم وقع كلمات الامام على الهندي، و هو فى مجلس عامر بأركان الدوله و على رأسهم المنصور، المتلهف لفشل الامام. الامام الصادق يعرف نفسه قمه رفيعه فى علم الطب، فهل يكون عند الهندي ما لا يعرفه؟؟. نظر الهندي الى الصادق و قال له: و ما هو؟؟. قال الامام عليه السلام: أداوى الحار بالبارد. و البارد بالحار، و الرطب باليابس... و اليابس بالرطب... و أرد الأمر كله الى الله عزوجل و اعلم أن المعده بيت الداء، و أن الحميه هى الدواء، و أعود البدن ما اعتاد». فقال الهندي: و هل الطب الا- هذا؟؟. فقال الصادق: أترانى عن كتب الطب أخذت؟. قال: نعم. قال: لا والله ما أخذت لا عن الله سبحانه، فأخبرنى أنا أعلم بالطب أم أنت؟. قال الهندي: أنا. فقال الصادق: فأسألك شيئا. فألقى عليه الامام ثمانية عشر سؤالاً تتعلق كلها بجسم الانسان، من رأسه حتى أخص قدميه، و كان جواب الهندي على كل سؤال: لا- أدرى. و روح الهندي و أرواح المجلس جميعا متعطشون ليرتوا من معين الامام الصادق فيقول الهندي، خفيض الجناح أمام الحاضرين: «لو أنعمت على بمعرفه جواب هذه الأسئلة». نظر الامام عليه السلام الى المنصور و كل من فى المجلس فوجدهم يتطلعون بعيون جائعه الى نعيم المعرفه.. و كأنهم رفيف فراشات ترف على مصباح يتوقد نورا، و الامام يشرق وجهه غبطه و

نفسه تتألق بهجه و عزه؛ و يشرح بيان وحدانيه الله.. و منطق التشريح جواب كل سؤال... و عندها تهب أنسام الحبور فى المجلس اعجابا بحفيد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. أما الهنذى فيبت و سكر من وهج الدهشه [صفحه ١٣٠] و حراره الاعجاب و قال بأعلى صوته: «من أين لك هذا العلم؟؟. فأجابه عليه السلام: أخذته عن آبائى، عن أجدادى عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن جبرائيل، عن رب العالمين جل جلاله الذى خلق الأبدان و الأرواح». و كما حدث لسحره فرعون، حين رأوا آيه عصا موسى التى عجز عنها البشر عندما ألقاها عليه السلام من يده فاذا هى حيه تسعى باذن الله. و قال السحره: آمنا برب العالمين. هكذا كان شأن الطيب الهنذى، فقد انسلخ من جلد الحاده و قال للامام: «صدقت. و أنا أشهد أن لا اله الا الله، و أن محمدا عبده و رسوله، و أنك أعلم أهل زمانه» [١٦٨]. و ما يثير الدهشه و الاعجاب أنه لم يكن فى عصر الامام الصادق مختبرات و أشعه و أدوات طبيه للتشريح... و بالرغم من ذلك فاننا نرى فى أقواله ما يجعلنا نقول: انه عالم كبير فى علمى الطب و التشريح... يقول الدكتور محمد يحيى الهاشمى: «ان مثل هذه الأخلاق فى الحقيقه هى التى تفتق كنوز الحكمه، و هى أساس الالهام فى التحرى العلمى، و فيها أيضا اشاره لطيفه للاعتبار بآيات الكون، و الانتقال من الظاهر الى الباطن، من المصنوع الى الصانع الحكيم، حتى أن الصادق لم يقل طريده اقرأ كتاب الفقه الفلانى، أو كتاب تفسير، أو حديث، أو غير ذلك، بل طلب منه التوغل

فى العلوم الكونىة؁ لأنها الأساس فى اقناع الملحدىن؁ لكنه لم ىطلب منه تعلم العلوم الطبعىة و الوقوف عندها فى شكلها الظاهرى فقط؁ بل الانتقال الى الباطن لىكون من المعترىن «و اعتبروا ىا أولى الأبصار» [١٦٩]. و الامام الصادق علىه السلام ىدعوننا أن نطلق لعقولنا حرىة التفكىر فى حواس [صفحه ١٣١] الانسان الخمس التى ىطىب بها عىش الانسان و هى كنوز الشمس فى حىاه المخلوقات. اذا فقدت احداها حرم صاحبها من متعه كبرىة جدا لا تضاهىها متعه أخرى.

حاسة العىن

اشاره

لنتأمل حكمه الخالق سبحانه و تعالى من جعله العىن فى تجوىفىن من الرأس... ثم هذا الشكل الكروى.. و القسم الأمامى منها بلورى الجسم.. و لماذا هى مؤلفه من طبقات متعددة عجب تركيبها؟ ثم الجفنان و الأهداب.. ثم الغدد الدمعىة.. لا سىل للقول الا أن الله وحده وراء هذا الخلق البدىع الساهر بكماله.. و المذهل بجماله.. ىقول الامام علىه السلام: «فانظروا الى هذه الحواس التى خص بها الانسان فى خلقه؁ و شرف بها على غيره؁ كىف جعلت العىنان فى الرأس كالمصابىح فوق المناره لىتمكن من مطالعه الأشياء؁ و لم تجعل فى الأعضاء التى تحتها؁ كالىدين و الرجلین؁ فتعترضها الآفات؁ و ىصىبها من مباشره العمل و الحركه و ما ىعلهما؁ و ىؤثر فىهما؁ و ىنقص منهما؁ و لا فى الأعضاء التى وسط الید؁ كالبطن و الظهر فىعسر تقلبها و اطلاعها نحو الأشياء». ثم ىنتقل علىه السلام بعد الكشف لنا عن سر وجود العىن فى الرأس... الى بقىه الحواس؁ و الأمكنه التى أنبتها الله فىها فىقول علىه السلام: فلما لم ىكن لها فى شىء من هذه الأعضاء موضع... كان الرأس أسنى المواضع للحواس.. و هو بمنزله الصومعه لها... ثم ىشرح لنا وظيفه

البصر و السمع فيقول عليه السلام: «فخلق البصر ليدرك الألوان، فلو كانت الألوان، و لم يكن بصر يدركها لم يكن فيه منفعه... و خلق السمع ليدرك الأصوات، فلو كانت الأصوات، و لم يكن سمع يدركها يكن فيها أرب.. و كذلك سائر الحواس... ثم هذا يرجع متكافيا.. فلو كان بصر، و لم تكن الألوان، لما كان للبصر [صفحة ١٣٢] معنى، و لو كان سمع و لم تكن أصوات، لم يكن للسمع موضع». ثم يظهر لنا أن لكل حاسه حقلًا- خاصا بها تعمل فيه.. و أنه تعالى خلق لها من الأشياء ما يكملها به.. ثم يقدم البرهان على ذلك فيقول: «فانظر كيف قدر بعضها يلقي بعضها، فجعل لكل حاسه محسوسا تعمل فيه.. و لكل محسوس حاسه تدركه، لا تتم الحواس الا بها» ثم يقدم مثلا توضيحا على ذلك فيقول: «كمثل الضياء و الهواء، فانه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر، لم يكن البصر يدرك اللون، و لو لم يكن هواء يؤدي الصوت الى السمع، لم يكن السمع يدرك الصوت». ثم يتساءل عليه السلام: هل يمكن أن يصدر هذا الخلق المتقن، و التنسيق العجيب الا من مدبر لطيف خبير هو: الله. يقول عليه السلام: «فهل يخفى على من صح نظره، و أعمل فكره، أن مثل هذا الذى وصفت من تهيئه الحواس و المحسوسات بعضها يلقي بعضها، و تهيئه أشياء أخرى بها تتم الحواس، أن هذا لا يكون الا بعمل و تقدير من لطيف خبير». و بعد أن وضح منافع و ايجابيات الحواس فى حياه الانسان، تحدث عن الانسان حين يفقد حاسه منها. أو كلها.. قال للمفضل: «فكر يا مفضل فيمن عدم البصر من الناس، و ما يناله من الخلل فى

أموره، فانه لا يعرف موضع قديمه، ولا يبصر ما بين يديه ولا يفرق بين الألوان، وبين المنظر القبيح والحسن، ولا يرى حفرة الا هجم عليها، ولا عدوا الا أهوى عليه بسيف، ولا يكون له سبيل الا أن يعمل شيئا من هذه الصناعات مثل: الكتابة والتجاره و الصياغه.. حتى أنه لولا نفاذ ذهنه أصبح كالحجر الملقى». ذلك هو الانسان اذا فقد بصره، ترى ماذا يكون شأنه خسر سمعه؟؟. يقول الامام فى ذلك: «و كذلك من عدم السمع يختل أمور كثيره فانه يفقد روح المخاطبه و المحاوره.. و يعدم لذه الأصوات و اللحن المشجيه و المطربه، تعظم المؤونه على الناس فى محاورته حتى يتبرموا به، و لا يسمع شيئا [صفحه ١٣٣] من أخبار الناس و أحاديثهم» يصف الامام حاله هذا الانسان المسكين المحروم من لذه السمع فيقول عليه السلام: «يكون كالغائب و هو شاهد، أو كالميت و هو حى» و يقتصر الامام على ذكر هاتين الحاستين: البصر و السمع... و وظيفتهما... و تأثيرهما فى حياه الانسان... ايجابا.. و سلبا ليخلص الى الحديث عن العقل. انه يربط بين الحواس و العقل ربطا محكما فى حياه الفرد.. و الجماعه و التطور المدنى.. و الحضارى.. و يرى أن الانسان الذى حرم شرف العقل يهبط الى مستوى الحيوان، لأن الله ميزه سبحانه و تعالى بنعمه العقل، «فأما من عدم العقل، فانه يلحق بمنزله البهائم.. بل يجهل كثيرا مما تهتدى اليه البهائم». من هنا كان قول الحكماء: خلق الله الملائكه من عقل بلا شهوه، و خلق الحيوان من شهوه بلا عقل، و خلق الانسان من كليهما فمن غلب عقله شهوته كان خيرا من الملائكه،

و من غلبت شهوته عقله كان شرا من البهائم. و هذا الانسان الذى خلقه الله فى أحسن تقويم، كيف يصبح اذا فقد جارحه من جوارحه؟ سرعان ما تختل حياته و يصبح عالاه على غيره! فخلق الله عزوجل الجوارح... و ما أدراك ما الجوارح لكل منها اختصاص يؤدى وظيفته... و يتعاون الجميع على اصلاح الجسد، و بذلك تستمر مركبه الحياه، و يتأكد أن لها خالقا مديرا... و زرع عليها أدوار العمل.. و هى تقوم بدورها فتؤديه باتقان لا- نظير له. يقول الامام الصادق عليه السلام فى هذا المجال: «أفلا ترى كيف صارت الجوارح و العقل، و سائر الخلال التى بها صلاح الانسان، و التى لو فقد منها شىء لعظم ما يناله من ذلك من الخلل... يوافق خلقه على التمام حتى لا- يفقد شيئا منها». و يتساءل عليه السلام: لم كان ذلك؟ و يجيب بثقه: انه خلق بعلم و تقدير». و نحن بدورنا نسأل: لماذا يفقد بعض الناس جارحه من جوارحهم؟. و يسأل معنا المفضل عن السر الذى يفقد بعض الناس جارحه من جسداهم؟ فيقول: «فلم صار بعض الناس يفقد شيئا من هذه الجوارح، فيسبب له ذلك ألما نفسيا، و قلقا جسديا؟. [صفحاه ١٣٤] يجيب الامام عليه السلام: «ذلك للتأديب و الموعظه لمن يحل ذلك به و تغيره بسببه، كما يؤدب الملوكة الناس للتكامل و الموعظه فلا ينكر ذلك عليهم، بل يحمد من رأيهم، و يتصوب من تديبرهم» هكذا - هؤلاء تمردوا على القوانين الالهيه فرفضوا العلم به و صبوا على الناس ضرام الأذى أفرادا و جماعات... فاستحقوا العقاب على تمرداهم.. و على أذاهم لآخواناهم فى الانسانيه... ثم ضرب مثلا على ذلك - الحاكم العادل يعاقب السارق... فيحمده الناس، و يرون

عمله عين العدل، لأنه عاقب انسانا فاسدا. يضر بأبناء المجتمع... و ينزل بهم آلاما فادحه. ولكن هل فى هذه العقوبه الزاجره خير لمن تنزلها العدالة بهم؟. الحقيقه انها تأتيهم بأفضل الخير... لأنها تمحو الذنوب التي اقترفوها... و فى هذا الموقع يجب الامام الصادق عليه السلام: «ان الذين تنزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت - ان شكروا و أنابوا ما يستصغرون معه ما ينالهم منها، حتى أنهم لو خيروا بعد الموت لاختاروا أن يردوا الى البلايا ليزدادوا من الثواب» لكن هل كل واحد منهم يستحق الثواب؟. هنالك شرط أساسى لا بد منه و هو: أن يتوبوا. توبه نصوحا، و لا يعودوا الى اقرار الذنوب ثانيه. يقول الامام عليه السلام: «ان شكروا و تابوا» أى ان عليهم أن يعيشوا حياه قول الله جل و علا: «وانى لغفار لمن تاب، و آمن، و عمل صالحا، ثم اهتدى» [١٧٠] ثم يكمل عليه السلام عن دقه صنع الخالق و حكمته فى:

اعضاء جسد الانسان

اشاره

جسم الانسان، المركب المتناسق العجيب فيه أعضاء كثيره منها ما هو مفرد لا ثانى له... و منها ما هو مزدوج. فاذا دققنا النظر فى هذه الأعضاء وجدناها متناسقه تناسقا تاما مما يجعلنا خاشعين أمام البارى عزوجل الذى «خلق فسوى» [١٧١] قال الامام الصادق عليه السلام للمفضل ليفكر و يتأمل: [صفحه ١٣٥] «فكر يا مفضل فى الأعضاء التي خلقت أفرادا و أزواجا، و ما فى ذلك من الحكمه و التقدير، و الصواب التدبير.. فالرأس خلق فردا، و ليس للانسان من صلاح فى أن يكون له أكثر من رأس واحد، ألا ترى أنه لو أضيف الى رأس الانسان رأس آخر لكان ثقلا عليه من غير حاجه اليه، لأن الحواس التي

يحتاج اليها مجتمعه فى رأس واحد، ثم كان الانسان ينقسم قسمين لو كان له رأسان، فان تكلم من أحدهما كان الآخر معطلا لا ارب فيه، و لا حاجه اليه، و ان تكلم منهما جميعا بكلام واحد كان أحدهما فضلا لا يحتاج اليه، و ان تكلم به من الآخر لم يدر السامع بأى ذلك يأخذ و أشباه هذا من الأخطا...». و بعد أن تحدث عن الرأس... و أظهر حكمهالله فى خلقه فردا لا ثانى له... انتقل الى اليمين ليرينا بأسلوبه العلمى حكمه رب العالمين فى خلقهما زوجا. قال: «و اليدان مما خلق أزواجا، و لم يكن للانسان خير فى أن يكون له يد واحدة، لأن ذلك كان يخل به فيما يحتاج الى معالجته من الأشياء». ثم يوضح لنا فيعطينا مثلا على ذلك فيقول: «ان النجار و البناء لو شلت احدى يديه، لا يستطيع أن يعالج صناعته و ان تكلف ذلك لم يحكمه، و لم يبلغ منه ما يبلغه الا اذا كانت يده تتعاونان على العمل». ثم يتابع عليه السلام الحديث عن المخ.. و الدم.. يقول العلماء ان المخ هو: معظم المادة العصبية فى الرأس، أو هو الدماغ كله.. و النسيج العصبى يكون المخ من النسيج التى عدد خلاياها محدوده منذ الولاده.. و لا يزيد عددها بعد الولاده... و لا يمكن تعويضها.. و هى سريعة التلف، لذلك أطلق عليها العلماء اسم «النسيج النبيله». و لأن هذا النسيج تتولى القيادة و السيطرة على كل فعاليات الجسد من: ذكاء، و ذاكره، و حس، و حركه، و افراز غدد... قضت الحكمة الآلهيه أن تكون مستقره [صفحه ١٣٦] داخل حصن منيع من العظام لا يصل اليها ما يؤذيها أو يؤثر فى بنائها الضعيف.

وقد أدرك الامام الصادق عليه السلام هذه الحقيقه العلميه التي اكتشفها الطب بعده بمئات السنين. قال للمفضل: «فكر يا مفضل لما صار المخ رقيقا محضا في أناييب العظام» ثم يتساءل، و في تساؤله تحريض للعقل أن يكتشف مما أوجزه هو - تفصيل ما عرفه علم التشريح في العصور اللاحقه فيقول: «و هل ذلك الا ليحفظه و يصونه»؟؟. أجل يا امامي العظيم! أجل يا امامي العليم! فأنت الامام المعصوم و لا- تقول الا- الكلام الصواب و المعلوم: ما كان ذلك الا لتصان تلك النسج النيبه من التلف... لأن في تلفها اختلال نظام الجسد ثم الموت... ثم ينتقل بعد هذه اللمحه العابره عن المخ الى: الدم: هذا السائل الأحمر المكون من كريات حمر و كريات بيض بعدد محدود، و مصل. هو المسؤول عن نقل المواد الضاره التي تنتجها الخلايا من غاز «ثاني أكسيد الكربون» عن طريق التنفس.. و التعرق... و الجهاز البولي... و كما يؤمن نقل غاز الحياه. «غاز الأوكسجين» لكل خليه في الجسم... و كل خليه لا- تتردد فيها أنفاسه الطيبه تصير الى الهلاك. تلك هي الوظيفه التي خص بها الله جل و علا الدم، لكي يحفظه من «الأرواح الشريره» فهياً له حصنا هو: الأورده و الشرايين التي يجرى فيها، و قد جعلها مرنه جدا، تتحمل الضغط و لو كان شديدا.. و تتحمل الطي و الانثناء... و كل نوع من أنواع الحركه.. و امام العلماء، الصادق عليه السلام كان على علم بكل هذه الحقائق العلميه... و قد سمى «الأوعيه الدمويه الشرايين و الأورده» عروقا و هي تسميه عربيه أصيله، يقول للمفضل: «لم صار الدم سائلا محصورا في العروق، بمنزله الماء في الظروف الا لتضبطه فلا يفيض»؟. ثم يتابع

حديثه عن الحلق و ما يحمل من أسرار.

الحلق

و هو كما عرفته معاجم اللغة «مساغ الطعام و الشراب الى المرى ء». [صفحه ١٣٧] أما علم التشريح فيعرفه بأنه ملتقى طريقي: التنفس و الهضم فى نهايه الفم باتجاه الرقبه، و يقع فى مؤخره الفم... و فيه زائده لحميه هى: اللهاه، و هى تغلق مجرى التنفس أثناء بلع الطعام، و عندما يغلق مجرى التنفس ينزلق الطعام و الشراب الى الأنبوب العضلى المرن المسمى: المرى ء و منه الى المعده... فما قال الصادق عليه السلام عنه؟. قال مرشدا الى الخالق العظيم: «من جعل فى الحلق منفذين: أحدهما لمخرج الصوت و هو الحلقوم المتصل بالرئه... و الآخر منفذا للغذاء، و هو المرى ء المتصل بالمعده، الموصل الغذاء اليها ثم يتابع قوله: «و جعل على الحلقوم طبقا يمنع الطعام أن يصل الى الرئه... فيقتل...». فاذا دققنا النظر بقول الامام فى الحلق وجدناه ينطبق تماما على ما قاله العلم الحديث الذى توصل بعد أعوام طويله و تجارب كثيره الى ما أثبتته الامام منذ مئات السنين. و قد سمي الامام «اللهاه» طبقا و هى تسميه فذه لأنها تنطبق على فتحه مجرى التنفس فتمنع من دخول الطعام و الشراب الى القصبة الهوائيه التى تنتهى بالرئه... انه كلام العالم الذى لم يترك هنه بسيطه الا ذكرها بأسلوب علمى سبق فيه علماء هذا العصر زما طويلا. و غايته بيان عظمه الخالق و ما فى مخلوقاته من دقه الصنع و الكمال و من الحلق تابع عليه السلام الى:

الأذن

يقول علماء العصر الحاضر عن الأذن و وظيفتها ما خلاصته: «عندما تلامس الاهتزازات الصوتيه الصيوان يوجهها نحو غشاء الطبله الى داخل الأذن فتتهتز معه العظيما السمعيه، و ينقل هذه الاهتزازات الى السائل البلغمى الداخلى الموجود ضمن الحلزون الذى يهتز

بدوره، و ينبه ألياف العصب السمعي فينقلها هذا الى مركز الدماغ». و يقول الامام الصادق عليه السلام: «لم صار داخل الأذن ملتويًا كهيئته اللولب الا [صفحہ ۱۳۸] ليطرد فيه الصوت حتى ينتهي الى السمع، و لتكسر حمة الريح فلا- ينكأ السمع». فالعلم الحديث وصف الالتهابات التي داخل الأذن بأنها حلزونية... و الامام الاصادق عليه السلام وصفها بأنها لولبية... و أننا نرى أن وصف الامام أكثر دقة لغويته.. كما أنه ألطف وقعا في السمع... فما اكتشفه العلم الحديث يصبح شرحا لعبارات الامام. و الامام يقول: ان الهواء هو الذي ينقل الصوت من خارج الأذن الى داخلها... و ان الحكمة من تجويف الأذن... و اللولب الداخلى أن يرق الهواء شيئًا فشيئًا.. كيلا تتأذى أجهزه الأذن الداخليه. و عبارته العلماء تقول: ان الصيوان يوجه الاهتزازات الصوتيه الى داخل الأذن.. و من المعلوم أنه لو لا- الهواء الذي ينقل الصوت من الخارج الى الصيوان.. ثم الأذن الداخليه لما حصل اهتزاز، فعبارته الامام كما هو واضح، تتبوأ القمه فى التعبير العلمى. يقول محمد الحسين المظفرى تحت عنوان الطب: «و كفى دلالة على علم الصادق بالطب، ما جاء فى توحيد المفضل من الأخبار عن الطبائع و فوائد الأدوية و ما جاء فيه من معرفه الجوارح التى تكفل بها علم التشريح و غيرها مما له ربط بصحة الانسان و مزاجه» [۱۷۲]. و من أعضاء جسم الانسان التى لها الدور الأساسى فى تحريكه و تنميته و غذائه:

القلب

تحدث الامام الصادق عليه السلام عن القلب و ما فيه من لطف فى الصنع فقال: «ان فى القلب ثقباً موجهه نحو الثقب التى فى الرئه تروح عن الفؤاد و لو اختلفت تلك الثقب، و ترايل بعضها

عن بعض، لما وصل الروح الى الفؤاد». فما هذه الثقب التي يذكرها الامام؟ و ماذا يقصد بعباراته؟. [صفحه ١٣٩] لنسأل أطباء العلم الحديث اليوم فماذا يقولون؟. يشير الثقب بوضوح الى أمور عدة: ١- الشريان الرئوى الذى يخرج من البطن الأيمن فى القلب و يحمل معه الدم القاتم الذى يحمل (ثانى أو كسيد الكربون) الى الرئتين عبر الشريانيين الرئويين. ٢- ثبت علميا أن هناك أربعة ثقب فى الأذنين الأيسر للقلب تحمل الدم الأحمر القانى الغنى «بالأوكسجين» و القادم من الرئتين فى الأورده الرئويه الأربعة.. مما لا ريب فيه أن كلمات الامام عليه السلام عن القلب و ثقبه المتصله به، فيه سبق علمى بعيد المدى للذين جاؤوا بعده و بحثوا فى دوره الدم. و منهم العالم الالمانى (و ليم هارفى) مكتشف الدوره الدمويه. و من جسم الانسان و حواسه الى الأغذيه و منافعها. و الغذاء مهم جدا قبل الدواء.

منافع الأغذيه

قال المرحوم الدكتور صبرى القبانى فى كتابه المعروف: «الغذاء لا الدواء». من المعروف أن حياه الانسان تستمر به عن طريق الطعام و الشراب و الطعام منه الحيوانى.. و منه النباتى. و قد حلل العلم الحديث أنواع الأطحمه فى المخابر و بين فوائدها الغذائيه و ما تحتوى من فيتامينات A. B. C. D. و الامام الصادق عليه السلام له اليد الطولى فى هذا المجال، و أى ساحه من ساحات العلم الا و له ضلع ضليع فيها! تحدث عن عدد من صنوف الأغذيه النباتيه.. و أبان منافعها... و اذا قارنا بين ما اكتشفه العلماء فى مختبراتهم الحديثه بعد التجارب المتعدده.. و بين أقوال الامام منذ مئات السنين... وجدنا العلم الحديث لم يقل شيئا جديدا يختلف عما قاله الامام عليه السلام. و سوف

نورد طائفه من الأغذيه النباتيه و أقوال الامام عليه السلام فى قيمتها الغذائيه. [صفحه ١٤٠] ١- قال عليه السلام «كلوا الثوم فان فيه شفاء من سبعين داء» [١٧٣] قال تعالى فى فوائده الكثيره «و اذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها و قثائها و فومها و عدسها و بصلها...» [١٧٤]. كما ورد ذكر الثوم فى الحديث الشريف أكثر من مره. قال صلى الله عليه و آله و سلم: «الثوم من طبيبات الرزق» [١٧٥] يعنى الحلال. ٢- و قال الامام الصادق عليه السلام: كل البصل فان له ثلاث خصال: يطيب النكهه، و يشد الله، و يزيد فى ماء الجماع. ٣- كل الفجل فان فيه ثلاث خصال: ورقه يطرد الرياح، و لبه يسهل البول و الهضم، و أصوله يقطع البلغم. ٤- الجزر أمان من القولنج، مفيد للبواسير، معين على الجماع. ٥- كلوا الباذنجان، فانه جيد للمره السوداء، و لا يضر الصفراء و يذهب بالداء، و لا داء له. ٦- العنب يشد العصب، و يذهب النصب، و يطيب النفس. ٧- كل التفاح فانه يطفىء الحرارة، و يبرد الجوف، و يذهب الحمى و قال: لو علم الناس ما فى التفاح ما داووا مرضاهم الا- به، ألا انه أسرع شىء الى الفؤاد خاصه، فانه يفرحه. و قال: أطعموا محمولكم التفاح. ٨- اطعموا صبيانكم الرمان فانه أسرع لشبابهم. و قال: كلوا الرمان بشحمه، فانه يدبغ المعده، و يزيد فى الذهن... و قال: من أكل سفرجله على الريق طاب ماؤه و حسن، و أكله قوه للقلب، و ذكاء للفؤاد و هو يحسن الوجه. [صفحه ١٤١] ٩- و قال عن التين:

ان التين يذهب بالبخر، و يشد العظم، و ينبت الشعر، و يذهب بالداء، و لا يحتاج الى دواء. ١٠- و قال عن التمر: فيه شفاء من السم، و لا داء فيه، و لا غائله، و من أكل سبع تمرات عجوه عند صباحه قلت الديدان في بطنه». ١١- و قال عن الخس: «عليكم بالخس فانه يصفى الدم». ١٢- و عن الهندباء: «نعم البقله الهندباء، فانه يزيد في الماء، و تحسن الولد». و اذا أردنا المقارنه بين ما ذكره الامام و بين ما أورده كتاب «الغذاء لا الدواء» للدكتور صبرى القباني نجد أن كل كلمه من كلام الامام ينضح منها الفائده المرجوه لغذاء الجسد. و زد على ذلك ما قاله الامام من نصائح طبيه صلبها في قوالب من الحكمه لتكون نظاما مفيدا و ثابتا لحياه صحيه سعيده. «قال عليه السلام: غسل الاناء، و كنس الفناء مجلبه للرزق. أقلل من شرب الماء فانه يمد كل ماء. لو اقتصد الناس في المطعم لاستقامت أبدانهم. اغسلوا أيديكم قبل الطعام و بعده. ان لكل ثمره سماء فاذا أتيتم بها، فأمسوها الماء، و اغسلوها بالماء (أى اغسلوا جيدا). الاستلقاء بعد الشبع يسمن البدن، و يمرىء الطعام و يسلب الداء» [١٧٦]. و الحقيقه ان من يدخل الى محراب علوم الصادق و جامعته العظيمه يحتار [صفحه ١٤٢] و يقف مبهورا أمام هذه الشخصيه الكبيره و المعطاءه فى جميع حقول المعرفه، فعن أى شىء يكتب؟ عن علومه... و مكارم أخلاقه... و عدالته.. و زهد... و انسانيته و حبه للناس جميعا و صبره على ما لاقى من المعاناه و المؤامرات... انه عنوان كبير لأطروحه ضخمه فى العروبه و الاسلام و العالم فى التشريع، و العلوم، و الاقتصاد،

و السياسه، و الاجتماع و الحضاره.. و أخيرا من أراد أن يكتب عن دائره المعارف الصادقيه يبدأ... و لا ينتهى. فهو أشبه بمن يغرف من البحر «بالصدفه». و فى ذكر مدرسه الصادق عليه السلام من أطف الكلمات ما جاء فى الخلاصه للخزرجى: الامام الصادق هو سيد أهل البيت فى عصره و وراث علم جده، و كان لأهل البيت نشاط علمى فلا غرابه ان اتجهت اليه الأمه الاسلاميه تنهل من ينبوع علمه، فضلا عن أنه قد اتصف بجميع الصفات التى تؤهله لأن يتزعم الحركه العلميه فى عصر نهضتها، و قد: «نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، و انتشر صيته فى جميع البلدان، و روى حديثه خلق لا يحصون» [١٧٧]. و جاء عن دار التقريب المصرى كلمه لطيفه أخرى عن الصادق عليه السلام: «و كانت له نواح كثيره يعذب فيها القول، و تفيض فى شأنها المعانى و الدراسات، و من أبرز ذلك: أنه عليه السلام كان بشخصيته و علمه موضع احترام و تقدير و حب، من أهل الايمان و العلم فى عصره، لا فرق بين الخاصه و العامه، و لا بين من يتبعونه و يعتقدون بأحقيه و من يتبعون المذاهب الأخرى. كلهم عرفوه اماما جليلا، و كلهم عرفوه علما قويا، و كلهم عرفوه صادقا اذا حدث، و منصفا اذا فكر، لا هدف له الا الحق، و لذلك لقب بالصادق، و هى نفحه من نفحات جده الأعظم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حيث كان ملقبا بالصادق [١٧٨]. [صفحه ١٤٣

و مما قاله فى خلق الانسان و تركيبه

قال عليه السلام: عرفان المرء نفسه أن يعرفها بأربع طبائع و أربعه دعائم، و أربع أركان. فطبائعه: الدم و المره و الريح

و البلغم. و دعائمه: العقل و من العقل الفهم و الحفظ. و أركانه: النور و النار و الروح و الماء. و صورته طينته. فأبصر بالنور و أكل و شرب بالنار، و جامع و تحرك بالروح. و وجد طعم الذوق و الطعام بالماء فهذا تأسيس صورته. فإذا كان تأييد عقله من النور كان عالما حافظا ذكيا فطنا فهما و عرف فيما هو، و من أين يأتيه، و لأي شىء هو هاهنا، و الى ما هو صائر، باخلاص الوجدانيه و الاقرار بالطاعه و قد تجرى فيه النفس و هى حاره، و تجرى فيه و هى بارده، فإذا دخلت به الحراره أشر [١٧٩] و بطر و ارتاح و قتل و سرق و بهج و استبشر و فجر و زنى و بذخ. و اذا كانت بارده اهتم و حزن و استكان و ذبل [١٨٠]. و نسي، فهى العوارض التى كون منها الأسقام و لا- تكون أقل ذلك الا بخطيئه عملها فيوافق ذلك من مأكلا أو مشرب فى حد ساعات لا تكون تلك الساعه موافقه لذلك المأكلا و المشرب لحال الخطيئه فيستوجب الألم من ألوان الأسقام. [صفحه ١٤٤] ثم قال عليه السلام: انما صار الانسان يأكل و يشرب و يعمل بالنار و يسمع و يشم بالريح و يجد لذه الطعام و الشراب بالماء و يتحرك بالروح. فلولا أن النار فى معدته لما هضمت الطعام و الشراب فى جوفه، و لولا الريح ما التهبت نار المعده و لا خرج الثفل من بطنه و الروح جاء و لا- ذهب. و لولا يرد الماء لأحرقته نار المعده. و لولا النور ما أبصر و لا عقل. و الطين صورته و العظام فى جسده بمنزله

الشجر فى الأرض. و الشعر فى جسده بمنزله الحشيش فى الأرض. و العصب فى جسده بمنزله اللحاء على الشجر [١٨١]. و الدم فى جسده بمنزله الماء فى الأرض. و لا قوام للأرض الا بالماء و لا قوام لجسد الانسان الا بالدم. و المخ دسم الدم و زبده. فهكذا الانسان خلق من شأن الدنيا و شأن الآخرة فاذا جمع الله بينهما صارت حياته فى الأرض، لأنه نزل من شأن السماء الى الدنيا، فاذا فرق الله بينهما صارت تلك الفرقه الموت يرد شأن الآخرة الى السماء. فالحياء فى الأرض، و الموت فى السماء، و ذلك أنه يفرق بين الروح و الجسد فردت الروح و النور الى القدره الأولى و ترك الجسد لأنه من شأن الدنيا. و انما فسد الجسد فى الدنيا لأن الريح تنشف الماء فييبس الطين فيصير رفاتا و يبلى و يرد كل الى جوهره الأول. و تحركت الروح بالنفس و النفس حركتها من الريح، فما كان من نفس المؤمن فهو نور مؤيد بالعقل. و ما كان من نفس الكافر فهو نار مؤيد بالنكراء، فهذا من صورته ناره و هذا من صورته نوره. و الموت رحمه من الله لعبده المؤمن، و نقمه على الكافر. و لله عقوبتان احدهما من الروح و الأخرى تسليط الناس بعض على بعض فما كان من قبل الروح فهو السقم و الفقر؛ و ما كان من تسليط فهو النقمه و ذلك قول الله عزوجل: «و كذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون» [١٨٢] من [صفحه ١٤٥] الذنوب. فما كان من ذنب الروح فعقوبته بذلك السقم و الفقر. و ما كان من تسليط فهو النقمه. و كل ذلك عقوبه للمؤمن فى

الدنيا عذاب له فيها. و أما الكافر فنقمته عليه في الدنيا و سوء العذاب في الآخرة. و لا يكون ذلك الا بذنب من الشهوه. و هي المؤمن خطأ و نسيان و أن يكون مستكرها و ما لا يطيق، و ما كان من الكافر فعمد و جحود و اعتداء و حسد و ذلك قول الله عزوجل: «كفاراً حسداً من عند أنفسهم» [١٨٣]. [صفحة ١٤٧]

دور الامام في الحياه الاجتماعيه

الامام الصادق... و تطور المجتمع

اشاره

في مجتمع المدينه المنوره انداحت دوائر الحوار لتصبح جدالاً.. و زاد الجدل فأصبح خصاماً، و أكثر الناس يتجادلون و يختصمون فيثرون بينهم نزاعاً حاراً بشأن الحلال و الحرام في العلوم و الأعمال و الصناعات و أنواعها، فأى الأعمال حلال... و أيها حرام؟ و أيها يقر الشرع حليته... و أيها يحرمه؟. و الامام ينقل اليه كل ما يدور بين الناس في أسماهم و مطارح أعمالهم. فماذا تراه يفعل؟ لقد كان ثوره حيه تزخر بالنشاط لبناء مجتمع صالح على القواعد التي رفعها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و التي مسيرتها جده الامام على بن أبي طالب و تابع القيام بها بأمر قرآني الامام الحسن عليه السلام و الامام الحسين عليه السلام و الامام زين العابدين و الامام الباقر عليهم السلام كل منهم حسب ظروفه و امكاناته المتوفره حوله. و الامام الصادق قام بواجبه الشرعي الذي أملاه عليه دينه و ضميره فدعا الناس الى سلوك سليم و نهج قويم فيه حياه رضيه تنشده التجدد الخير و الاستعلاء فوق كل ما يعوق حركه المد الحضاري و الاصلاح الاجتماعي... مده... و روحاً. و لذلك كله جعل السكينه تبسط جناحيها الرحيمين على الناس جميعاً بالنسبه [صفحة ١٤٨] للعلم و العمل فقال عليه السلام: «كل شىء فيه صلاح للناس

بجبهه من الجهات، فهذا كله حلال.. و كل أمر فيه وجه من الفساد، فهذا كله حرام». أما بالنسبه للصناعات و أنواعها.. فقد قال: «كل ما يتعلم العباد أو يعلمون غيرهم من صنوف الصناعات، و أنواع صنوف الآلات التي يحتاج اليها العباد، التي منها منافعهم، و بها قوامهم، و فيها بلغه جميع حوائجهم، فحلال فعله و تعلمه، و العمل به..» [١٨٤]. هذا هو الاسلام الغنى و المفيد لكل عمل حضارى جديد، علما كان أو عملا أو صناعه... ما دام يظل على المجتمع ضلالا خصبا مباركا.. و عيشا كريما رغدا و سلما و راحه و محبه.

الصادق... و الأخلاق

قال الحكماء: الأخلاق الفاضله نسغ الحياه.. فاذا انحطت الأخلاق يأخذ نسغ بالجفاف و تتعطل الفضيله عن سيرها المبارك. و بمقدار الطاقه التي تنحرف فيها الأخلاق عن صراط الله المستقيم يكون جفاف نسغ الحياه. و حقا ان الأمم الأخلاق... قال الشاعر: و اذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقم عليهم مأتما و عويلا و قال آخر: و انما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا الامام الصادق، حفيد الرسول الأعظم، بحر زاخر بأخلاقه العالیه، و أفضل وصف لجده صلى الله عليه و آله و سلم قول الله عزوجل: «و انك لعلی خلق عظیم [١٨٥]» و قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «أقربكم منى مجالسا يوم القيامة أحسنكم» [صفحه ١٤٩] «أخلاقا» [١٨٦] أراد الامام عليه السلام و هو الأخ الشقيق و الأب الكريم، لكل مسلم مؤمن أن يكون مجلسه يوم القيامة فى الجنه قريب من مجلس رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من أجل ذلك كان دأبه فى جامعته العلميه.. و فى أفعاله

القويمه و فى أقواله السديده العمل الصالح، ليجعل الأخلاق القرآنيه العاليه و الصفات الانسانيه الساميه تجرى فى صدور المسلمين المؤمنين دما نقيًا و ضياء منيرا و رحمه و روحا. جاءه يوما رجل ينضح من عينيه بريق سؤال... و يطمح بالاجابه، على تردد أول الأمر ثم تشجع و سأل الامام عليه السلام فقال: «أريد أن تعلمنى ما أنال به خير الدنيا و الآخره، و لا تطول على...» فأجابه الامام عليه السلام بجواب قصير جدا و بعيد المرمى جدا، كلمتان لا غير قال له: «لا تكذب». عبارته كافيته وافيته، كامله شامله، و ما أرحب ما تنطوى عليه من معان لا تكذب. الكذب بالايمان بالله، فالرجل الذى يعتقد أنه مؤمن بالله... و لا يعمل بما أمره به... و لا يترك ما نهاه عنه هو كاذب فى ايمانه و المحدث بنوہ رسول الله، و ما أنزله عليه... و لا يعمل بتعاليمه هو كاذب. و الذى يغش الناس فى تعامله معهم فهو خائن و كاذب و الذى يستيقن فى نفسه الايمان، و لا يحب فى الله و يبغض فى الله هو كاذب. و الذى لم يصدق المؤمن بالله و رسوله مع الأئمه من أهل البيت فيرى لهم حق الولايه.. و هو كاذب. و الذى يعمل المعروف رياء... حبا بالوجهه فى الدنيا هو كاذب، و من يجاهد و لم يكن جهاده لجعل كلمه الله هى العليا هو كاذب و اذا اقتترف منكرا.. أو فاحشه... قولاً... أو فعلاً... و سئل عنه فأنكر هو كاذب. و الذى يداهن أهل المعاصى و يمشى فى ركابهم هو كاذب. [صفحہ ۱۵۰] و الذى لم يأمر بالمعروف، و ينه عن المنكر.. هو كاذب. و الذى يقول بلسانه غير

ما يجرى فى خاطره... هو منافق و كاذب. و الذى لا يكون صادقا مع ربه و نبيه و مع زوجته و أولاده.. و مع جيرانه و مجتمعه. هو أيضا كاذب. و بعد، فالكذب هو المدخل الى كل رذيله خلقيه..، دينيه أو اجتماعيه. و كما قالوا: الكذب يعرى الحياه من كيانها الانسانى الأصيل. فعلى المؤمن بالله و رسوله و أهل البيت عليهم السلام قولاً و فعلاً أن يكون صادقا. لأن الصدق منجاة و تقدير و احترام و به يتربع الصادق على قمم الفضائل الانسانيه، فيبنى شخصيته بناء شامخاً راسخاً من جميع جوانب الحياه الماديه و الروحيه و الفكريه و الأخلاقيه. ان المجتمع الصادق الذى يتطهر من رذيله الكذب و خبائثه تتبدل الحياه به تبديلاً جذرياً بكل معالمها و تشرق الأرض بأنوار الصدق التى تنمو فى أفئده الناس و أحاسيسهم نعيماً رضياً و صفاء خالصاً لا يعرف أبداً جرائم الكذب و شرور المفاسد. و الصادق ينال خير الدنيا و الآخره، و ما أنبل الامام الصادق اسم على مسمى فى عطائه الكثير الكثير... فى مجده الكبير.. الكبير.

الصادق و العداله

قال الحكماء: العدل أساس الملك. و الله سبحانه و تعالى أرسل الأنبياء فيما أرسل ليثبت سلطان العدل و ينصف الضعفاء المظلومين.. من بطش الأقوياء الظالمين. و الله جل و علا يأمر الحكام - أصحاب الولايه، أن يعدلوا مع جميع خلق الله حتى مع أعدائهم الذين يصلونهم نار البغضاء.. يقول تعالى: «و لا يجرمنكم شنآن [صفحه ١٥١] قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى» [١٨٧]. و العدل مطلوب فى القول و العمل. قال تعالى: «و اذا قتلتم فاعدلوا و لو كان ذا قربى» [١٨٨]. و الحاكم فى الاسلام

الذى يتولى سياسته الناس يجب أن يكون متميزا بعقله، فقيها في دينه، عالما بما شرع الله من أحكام في كتابه العزيز... ليعرف معرفه يقينيه كيف يطفىء جمر الظلم بمراحم العدل... وبذلك تكون ولايته مصدر سلام للجميع و أمن و راحه و محبه. و الامامه بنظر الامام الصادق، نوعان: ١- ولايه عدل. ٢- ولايه جور. فحكم الوالى العادل يتفتح عنه النعيم الشهى و يتفتق من طياته الأمن و الأمان. يقول الامام الصادق عليه السلام عن الوالى العادل: «ان فى ولايه والى العدل و ولايته احياء كل حق، و كل عدل، و اماته كل ظلم، و جور، و فساد، فلذلك كان الساعى فى تقويه سلطانه، و المعين له على ولايته، ساعيا الى طاعه الله مقويا لدينه» [١٨٩]. فتأمل هذه العبارات القليله بحجمها و مفرداتها و العميقه فى أبعادها و دلالاتها، و التى تصلح أن تكون عنوانا ضخما لتأليف كتاب عن حكومه الوالى العادل... ثم تأمل الصوره الثانيه التى ينقلنا اليها: «ولايه الحاكم الجائر الذى يدوس بمنكراته قداسه الحق فيظلم العباد و يشعل النار فى البلاد و ينشر فيها الجور و الفساد، و هو بذلك يعطل العمل بأحكام كتاب الله..». و الامام الصادق، من أجل أن يرخى على المجتمع مغام الخير و الرخاء [صفحه ١٥٢] و يضىفى على معالمه الجمال و الهناء... و يحرم على المؤمنين العمل مع الظالمين السالكين نهج الشيطان و المتمردين على نهج القرآن. و فوق هذا ينذرهم الامام: الحاكم الظالم و المتعاونين معه بالعذاب الشديد. و من خلال هذا الانذار نراه و كأنه يدعو الشعب الى الثوره على الظلم، و محاربه الظالمين بالسلاح المناسب فى الوقت المناسب. و هو بذلك يستمد

معانى دعوته الحاره الى الثوره من جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الذى قال: «من رأى سلطانا جائرا، مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنه رسول الله، يعمل فى عباد الله بالاثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا بقول، كان حقا على الله أن يدخله مدخله» [١٩٠] والامام الصادق يطبق رأى جده صلى الله عليه وآله وسلم و يسير مسيرته فيقول: «و أما ولايه الوالى الجائر، و ولايه ولايته، و العمل لهم، و الكسب معهم بوجهه الولايه لهم، فحرام، و محرم، معذب فى النار من فعل ذلك، على قليل من فعله أو كثير، و ذلك لأن فى ولايه الوالى الجائر دوس الحق كله، و اظهار الجور و الظلم و الفساد و ابطال الكتب. و لذلك حرم الله العمل معهم، و معونتهم و الكسب معهم، الا بوجهه الضروره، نظير الضروره الى الدم و الميته» [١٩١]. من هنا نستطيع القول أن الدين الاسلامى دين عالمى.

عالميه الاسلام

يضع الامام الصادق قواعد أساسيه ثابتة لانسانيه الانسان، كلمات غراء يسطع منها عبير الانسانيه العطر. فالحسب و النسب و الكرم عند الامام عليه السلام له وجه مغاير لما يراه غيره من الفخورين المتغطرسين الذين يهزون أعطافهم معجبين بأنفسهم فخورين بحسبهم و نسبهم. يرى الام عليه السلام أن نسب الرجل - أى رجل - عقله المنور بالوعى يعبد به [صفحه ١٥٣] الله، و يمسكه عن ايقاع الضرر بغيره من عبادالله. كما يرى حسب الرجل دينا رحمانيا يغذيه ثمار التلاحم الانسانى المنسوج من ضياء المحبه، و يعلى مكانته عقب المحبه المعطر بروح الايمان و زيت المعرفه. و يرى كرمه طاعه لله مشرقه تتدفق

من عبير قول الله عزوجل: «و تعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الاثم و العدوان و اتقوا الله ان الله شديد العقاب» [١٩٢]. و يرى الناس - كل الناس - اخوه، أبوهم آدم و أمهم حواء، لا فرق بين عربى أو أعجمى أو أبيض أو أسود الا بالتقوى. و أنبل الناس أتقاهم، الذى يعمل بكتاب الله و سنته، بتضحيه و اخلاص، لتنقيه المجتمع البشرى من الشوائب و المفسد، و لتطويره فى سلم الحياه الحضاريه الراقية. يروى فى هذا المجال أن الامام الصادق عليه السلام سأل عن رجل من أهل السواد كان يتردد عليه، ثم انقطع عنه مده، فاستغرب نفر من الحضور و حاولوا أن يهونوا من شأن الرجل، فقالوا للصادق: «انه نبطى» فماذا قال لهم الامام؟ لقد قال لهم زاجرا: «أصل الرجل عقله، و حسبه دينه، و كرمه تقواه، و الناس فى ذلك متساوون» فلا عرق و لا عنصر و لا لون و لا- عشيره، ذلك هو الاسلام. قال تعالى: «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا ان أكرمكم عندالله أتقاكم...» [١٩٣] فالتقوى فى الاسلام هى ميزان التفاضل بين البشر و ليس المال و العشيره و العرق و الجنس و اللون، كل هذه العناصر لا قيمه لها دون التقوى. و كما ترى هكذا يضىء الامام قلوب الناس بزيت الحياه و نور المعرفه.

دور العلماء فى الحياه الاجتماعيه

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم «العلماء ورثه الأنبياء» و الأنبياء هم القدوه الفضلى [صفحه ١٥٤] للناس، منارات هدايه على مفارق دروب الحياه. و قال الامام الصادق عليه السلام اذا رأيتم العلماء الفقهاء يركبون الى الحكام فاتهموهم. فالأنبياء

عليهم السلام جاؤوا ليدمروا بروج الظلم و الطغيان و يرشدوا الانسان الى معالم الحياه الحره الكريمه. و الفقهاء، و هم ورثتهم نهجوا نهجهم السمع، و خطهم السليم الرحيم و عملوا لخير الجماعه الانسانيه من أى عرق و لون. لكن حين يمضى هؤلاء الى الحكام يتزلفون اليهم و يتمسحون، رغبه بملاذ الدنيا و مصالحهم الشخصيه، فانهم يفتحون لهم الأبواب على مصاريعها و يهشون لهم... ثم لا يمضى وقت طويل أم قصير حتى يستحوذوا عليهم و يذللوهم لأهوائهم السياسيه... و يتخذون منهم وجه دعايه لهم يلهون بها جماهير الشعب. و عندها يفسح المجال لهم فلا- رقيب على جرائمهم الأخلاقيه، و لا- حسيب على ممارساتهم الاجتماعيه الظالمه. فالفقهاء المخدوعون غطاء مناسب للحكام الظالمين الذين أصبحوا بأمن من غضب الجماهير و عقابها و لو لوقت معين. من أجل ذلك حذر الامام الصادق عليه السلام الشعب منهم، و طلب منه أن يضعهم فى قفص الاتهام، حين يركبون الى الحاكم و يضعون علمهم و معرفتهم فى خدمته. حذر الامام الشعب لكى لا يخدع بما يبدونه من مظاهر النسك و الصلاح و التقوى، بينما هم فى الحقيقه يتلبسون المكر تليسا فحبهم الزائد للدنيا و طمعهم فيها أنساهم حب الله الذى لم يجد له مسكنا فى قلوبهم، ولو وجد له مسكنا لما مضوا الى الحكام سائلين صاغرين.. لأن من يفتح قلبه لحب الله و رسوله، لا يسأل غير الله و لا يخشع لمخلوق عاجز مثله، و لا يرى عظيما الا الله. و لا يسجد الا لله و لا يعظم الا شعائر الله. فيحب فى الله و يكره فى الله و يعمل فى سبيل الله.. ان الفقيه المؤمن لا يتخذ من الدين وسيله للكسب المادى و لا

يسيح بحمد أحد من العالمين، فما التسييح و الحمد الا لرب العالمين، الفقيه المؤمن لله يطلب من الحاكم أن يعود الى الصراط المستقيم حين يراه ناكبا عنه. و الفقيه الحق، لا يرى الدنيا من خلال ذاته و مصالحه الفرديه، بل يراها من خلال مصالح الجماهير.. لأنه مسؤول عن تطبيق أحكام الله العادله و مسؤول عن [صفحه ١٥٥] رفاهيه و سعادته شعبه فى مستوى طاقاته العلميه و الاجتماعيه و الثقافيه. و بذلك يكون الفقيه الحق مصباحا منيرا تستضىء الأمة بنور توجيهه السليم الذى اقتبسه من كتاب الله الكريم و سنه رسوله الشريفه، أما حين يجعل من نفسه مطيه للحاكم و أرباب المناصب.. و المترفين.. فانه لا ريب يخون الأمانه العلميه الملقاه على عاتقه تجاه رب العالمين.. انه يكون راضيا بما يفعله الحكام الظالمون، بل يكون عوناً لهم، و شريكا فى آثامهم.. لذلك حذر الامام الصادق عليه السلام من هذه الطغمه من الفقهاء.. و ناشد المسلمين و خاطبهم جيلا بعد جيل: «إذا رأيتم الفقهاء يركبون الى الحكام فاتهموهم». أى انبذوهم و لا تثقوا بهم لأنهم يتخذون من الدين وسيله.. للتعلم فى أحضان شهوات الدنيا الآثمه. ان الدين عندالله الاسلام، و من رضى غير الاسلام دينا فلن يقبل منه و هو فى الآخره من الخاسرين، و الاسلام محبه و اخاء و تعاون، و الاسلام تسامح بين عبادالله الصالحين، و قد جعل من هذا التسامح اكسيرا يجددون به شباب الحياه و محاسنها، فهو يشد القلب الى القلب و الفكر الى الفكر و يؤلف بين قلوب آدم و حواء. و من روح هذا المبدأ الرحمانى - الانسانى قول الله فى كتابه العزيز: «انما المؤمنون اخوه فأصلحوا بين أخويكم» [١٩٤].

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الإنسان أخ الإنسان أحب أم كره». و من فرقان هذا المبدأ الراشد القويم، يرى الامام الصادق عليه السلام العالم كله وحده اجتماعيه متكامله.. فلا تفريق بين دين و دين، و انسان و انسان، فالناس كلهم عباد الله، و الدين كله لله و الأعمال تثبته. و لم ينس الامام الصادق قول جده رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الذي قال مبدأ عالميا يتناول جميع خلق الله بلا استثناء: [صفحہ ۱۵۶] «الخلق كلهم عيال الله و أقربهم اليه أنفعهم لعياله» [۱۹۵]. فتأمل هذا المجاز اللطيف، لأن عيال الله هم البشر عامه، و عيال الانسان من يعوله [۱۹۶] ثقلهم، و يهمله أمرهم، و الله سبحانه و تعالى لا تؤده [۱۹۷] الأثقال و لا- تهمة الأحوال، ولكنه سبحانه و تعالى لما كان متكفلا بمصالح عبادته يدر عليهم حلب الأرزاق، ويلم لهم شعث الأحوال، و يعود عليهم بمرافق الأبدان، و مرشد الأديان، شبهوا من هذه الوجوه بالعيال الذين في ضمان العائل، و كفايه الكافل.

الامام الصادق و سياسته الأمر الواقع

الامام الصادق عليه السلام هو امتداد لحياه العتره الطاهره من آبائه و أجداده حمله الرساله الاسلاميه و لسانها الناطق بكل معانى الدقه و التعبير و مع ذلك فقد كان لكل امام ظروف خاصه، و مظاهر تحمل بعض وجوه التمايز و الاختلاف تبعا للظروف السياسيه و الاعتبارات التى لا يمكن تجاهلها. ولكن مهما كانت تلك السمات و المظاهر فانها لا تؤثر على وحده الأهداف، و لا تتعلق بشكل من الأشكال الثوابت و القواعد للسياسه الاسلاميه العامه. و فى رحاب المنهج السياسى للامام الصادق نرى بوضوح رغم ما قيل عنه من تغييره الاستراتيجيه السياسيه عما نهجه آباؤه و

الثوار من أعمامه و اخوانه و أهل بيته... و رغم ما قيل من عزوفه عن التحركات السياسيه، و عدم تصديده جهارا للشوره و الجهاد المسلح ضد الدولتين اللتين عاصرهما الامام الصادق عليه السلام فالواقع يشير الى أن الدوله الأمويه كانت فى أخطر صراعها السياسى، تلفظ أنفاسها الأخيره تحت ضربات الثورات الحسينيه و الحسينيه و العباسيه و غيرها. و فى الوقت نفسه كانت لا تتورع عن ارتكاب أشنع الجرائم و أفضعها بحق معارضيها من الأفراد و الجماعات فى مكه و المدينه و العراق و يكفى دلاله على [صفحہ ۱۵۷] سجلها الحافل بالخزى و العار جرائم الحجاج بن يوسف و نظرائه من الحكام السفاحين المجرمين. و يكفينا ما ورد عن ابن أبي الحديد لمعرفة الواقع المأساوى المرير لحاله الشيعه مع الأمويين و مطاردتهم و قتلهم على الظن و الشبهه. قال الامام عليه السلام و قلبه يعتصر ألما و أسفا: «ثم جاء الحجاج فقتلهم - يعنى أهل البيت و شيعتهم كل قتله و أخذهم بكل ظنه و تهمه، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب اليه من أن يقال له شيعه على عليه السلام [۱۹۸]. كما عايش الامام الصادق عليه السلام الدوله العباسيه فى أول قيامها و ضعفها و امتدادا الى أيام طغيانها. و قد تصدى الامام لمواجهتها و فضحها و تعريه الزيف الذى اعتمده فى تسترها وراء طلب الرضا من آل محمد صلى الله عليه و آله و سلم للخلافه لتمرر من خلال ذلك الشعار العام أطماعها. عاش الامام الصادق فى مثل هذه الأجواء بكل ما لها من ملايسات فكريه و ظروف سياسيه، و بكل ما نجم عنها فى ذلك من شيوع مدارس الزندقه و الالحاد و ظهور

الفرق و المذاهب العقائديه و الفقيهيه. من هنا أسى ء فهم منهجيه الامام الصادق عليه السلام فى منهجه السياسى حيث اتهم من بعض الجماعات، حتى المقربين اليه، بالقعود عن الجهاد و اهمال العمل السياسى. كم اتهم من آخرين بالحسد على الثوار و الناهضين. و قراءه سريعه لظرف حياه الامام عليه السلام بين ولادته و حياته تكشف الكثير من الملابسات فقد ولد الامام الصادق عليه السلام فى عهد عبدالملك بن مروان بن الحكم، ثم عايش الوليد بن عبدالملك، و سليمان بن عبدالملك، و عمر بن عبدالعزيز، و الوليد بن يزيد، و يزيد بن الوليد، و ابراهيم بن الوليد، و مروان (الحمار) حتى سقوط الحكم الأموى ١٣٢ هـ. و لما آلت الخلافه الى بنى العباس عاصر من خلفائهم: [صفحه ١٥٨] أبا العباس السفاح، و شطرا من خلفه أبى جعفر المنصور تقدر بعشر سنوات تقريبا. و بذلك يكون الامام الصادق قد عاش أهم الأحداث و الثورات السياسيه التى حدثت خلال هذه الفتره. بما فى ذلك ثورات العلويين فى الحجاز و العراق، و بقايا الخوارج و أفكارهم السياسيه و الضباب الذى نشره فى الفكر الاسلامى، كما عاش حركات الانفصال فى أطراف الدولتين و ما صاحب كل ذلك من صراع دام على مختلف الأصعدة، و كل هذه العوامل تكرر سوء الفهم و تربك الوضع على الامام عليه السلام و بالتالى على الخط الأصيل لأهل البيت عليهم السلام. من هنا نشأ صراع فكرى نما و انتشر برعايه حكومات الجور و الانحراف و بدوافع عديده، كما نشأ أيضا صراع فقهى بين المدارس الفقيهيه الاسلاميه الذى هو الآخر نما و انتشر و وجد الجو المناسب فى تلك الفتره برعايه الحكام و الحكومات. و قد استمر هذا الصراع من أوائل القرن

الثانى الى منتصف القرن الرابع، حيث اتسعت الشقه بين مدرستى الرأى و الحديث اللتين ظهرتتا فى أواخر عهد الصحابه حيث تميزت المدرستان فى عهد الامام عليه السلام و اتسعت الشقه بينهما الى حد التخاصم والتكفير، حتى خرج أتباعهما الى ساحه المهارات و التكتل المذهبى و ما تبع ذلك من تبادل الاتهامات و تزيف الحقائق منها: الزندقه و المروق و الفكر و سواء استغلال الأفكار..

دور مدرسه أهل البيت

كان لمدرسه أهل البيت عليهم السلام بصوره عامه و لمدرسه الامام الصادق بصوره خاصه دور هام و شأن عظيم فى حمايه الفكر الاسلامى الأصيل و تثبيت أسسه و معالمه، و كبح الانحراف و التجاوز، و هو بلا شك دور عظيم لا يمكن تجاهله. و كان الامام الصادق عليه السلام هو المرجع الذى يلجأ اليه الفقهاء و العلماء و سائر رجالات الأمه الاسلاميه لصيانه الفكر الاسلامى من البدع المختلفه و اللوثات و مشاكل تلك المرحله. و يومها ظهرت مذاهب متعدده منها ما بقى الى اليوم، و منها ما انقرض و لم [صفحه ١٥٩] يبق منه الا الاسم. مثل مذهب الحسن البصرى، و مذهب سفيان الثورى، و مذهب الأوزاعى و ابن جرير الطبرى و غيرهم كان موقف الامام الصادق عليه السلام فى الوقوف فى وجه هذه التيارات المزيفه و الدعوات المضلله من أجل حمايه الفكر الاسلامى صريحا و حازما. لقد صارع القائلين بخالفه خط أهل البيت فأنكر القياس و نهى عن العمل به و كانت له جولات و مناظرات ناجحه أمام الجمهور. كل هذه الأمور أحدثت سوء فهم و أربكت الوضع الاجتماعى على الامام و على الخط الأصيل لأهل البيت.. خاصه ممن تصدوا للثوره و العمل السياسى و المواجهه المسلحه. فما كان من الامام المعصوم، الا

أن نهاهم عن ذلك التصدى، و حذرهم عواقبه و مخاطره. مما دفع بعضهم بجهل و بسوء فهم لانتهاج الامام الصادق بالحسد و التقصير و القعود عن حمل السيف. و تابعهم فى سوء الفهم هذا كتاب و مؤلفون بذروا بذور الشك فى أرض مناسبة و سقوها من ماء خلفياتهم و سوء مقاصدهم حتى نمت و ترعرعت فى أجواء الاتهامات و الشبهات.. و قد ساعد على انتشارها أفكار دخيله على الاسلام و قيمه و أحكامه، تسربت من العدو اللدود المزمع، اليهود، و من اسرئيلياتهم، و من بعض المستشرقين المشبوهين. الا أن المفكرين الواعين من الأمه و خاصه من تلامذه الامام الصادق و شيعته و قفوا أمام هذه التيارات المنحرفه و أدركوا أنهم أمام مدرسه سياسيه، مدرسه الامام الصادق، التى تعتمد الوسائل العلميه الناجحه و المناسبه لتلك الظروف. لقد عوا خط الامام السياسى و منهجه رغم اختلاف الوسائل المعتمده من الامام للعمل السياسى فى حينه. مدرسه الصادق هذه كانت امتدادا متكاملًا لمدرسه أهل بيت بكافه صورها و وسائلها... كانت حصنا حصينا فى وجه التيارات المنحرفه و البدع المضلله و الدعايات المقصوده. و ان من يتهم الامام عليه السلام فيتصوره معطلا للعمل السياسى هو مخطىء فى فهمه و اتهامه بلا ريب و لا شك. لقد كان لمجموع تلك الظروف و الملابسات التى أشرنا اليها فى حياه الامام و مناهجه تأثير بالغ الخطوره على سوء فهم الكثير [صفحہ ۱۶۰] و وقوعهم تحت خطأ التقييم، بل على سلوك البعض فى العقود عن الجهاد و العمل السياسى و تذرعهم «بالتقيه» المشوهه التى هى الأخرى وقعت تحت الظلال من الأصدقاء و الأعداء على حد سواء. أما اذا قرأنا قراءه متأنيه و اعينه للنصوص

و الممارسات التي وصلتنا عن سيره الامام الصادق و مناهج عمله فكلها تؤكد أنه كان بعيدا كل البعد عن تلك التهم و الافتراءات و أنه مارس دوره و مهامه السياسيه المناسبه بأجلى صورها و أخرج ظروفها. و أى دليل أوضح على العمل السياسى من أن يتصدى مثل هذا الامام الصبور و الغيور على مصالح الأمه، و فى تلك الظروف الحرجه فيضع الأسس و القواعد لما يجب أن يكون عليه الرؤساء و القاده يجعل ذلك من أولويات أعماله اذ يحولها الى ماده تعليم لدروسه و محاضراته و اجاباته. نعم هذا هو الامام المصلح الاجتماعى الكبير الذى صرح فى نصوصه «ليس للملوك أن يفرطوا فى ثلاثه: حفظ الثغور، و تفقد المظالم و اختيار الصالحين لأعمالهم..». و لا يخفى على أحد ما فى هذا التصريح من جرأه و شجاعه تؤكد التصدى السياسى الكامل الامام الصادق عليه السلام. ان هذا التصدى لتحديد مهام الرؤساء و القاده و مطالبتهم بأداء حقوق الأمه يعتبر فى قمه العمل السياسى المحظور الذى يعرض قائله لأخطر المشاكل و أشد العقوبات. و فى هذا النص نرى الامام عليه السلام يلج السياسه من أوسع أبوابها حيث يرسل هذا النص رساله مفتوحه لكل الحكام و القاده، مذكرا لهم بأهم مهام الدوله و الرؤساء، فوصف الداء و أعطى الدواء لما تعانیه الأمه من جور الحكام و خلفاء الجور و الظلم من الأمويين و العباسيين المنحرفين عن الأهداف الساميه و النبيله التى رسمها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و طبقها الأئمه المعصومين عليهم السلام. أما الداء فقد وصفه الامام بايجاز: حفظ الثغور التى باتت نهبا للأعداء و التمرد و الاقطاع. و تفقد المظالم: حيث عمت المظالم و المفاسد

كل مرافق الدوله، من فساد القضاء الى فساد الاداريين من [صفحه ١٦١] الحكام و أعوانهم الى فساد الولاه و جلاوزتهم. و كل هذا الفساد يعود، فى رأى الامام، الى سوء اختيار الرئيس لهؤلاء المنفذين، الذين هم بمثابة الوزراء اليوم، مؤكداً أن من صميم واجبات الحاكم العادل و من أولويات حقوق الأمة عليه اختياره الرجال الصالحين لاداره شؤون الأمة، لأن خير الناس من رعى بأمانه شؤون الناس. و كما يتضح للجميع ان هذه المطالب شديده الوطاه على الحكام و أعوانهم، و لا يمكن بأى حال للحاكم الظالم الفاسد الجاهل أن يؤدي هذه المهام و يعنى بهذه الالتزامات؟. أليس هذا معناه اثاره للأمة و تحريك للمظلومين و المستضعفين بوجوب المطالبه بحاكم عادل و رفض الحاكم الظالم؟؟. أليس بهذا ايقاظ للنائمين عن مطالبه الحكام بأداء حقوق الأمة؟ و ان من حق الشعب استخلاص هذه الحقوق و صيانه الشريعه بمختلف الوسائل بما فى ذلك الجهاد و تنحيه الحاكم الظالم المقصر بالقيام بواجباته الشرعيه؟. ثم أين نحن اليوم من صرخه هذا الامام الصادق فى العقيد و الصادق فى أداء الامانه لأمته، و الصادق فى اكمال و اتمام رساله جده رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، أين نحن اليوم من هذه الصرخه المدويه فى قلوب المؤمنين التى تقطر بالغضب و تشتعل بالاثاره من قوله عليه السلام: «من نكد العيش السلطان الجائر» [١٩٩]. فهل ترك الامام الصادق بعد هذا النص من حجه لخانع قانع بالواقع الفاسد، و المقصر فى أداء الامانه الشرعيه؟. و هل ترك للأمة فرصه دون أن تثور للتخلص من نكد العيش و سوء الاداره...؟ أين نحن من صرخاته المدويات: «من عذر ظالما بظلمه سلط الله عليه

من يظلمه، فان دعا لم يستجب له و لم يأجره الله على ظلامته...». [صفحة ١٦٢] و قوله عليه السلام: «العامل بالظلم و المعين له و الراضى به شركاء» [٢٠٠]. و قوله المشهور فى محاصرته للظلم و الظالمين: «ما أحب أن أعقد لهم - أى للظلمه - عقده، أو و كيت لهم و كء و لا- مده بقلم، ان الظلمه و أعوان الظلمه يوم القيامة فى سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد...» [٢٠١]. أليس فى ذلك كله ثوره على الظلم و الظالمين و دعوه للناس لتهديم أركان دوله الظلم و الظالمين؟.

الدوله العباسيه و شعار: الولاء لأهل البيت

شهد الامام الصادق مرحله سقوط الدوله الأمويه، و عاش أهم أحداثها، و روى الكثير عن آبائه و أجداده، عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ما يؤكد أن الجوله ليست لأهل البيت عليهم السلام. و ان الأمه و الأجواء السائده فى ساحه البلاد الاسلاميه غير مهياه لاعاده الحق الى نصابه رغم تظاهر العباسيين و دعواتهم المراوغين بأنهم يريدون الأمر و الخلافه لأهلها الشرعيين. و قد قامت الثوره ضد الأمويين تحت شعار: «الولاء لأهل البيت» لكن وراء هذا الشعار المكر و الدهاء لتحقيق مآربهم و الحصول على الخلافه و الامام الصادق عليهم السلام كان ملما بكل هذه الأمور و الشعارات الكاذبه. و كان يعلم أن العباسيين و أعوانهم يرغبون فى ابعاد الخلافه عن آل على عليه السلام حتى أنه صرح مرات عديده و بطرق شتى بأن الدور ليس لأهل البيت، و أن الأمه و الأجواء السائده فى ساحه البلاد الاسلاميه غير مهياه لاعاده الحق الى نصابه رغم تظاهر العباسيين و دعواتهم المكتسبين بأنهم يريدون الخلافه لأهلها الشرعيين. و قد قامت الثوره

ضد الأمويين تحت شعار: الولاء لأهل البيت عليهم السلام الا أنهم مكروا، و غدروا، و خانوا، و واصلوا الجور و الظلم على الأمة عامه و على أهل [صفحة ١٦٣] البيت خاصه. و بدأ أهل البيت و شيعتهم يواجهون الموت و الابداه و الملاحقه من العباسيين كما كانت حالتهم فى عهد الأمويين. لو أردنا أن نقارن بين أعمال الدولتين فلا نجد للأمويين اساءه لأهل البيت و أنصارهم، الا و نجد للعباسيين أضعافا مضاعفه مثلها بل ربما زادت اساءات العباسيين بما اختصوا به من جرائم جديده لم نجد مثلها عند الأمويين. فالرشيد قطع شجره عند قبر الامام الحسين عليه السلام كان يستظل بها زائروه، و المتوكل هدم قبره بما يحفظ به من أبنيه، و حرث الأرض فى كربلاء و زرعها ليخفى القبر و تنعدم آثاره، و قد وصف أحد الشعراء ذلك فقال: تالله ان كانت أميه قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما فلقد أتته بنو أبيه بمثله فغدا لعمر ك قبره مهدوما أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا فى قتله فتبعوه رميما [٢٠٢]. و قال شاعر آخر: تالله ما فعلت علوج أميه معشار ما فعلت بنو العباس [٢٠٣]. و فى رساله من رسائل الخوارزمى لشيعة نيسابور يقول: «الى أن مات و امتلأت سجونه بأهل بيت رساله، و معدن الطيب، و المجرم قد تتبع غائبهم، و تلقط حاضرهم، حتى قتل... ثم عدد جمله حوادث داميه ارتكبتها العباسيون فى حق أهل البيت عليه السلام و شيعتهم ثم قال: و الجملة ان هارون مات و قد حصد الشجره النبوه، و تقلع غرس الامامه» [٢٠٤]. و لا ننسى الطاغيه الكبير المنصور، ففى فوره من فورات حقه المجنون على أهل البيت و قد عزم

على قتل الامام الصادق عليه السلام قال: «... قتلت من [صفحة ١٦٤] ذريه فاطمه ألفا أو يزيدون، و تركت سيدهم و مولاهم و امامهم جعفر بن محمد...» [٢٠٥]. و قد قال مشافهه للامام الصادق: «لأقتلنك، و لأقتلن أهلك حتى لا أبقى على الأرض منك قامه سيف، و لأضربن المدينة حتى لا أترك فيها جدارا قائما...» [٢٠٦]. و يقول الطبرى و غيره من المؤرخين: «ان المنصور هذا ترك خزانة رؤوس ميراثا لولده المهدي كلها من العلويين، و قد علق بكل رأس و رقه كتب فيها ما يستدل به على صاحبه، و من بينها رؤوس شيوخ و شبان و أطفال...» [٢٠٧]. و أما الرشيد فقد أقسم على استئصالهم و كل من يتشيع لهم و اشتهر عن قوله: «حتام أصبر على آل ابن أبي طالب، و الله لأقتلنهم و لأقتلن شيعتهم، و لأفعلن و لأفعلن...» [٢٠٨]. «و كان شديد الوطأه على العلويين يتتبع خطواتهم و يقتلهم...» [٢٠٩] هذه أمثله قليلة من ملف ضخمة يثن من ظلم العباسيين للمسلمين عامه و لآل على خاصة، و قد تسودت به صفحات التاريخ. و مع هذا كله فقد بقى أهل البيت و شيعتهم، و خاصة الأئمة المعصومون من أبناء على و فاطمه عليه السلام يمارسون أدوارهم السياسيه بكل صدق و أمانه، و لا يترددون لحظه عن الموقف الرسالى و اعلاء كلمه الحق، كلمه الله الصادقه و الصريحه يقولونها مهما كلف الثمن و هذا الامام الصادق عليه السلام فى وسط الظروف الصعبه و المحن الأليمه بقى صامدا فى وجه الظالمين بكل شجاعه و مهابه يقول الحق دائما و أبدا كتب اليه المنصور مره معاتبا له على عدم زيارته فقال للامام: لم لا

تغشانا كما تغشانا الناس؟. [صفحہ ۱۶۵] فأجابہ الامام الصادق علیہ السلام: ليس لنا ما نخافك عليه، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له. ولا أنت في نعمه فنهنيك، ولا أنت في نقمه فنعزيك. فما نضع عندك؟. فكتب اليه: تصحبنا لتصحنا. فأجابہ الامام علیہ السلام: من أراد الدنيا لا ينصحك. و من أراد الآخرة لا يصحبك [۲۱۰]. فتأمل تأملا دقيقا. هذا الحوار الصريح الجاد الذي يوضح الدور السياسي الهام للامام الصادق علیہ السلام في تعريه العباسيين و بعدهم عن الحق و انحرافهم عن الدين. فهل هناك من موقف صريح واضح في المواجهه السياسيه مثل هذا الموقف؟ الامام يواجه خصمه الحاكم الظالم المبلولہ يداہ بدماء الأبرار فيقول له: ليس لنا ما نخافك من أجله. یعنی نحن على استعداد دائم للتضحيه و الشهاده. ثم يتابع تصريحه الجريء: و ليس عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له. مصارحه هي باللسان أم مقارعه بالسيف؟ يقول الامام غير هيب: أيها الخليفه أنت أبعد ما تكون عن الله و عن الآخرة و عن الايمان. و حين يلح المنصور بالحاجه الى الموعظه و النصيحه و صحبه الأبرار، و هي الحيله التي اصطاد الحكام الظالمون كثيرا من العلماء و الفقهاء و الأدباء، و حولوا بعضهم الى أدوات دعايه لهم و سموهم: وعاظ السلاطين. لا- يتردد الامام الصادق عن صفع المنصور بصفعه قويه ما زال صداها مدويا تردها الأجيال: من أراد الدنيا لا ينصحك، و من أراد الآخرة لا يصحبك. هيهات، هيهات فان من أراد الدنيا و نعيمها و الوجاهه عند أهلها لا يستطيع المجاهره بالنصح و اعلان كلمه الحق، خاصه فيمن يصحب الحكام و الرؤساء و أولياء النعم الذين لا يطيقون

الاسماع التملق و السكوت عن الباطل و الظلم و قد نسوا أن: الساكت عن الحق شيطان أخرس. أما الامام عليه السلام: [صفحہ ۱۶۶] فقد خاطب الخليفة بلغه المواجهه دون أى لف أو دوران: من أراد الدنيا لا- ينصحك، و من أراد الآخرة فلا يصحبك. حوار صريح يحمل كان معانى التحدى و الاستعداد للمواجهه مهما كانت النتائج انه يجرد الخليفه و يعرى الحكم من رداء تردى به، و يحكم عليه بالابعاد عن مآدبه الله و حظيره الآخرة، دون أى تردد أو مدهانته!؟. و ليس هذا هو الموقف الوحيد و الأخير للامام الصادق عليه السلام فى مواجهه خلفاء الجور، فهناك الكثير من المواقف الجريئه تؤكد أن الامام عليه السلام كان صريحا و حازما فى مواجهه و رفض الباطل. و سوف نورد مثلا- على سبيل الذكر. و روى المؤرخون: أن الامام أحضر ذات يوم عند المنصور، و نادرا ما يدعى الامام الا للتحذير و للتقريع و التهديد بالابعاد أو السجن أو القتل. و بعد أن أخذ الامام مجلسه عند المنصور، وقع على وجه المنصور الذباب حتى ضجر و قال: يا أبا عبدالله لم خلق الله الذباب؟ بلهجه المتكبر. فانبرى له الامام على الفور و أجابه بصراحه و تحد: «ليذل به الجبارين» فوجم المنصور لقوله و ندم على سؤاله [۲۱۱] انه مشهد رائع من مشاهد التحدى، انها المواجهه و تسميه الأشياء بأسمائها، و هو ما تفتقده له مجالس الحكام و الرؤساء فى عصر الامام و فى عصرنا الحاضر. كم نحن بحاجة اليك أيها الامام الجرىء!. كم نحن بحاجة اليك أيها الامام الصريح، المظلومون ينادونك و الأبرار يحبونك و الشهداء من المقاومه الاسلاميه على طريقك، تلتقون جميعكم عند سيد الشهداء الامام

الحسين بن علي عليكم جميعكم أفضل و أكرم السلام. لقد كان موقف الامام الصادق و مواقف أئمه الهدى و قاده الاصلاح صفعه قاسيه و درسا مفيدا قبال مواقف علماء السلاطين و وعاظهم ممن لا يتورعون من أجل ارضاء الحكام في أن يفتروا على الله و على رسوله، فينتحلوا الأحاديث [صفحه ١٦٧] و يدسون و يمالئون و يكذبون. و لقد اتخذ الامام الصادق عليه السلام طرقا عديده لتنمية ايمان الأمة باسلامها العظيم و بالقياده المعصومه، و بنى ذلك الايمان بناء رساليا و أعد الأمة عامه و مدرسه أهل البيت خاصه لحمل أعباء الرساله. فعمل على تربيته الكوادر الناشطه من العلماء و المفكرين و الأدباء و سلحهم فكريا و جهاديا و سياسيا و أعدهم اعدادا مدروسا و منظما للثوره ضد الكفر و الظلم و الجهل و الانحراف.. حتى باتت مدرسته من أفضل المدارس و أكثرها عطاء في عصرها. و ان الحافظ بن عقده الزيدي جمع في كتاب رجاله أربعه آلاف من رجل من الثقات الذين رووا عن جعفر بن محمد فضلا عن غيرهم، و ذكر مصنفاتهم [٢١٢] كما اشتهر بين العلماء ما رواه النجاشي في رجاله فقال: أدركت في هذا المسجد (يعني مسجد الكوفه) تسعمائه شيخ كل يقول: حدثني جعفر بن محمد. و ساقوا في ذلك الحديث المشهور «حديثي حديث أبي و حديث أبي حديث جدى و حديث جدى حديث علي بن أبي طالب، و حديث علي حديث رسول الله، و حديث رسول الله قول الله عزوجل» [٢١٣]. و روى عنه كبار العلماء و الفقهاء أصحاب المذاهب، أمثال مالك و الشافعي و سفيان الثوري... قال مالك بن أنس: «ما رأيت عين، و لا سمعت أذن و لا

خطر على قلب بشر أفضل من جعفر الصادق فضلا و علما و عباده و ورعا...». و قال اليعقوبي: و كان من أفضل الناس و أعلمهم بدين الله، و كان أهل العلم الذين سمعوا منه اذا رووا عنه قالوا: أخبرنا العالم [٢١٤]، و قد أعطى لمدرسته عليه السلام و منهجه العلمى بعدا عاما شاملا فى كافة المجالات و العلوم... و لا نتصور أن مكانه الامام الصادق عليه السلام و شهرته ناشئه من تبحره العلمى [صفحه ١٦٨] فقط، و لا دور له فى الميادين الأخرى، فذلك لا يثير حفيظه الحكام و لا يصلح مبررا لاندفاع العباسيين فى ملاحقه الامام و ايذائه الى حد التوعد بالقتل كما هو معروف عن المنصور و الرشيد، من هنا يتضح أن الامام كان يمارس أدوارا فكرية و سياسيه هامه تقوض نظام الظلم و الظالمين، و تعد الأمة لدورها الطبيعى فى ارجاع الحق الى نصابه. فالكلمه الحق أوقع فى النفوس من السيف. قال الرشيد: «لسان هشام أوقع فى نفوس الناس من ألف سيف» ذلك التلميذ الشجاع البطل، هو واحد من آلاف التلامذه الذين رباهم الامام الصادق و أعدهم لتقويم الأمة الاسلاميه الرصينه. نعم كل هذا و غيره من المواقف الحازمه التى مارسها الامام الصادق لا يمكن أن تفسر بغير الدور الفكرى و السياسى الهام لمدرسه الامام و مدى تأثيرها فى المجتمع عامه. مما دفع العباسيين الى ملاحقه الامام و نقله من المدينه الى الكوفه ظنا منهم بأنهم يستطيعون وضعه بموضع القرب و المراقبه منهم و بالتالى ليحجموا دوره و يضعفوا فاعليته و تأثيره فى الأمة؛ و من خلال جو الارهاب و المراقبه سينصرف الناس عنه، و تنتهى فرص نفوذه فى المجتمع. الا أنهم فشلوا

و أدركوا ثانيه خطأ تفكيريم؛ و أن بقدره الامام افشال مخططهم، و أداء دوره مهما كانت ظروف الحصار و شده المراقبه. و من الكوفه أبعده ثانيه الى المدينه، و لا- حقوه بالأذى و المراقبه و هو عليه السلام بين المرحلتين رغم كل القساوه و المحن و الملاحقه التي استمرت من العباسيين الى آخر يوم من حياته، استمر يؤدي دوره الرسالي في اعداد الأممه و صراع الباطل و استطاع باذن الله أن يتغلب على كل تلك الظروف بالصبر و المثابره و الحكمه، حتى انتصر على أعدائه الى يوم الدين، فخلد هذا الخلود و سما هذا التسامى، و ترك هذا البحر الزاخر من العلم و العمل و البناء.. و لا غرابه بعد هذا أن يقال: كان بقاء التشيع و انتشاره مدينا لمنهج و دوره الكبير المتمم لأدوار آباءه و أجداده عليهم أفضل الصلاه و أزكى السلام. و باسمه كان المذهب الجعفرى نشأ و نما و انتشر و لا يخفى أن الفكر الاسلامى و خاصه فى نهايه القرن الهجرى الأول تعرض للوثات و فلسفات و مذاهب و فرق، طبل لها أعداء الاسلام فى محاوله منهم لنسف العقيده الاسلاميه و تدمير البنيه الفكرية للانسان المسلم. [صفحه ١٦٩] كل هذه الاستفزازات و الصراعات و المشاكل واجهها الامام الصادق بكل عزم و جرأه و رويه فحصن الأممه الاسلاميه من تلك اللوثات و الأفكار الفاسده و المشبوهه حتى وصل بجهوده المشكوره الى شاطئ السلامه بفضل مدرسته التي خرجت آلاف العلماء و الفقهاء و المفكرين الاسلاميين، و عبرالفهم الواعى و الرصين لكبار القضايا الفكرية المعقده التي بلبت الفكر الاسلامى و تعثر فيها الكثيرون... كالتقيه و الجبر و التفويض و الأمر بين الأمرين و

غيرها من أمهات القواعد الفكرية و الأساسيه فى العقيدته الاسلاميه. فالسلام عليك يا أباالأحرار و السلام على آبائك و أجدادك الأطهار، و السلام على جميع الثوار و يبارق العلم و العرفان و حملته النور و الهدى للبشرية جمعاء من الصديقين و الأنبياء و الأئمه المعصومين الأتقياء و من تبعهم باحسان الى يوم الدين.

نشاط الامام الصادق العلمى و التبليغى

كانت المهمه العلميه التى حددتها الأئمه بعيد استشهاد الامام الحسين عليه السلام تتمثل بنقطتين هامتين: أ - الحفاظ على حراره الدم الحسينى الذى يتكتل بأداء دور التذكير بالملف الكامل و مظلوميه حامله [٢١٥]. ب - و مهمه تثقيف الرأى العام ممن يعتقد بصحة هذا الملف أو الذين يرغبون فى الاطلاع عليه و معرفته. و الامام الصادق عليه السلام وجه عنايه خاصه لهاتين المهمتين. فمال الى تأييد ثورات الحسينيين لأنها تذكر بثوره الامام الحسين. و كثف من روايه الأحاديث عن فضل احياء مراسم الامام الحسين عليه السلام من جهه، و عمل على نشر الأطروحه الحسينيه و بلورتها من جهه أخرى. و قد سجل نشاطا عظيما اطار المهمه الثانيه. يروى الطبرسى فيقول: «لم ينقل عن أحد من سائر العلوم ما نقل عن الامام الصادق عليه السلام و ان أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء [صفحه ١٧٠] الرواه عنه من الثقات على اختلافهم فى المقالات و الديانات فكانوا أربعه آلاف رجل» [٢١٦]. و قد وزع الامام الصادق نشاطه العلمى و التبليغى فى أكثر من اتجاه، فكان يروى الأحاديث و يصحح ما يرويه الناس، و يتصدى للمسائل الفقهييه حتى سلم كل من عاصره بأعلميته المطلقه، و قد سئل أبوحنيفه عن أفقه الناس فى زمانه فقال: جعفر بن محمد [٢١٧]. و لم يهمل علم الكلام الذى كان

ميدانا للجدل العقائدى و المذهبى فى عصره، و قد خصص عددا من طلابه ليقوموا بمهام المناقشات الكلاميه و المناظرات العلميه فى الاطار الاعتقادى كهشام بن الحكم و زراره بن أعين و على بن يقطين و غيرهم الكثير، و قد أوقعت غزاره علوم هؤلاء الطلبة الخليفه المهدي فى لبس عندما اعتبر كل واحد من هؤلاء صاحب مدرسه و مذهب، فقال بالهشاميه نسبة لهشام بن الحكم، و الزراريه نسبة لزراره بن أعين، و الشيطانيه نسبة لشيطان الطاق (مؤمن الطاق) و هو من تلاميذ الامام الصادق [٢١٨]. كذلك تصدى الامام الصادق لمسأله تفسير القرآن الكريم و بيان المحكم و المتشابه و العام و الخاص، و قد عالج الكثير من المسائل العاصيه على الفهم [٢١٩]. و لم يهمل الفقه السياسى فعالج قضايا الشورى و مدى مشروعيتها و تمثلاتها التاريخيه و مدى مطابقيه التجربه مع المفهوم [٢٢٠]. هذا النشاط المكثف فى الحقلين العلمى و التبليغى قابله انسحاب مدروس و شبه كامل من دائره الصراع على السلطه و مارس عوضيا عن ذلك التقيه فى معناها الخاص. فماذا عن مدلول التقيه العملى؟. [صفحه ١٧١]

مدلول التقيه العملى

مما لا شك فيه أن مختلف ألوان التحرك الذى باشره الامام الصادق عليه السلام يصب كله فى مشروع اسلامى أصيل يهدف الى ارشاد الناس جميعا الى عباده الواحد الأحد سبحانه و تعالى، و التصدى للقضايا العلميه و التبليغيه. ثم ان الامام الباقر عليه السلام، و قبله الامام زين العابدين اللذين سبقا الامام الصادق قد حصرا اهتمامهما بالحفاظ على حراره الدم الحسينى الى جانب التقيه فى مدلولها السياسى التى أملتها طبيعه المرحله و الظروف المحيطه بها. و قد عبر الامام الصادق عن مدلول التقيه فى أكثر من مناسبة

و خاصه عندما كان الوشاه يوغرون صدور الخلفاء ضده فى عهد الخليفه العباسى أبى جعفر المنصور [٢٢١]. و روا عن الامام الصادق عليه السلام قوله: «اتقوا الله، و عليكم بالطاعة لأئمتكم قولوا ما يقولون، و اصمتوا عما صمتوا، فانكم فى سلطان من قول الله تعالى: «و ان كان مكرهم لتزول منه الجبال» و يعنى بذلك كما يوضح تلميذه أبوبصير، ولد العباس، و يختم الامام كلامه بجمله تكاليف لشيئته؛ «صلوا فى عشائركم و اشهدوا جنازكهم و أدوا الأمانه اليهم» [٢٢٢]. و فى روايه أخرى ينقل أن أبى عبدالله دخل على أبى العباس بالحيره مره، فقال الأخير: «يا أبى عبدالله ما تقول فى الصيام اليوم؟ فقلت: ذاك الى الامام، ان صمت صمنا و ان أفطرت أفطرتنا، فقال: يا غلام على بالمائده فأكلت معه، و أنا أعلم و الله أنه يوم من أيام شهر رمضان، فكان افطارى يوما و قضاؤه أيسر على من أن يضرب عنقى، و لا يعبدالله» [٢٢٣]. [صفحه ١٧٢] و التقيه السياسيه لم تمنعه من جمع الحقوق الشرعيه من شيئته الأمر الذى كان يزعج الخلفاء يغطهم و بالتالى يعرضه لمخاطر القتل و التنكيل، و قد تواترت الروايات التى تحكى قضيه معاناه الامام عليه السلام فى هذا المجال [٢٢٤]. و التقيه لم تبعده عن رقابه الخلفاء فى جورهم و انحرافهم عن الخط الاسلامى لكنه لم يعدم وسيله الا و استخدمها ليؤكد عدم رغبته فى السلطه، و يذكر فى هذا السياق أن المنصور: أخرج اضباره كتب ورمى بها الى الامام الصادق و قال: «هذه كتبك الى أهل خراسان تدعوهم الى نقض بيعتى، و أن يبايعوك دونى. فقال عليه السلام: «و الله يا أمير المؤمنين ما فعلت، و لا

أستحل ذلك و لا هو من مذهبي» [٢٢٥] و الخلاصه ان اهتمام الامام السادس من أئمه أهل البيت الأطهار انصب على مواجهه التيارات المنحرفه فى غرض مهمه توضيح و بلوره و تعليم أطروحه الاسلام الأصيل، دون أن يغيب عن الساحة الفكرية التى كانت تشهد كل يوم تطور جديدا لما كانت تحدثه تفاعل الحضارات و ترجمه و النشاط الفكرى المتزايد. و السمه المميزه فى شخصيه الامام أنه لم يتعال على الأفكار الوافده بل أقبل عليها قارئا و ناقدا و مناقشا، فكان بحق رجل عصره. مما جعله يحوز على محصول الفكر الانسانى فى زمانه دون أن يتردد فى الاكتساب و الأخذ و العطاء.

الامام الصادق دقق حضارى و انسانى دائم

كان الامام الصادق صاحب مدرسه بل جامعه متكامله، استمرارا لمدرسه الامام على بن أبى طالب فى المدينه المنوره فى خطها العام الا أنها فى عمقها الحضارى انبثاق متكامل و مستمر بعيد المدى للمدرسه المحمديه المباركه. و الامام الصادق عليه السلام لم يكن مجرد معلم لجيل بعينه فحسب، و انما [صفحه ١٧٣] للأجيال اللاحقه كلها، يمددا بالوعى المعرفى و الدقق الحضارى، و الحس الايمانى لما فيه مستقبل المسلمين و الاسلام. لقد كان عليه السلام فى عمق التيارات المعاصره له محلقا فوقها و مهيمنا عليها، مما يسر له تقديم صورته مشرقه للاسلام الحضارى بكل آفاقه المرسومه فى القرآن الكريم و فى السيره النبويه قولاً و منهجا و تطبيقاً، و بالتالى لدى أهل البيت الأطهار و الأصحاب الأخيار الذين صدقوا بما عاهدوا الله عليه. و اذا خطر ببال أحد أن يسأل كيف تأتى للامام الصادق هذا الدقق الحضارى المستمر عبر الأجيال نقول: الامام الصادق هو الوارث الشرعى للعلم النبوى فى عصره، و لذلك كان المتربع على عرش المعارف

جميعها. و زد على ذلك أنه العبقري الفذ و صاحب الحس المميز الذى نسق بين معطيات الواقع و الالهام و المهمه الملقاه على عاتقه. فلم يرفض مقاييس الواقع و قوانينه رفضا مطلقا و انما وظف و سخر المعطى الواقعى للمعطى الالهامى على هدى الوحي و النبوه. من خلال هذه الرؤيه يمكننا تلمس بعض جوانب الأفق الحضارى الذى حملة و قدمه الامام الصادق للفكر الاسلامى من القرن الثانى الهجرى الى عصرنا اليوم. و اذا ما تفحصنا الحقيقه و كان لدينا ضرب من الاحاطه و الشمول للمجتمع العربى الاسلامى بكل شرائحه و فرقه و مذاهبه يومذاك، نستطيع القول: ان الدائره الاسلاميه، لم تكبر و تتسام فحسب بل تعرضت لتغيرات نوعيه، مكنتها من اكتشاف مناهج جديده، ساعدتها على التكيف مع الواقع الذى أفرزته حركه الفتوح، كما ساعدت أيضا على استيعاب و هضم الأفكار و الفلسفات الوافده. و لما كانت قطاعات كبيره من الشرائح الاسلاميه لم تعد قادره على مواجهه ذلك الواقع بكل ما يتضمن على المستويين الدينى و الدنيوى، لذا كان لا بد من البحث عن طرق الخلاص و أساليبه الممكنه. من هنا كان وجود الامام الصادق الدفق الحضارى المتألق، و صاحب مدرسه بل جامعه ينهل من معينها الاسلامى الأصيل كل العلماء و الفقهاء و الأدباء، [صفحه ١٧٤] و وارث العلم النبوى الشامل الكامل، أقول: كان وجوده و حضوره ضروره حتميه بحكم الواقع و منطق الأحداث و حركه التاريخ، سيما و هو الامام المربى، و الموجه، و المعلم، و المبرمج لحاضر الاسلام و مستقبله. و من هنا أيضا كانت رده الفعل العنيفه ضده و ضد مدرسته، فقد أقلق السلطه الحاكمه آنذاك و زرع فى ربوعها الرعب فأخذت

موقفاً قاسياً منه. و الحقيقه ان ذلك القلق لم يكن من المفاهيم التشريعيه فحسب، بل لأن الامام عليه السلام من سلاله النبي الطاهره الذين عانوا ما لم يعاناه ورثه نبي أبداً، ان فى ظل الطغيان الأموى الذى تشير الى صوابيته ألف اشاره استفهام؟! أو فى ظل قهر أبناء عمومتهم من بنى العباس الذين تنكروا لمبادئهم التى نادوا بها و شعاراتهم التى تستروا وراءها و فضلوا الدنيا على الآخره. و قالوا كما قال الجهلاء: الى يوم الدين الله يعين!! نعم... كان وجود الامام الصادق و حضوره الانسانى و العلمى و الدينى و الاجتماعى حضوراً مشرقاً متسامياً يحمل على عاتقه مسؤوليه المناخ الصحى للاسلام الأصيل، اسلام الفرد و اسلام الجماعه، اسلام الحق و اسلام الصفاء، اسلام الحريه و اسلام الكرامه، اسلام التقدم و العمران و اسلام انسانيه الانسان، و اسلام الحضاره المتفتحه من عطر النبوه. و هذا بلا ريب من شأنه تعميق التأزم فى الوجدان الاسلامى أكثر فأكثر، باعتبار السلطات الزمنيه الحاكمه لم تقدم أفكاراً تستهدف انسانيه الانسان، بل قدمت أفكاراً من شأنها مصادرته انسانيه الانسان؟! فى هذا الجو المتأزم فى ظل السلطات الظالمه، ولدت مهمه الامام الصادق الجهاديه وفقاً للمفهوم الاسلامى، فقد تبين له أن الحكام الزميين استعلوا على العالم الواقعى قهراً و استعباداً للبلاد و العباد، ليحققوا لأنفسهم و أتباعهم المرتزقه كل مقومات الترف الدنيوى التى أدت فيما بعد الى سقوط العالم الاسلامى تحت سنابك خيول الغزو المشرقى الممثل بهولاكو و مجازره و جنكيز خان و بطره. و ازاء ذلك الواقع كان على الامام الصادق ممثلاً الأفق الحضارى آنذاك أن يتصدى لذلك الطغيان لا نقاذ الأممه الاسلاميه المهدده بالاندثار و هكذا وجد نفسه محكوماً عليه باسم كل القوانين

السماويه و الاجتماعيه و الانسانيه، كوارث للمنهج [صفحه ١٧٥] المحمدي و منهج أهل البيت أن مهمته مقاومه الظلم و الظالمين بالوسائل المتاحة له. و هذا يعنى أنه انطلق من رؤيه حضاريه أصيله قوامها: اذا أردت أن تعرف نفسك، عليك أن تعرف الحاضر السرمدي أولاً، ولكي تعرف ايمانك و تحقق حضورك، عليك أن تعرف الأمس القريب و البعيد، أمس الرسل الكرام و أمس آبائه و أجداده العظام. لذلك انطلق بكل ما يملك من عزمه لبناء و رسم أفق الاسلام الحضاري من خلال تفسير الايمان بالايمان؛ و تفسير الانسان بالانسان... باعتبار الانسان اضافته الى حضوره على هذه الأرض، فاعليته و انتاجه و تواصله مع الله و الناس تحقيقاً لمعنى الخلافة على الأرض، التي عبر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى للملائكة: «انى جاعل فى الأرض خليفه» [٢٢٦]. لذلك كان الامام يسعى دائماً الى وحده العمل من أجل تحقيق التشريع الآلهى، و من أجل استمرار الخلافة النابعه من عمق البعد السامى للاسلام الحضارى، لأنه يمثل الفعاليه الانسانيه الأكثر كمالاً فى العالم. و هذا من شأنه تحقيق مفهوم الخلافة الانسانيه فى الأرض على أسس العلم و العقل و العدل و الرحمه. و هذا ما وضعه الامام الصادق عليه السلام موضع التنفيذ، و أدركه غايه الادراك باعتباراه حامل لواء الخلاص الذى ورثه عن أبيه الامام الباقر عليه السلام و أجداده المعصومين الطاهرين. لقد أدرك الصادق منذ البدايه: مقررًا و مؤكداً فى عمقه الوجدانى الأصيل، أن ليس على الامام الخلاص و التوجيه و الأرشاد للآخرين فحسب، و انما الامامه اضافته الى هذا أن يكون الامام حكماً على نفسه أولاً و على الناس ثانياً. و بناء على هذا القبس النبوى الشريف الذى ورثه

عن آبائه و أجداده سلام الله عليهم أجمعين، شرع في وضع الخطوط العريضة للحاضر السرمدي، تطلعا الى الأفق الموعود، أفق اسلامي حضاري يحقق الأمن و العدل و السلام لبني الانسان كافة، و يخرج الناس، بما أعطى من علم وقوه، من دوائر الظلمات التي [صفحه ١٧٦] رسمت أطرها محاور الترف الأموى و الطغيان العباسي، و أعلنت استقلالها عن الوحي الآلهي و التشريع الاسلامي. و ان أصحاب البصيره المتأملين في عصر الامام و رؤيته العامه الممثله بسلوكيته و حكمه و وصاياه و أقواله و نظرياته الفقيهيه و العلميه و الفلسفيه التي نوه عنها لطلابه... كل ذلك يفصح لهم أنه كان يجاهد أبدا لولاده مجتمع حضاري يتمسك بالدين و العلم.. و يؤكد لهم و للجميع بأن الامامه تعنى الوعد باخلاص، كما تعنى التعالى و الصفاء و السمو و التطهير للناس جميعا من كل عرق و جنس و لون. و هذا ما رسم معالمه الامام و حققه عبر تجربته الحياتيه و الروحيه متجاوزا واقعه المظلم المرير. و غايته الفضلى التي تهدف الى تحقيقها هي توليد مجتمع حضاري يحكمه الوحي الآلهي و ينفذه المعطى العلمى و يسير على الهدى النبوى سيرا تاما أبدا. و لم يكن ذلك تقديرا لمرحله زمنييه بعينها بقدر ما كان تقريراً مؤكداً لحقيقه ساميه نذر نفسه للجهاد الدائم من أجلها و مضحيا أعلى ما يملك في سبيلها، شأن آبائه الكرام و أجداده العظام الذين كانوا منارات الاسلام المشرقه على كل الأصعدة و المستويات، علما و جهادا و عبادا و استشهادا، و انطلاقا من هذا الوعى الحضارى و الحس الانسانى النابع من الوارث الشرعى للعلم النبوى، فقد كان الصراط المستقيم لمنهجه المعرفى. و لا أرى أن هناك

شيئا بعد التفقه في الدين و تطبيق أحكامه أفضل من معرفه العلوم الطبيعیه و الانسانيه و العلميه و ما لها من قوانين ناظمه. لذا، كان من الطبيعي أن يؤكد الامام الصادق عليه السلام على وحده العلم و الدين فكل منهما ملازم للآخر. من هنا جاء ذلك التطابق العام بين آراء الامام العلميه و أحدث النظريات الحديثه. فنراه على سبيل المثال في الفلسفه: يشير الى أن المسافه شكل تجربتنا الخارجيه، و الزمن شكل تجربتنا الداخليه. بينما نرى الفيلسوف الالماني (كانت)، و ان أدرك بعد تجربه الزمنيه و المكانيه، فقد أخفق في توظيفها لصالح البنيه الحضاريه حين تسلط عليه هاجس البعد عن الوحي. في حين استطاع الفكر الاسلامي ادراك و توظيف تجربتي الزمان و المكان؛ بما يساهم في بناء الانسان العلمى و الحضارى. فهو لم يعتبرهما شكلين فارغين، و انما هما القوتان العظيمتان اللتان [صفحه ١٧٧] تحكمان كل الأشياء وفقا لقانون السببيه أو السنه الآلهيه التي لن نجد لها تحويلا و لا تبديلا، لذا، نجدهما بالضروره تنعكسان على حياتنا بشكل عام. و لعل عدم و عى مقولتى الزمان و المكان و عدم و عى المسافه الرمزيه ساهما في تضعيف الفكر الاسلامي في خلال أحقاب طويله، لأن ذلك لا يتم للانسان مباشره و انما لا- بد له معاناه تعبد له الطريق ليدخل منها الى عوالم المعرفه و بالتالى نحو توجهات حضاريه خيره. و الامام الصادق عاش تجربتي الزمان و المكان عبر حياته كلها. فعاش تجربه المكانيه بكل أبعادها في مدينه جدّه و آبائه عليهم السلام تلکم المدينه التي ترعرعت فيها رساله السماويه و الحضاره الانسانيه كما عايش تجربه الزمانيه... و المسافه الرمزيه... عايش تجربه الزمانيه عبر ذلك الزمان المسروق

من حركة التاريخ، الزمن المسحوق في ساحه الوعي الانساني و الحضارى زمن الضغط و الجور و القتل و التنكيل لآبائه و أصحابه الذين رفعوا كلمه الحق فى وجه الطغيان. كما عايش تجربه المسافه الرمز بكل قوتها و عنفوانها حينما كان يستدعيه السفاح و أبوجعفر المنصور للفتك به، لكنه كان يخرج من المحنه بعنايه الهيه و مدد نبوى و حكمه جعفريه زرعها الله فى صدره. عايش الامام عليه السلام التجربتين الزمانيه و المكانيه سواء بسواء و المسافه المجرده ليس لها بنيه ماديه أو معنويه بقدر ما هى تزاوج مستمر بين القلب و العقل... بين الوحى و الروح. الأمر الذى تطلب توليدا حضاريا يحقق انسانيه الانسان عبر محور العلم و الوحى. و هذا ما كان يسعى اليه الامام الصادق قولا- و فعلا و سلوكا و ارشادا و وعظا و توجيها. نستشف ذلك كله بوضوح تام حين نقف طويلا عند شخصيته الفذه و عبقريته النادره التى قدمت معطياتها العالميه عبر المدرسه الجعفريه المتعاليه على مدى العصور. [صفحه ١٧٨] و هنا لا بد لنا من القول ان الامام كان يعايش ضربا من التذكر، تذكر الأمس زمانا و مكانا.. تذكر مدينه الرسول و آل بيت الرسول.. و ما الى ذلك من أحداث جسام يندى لها جبين الانسانيه خجلا، و من مجازر وحشيه أبكت الأرض و السماء، و تركت بصمات حمراء ما زالت عبره لكل من اعتبر. و تذكر الامام فى جوهره ليس اعاده ما كان، بقدر ما هو و لاديه جديده للأمس، و هذا ما نستطيع استشرافه من الخط الناظم للامام الصادق كرمز رسولى اتصف بالحيويه الخلافه، و الرمز المتجدد لحضاره انسانيه سرمديه. و بهذا يكون الامام الصادق أعظم مصدر من

مصادر تبليغ الوحي الالهي و الوعي المعرفي و البناء الاجتماعي و الصحوه الحضاريه منذ القرن الثاني الهجري و حتى عصرنا الحاضر. لقد تسنى للامام بفضل ايمانه الراسخ بناء مدرسه محمديه و دوله اسلاميه ساميه قوامها و منطلقها الوحي و العلم و العقل و المحبه؛ تسنى له هذا القدر من التغيير الايجابي استكشاف كل ما هو حضاري باعتباره وارث العلم النبوي، أولاً، و هاضماً لكل التيارات الفكرية المعاصره له ثانياً، و مسلماً بايمان رسولي قادر على زلزله الجبال ثالثاً. لقد آمن عليه السلام بأن بناء اسلام الحضاره و اسلام الصفاء و السلام يتوقف على الوعي المعرفي و تحويل الشعارات الى واقع و النظريات الى تطبيق عملي. و هذا ما هدف اليه و طبقه جده الأكبر حامل رساله الاسلام محمد بن عبدالله عليه و على آله ألف صلاه و ألف سلام، و من أحق من الابن الصادق بحمل الرساله كما يجب أن تحمل؟! و الله سبحانه و تعالى يعلم حيث يضع رسالته.

السياسه التربويه العقائديه

اشاره

تأهيل الأمة الاسلاميه و صياغه الانسان، خطان تربويان على الصعيد العام و على الصعيد الخاص، عمل بهما الامام الصادق عليه السلام من أجل بناء الأمة و تقوية أواصرها، و حفظ كيانها وصيانه تراثها و تنميه و عيها العام حتى تمتلك الخصائص التي ذكرها القرآن الكريم و السنه الشريفه و من جهة أخرى، على الصعيد الخاص [صفحه ١٧٩] عمل على تربيته الفئه الواعيه لأهدافه المتفاعله تماماً مع خطته (الكوادر الاداريه) و المتحمله بكل جداره المهام الصعبه التي يلقيها عليها، مما يجعلها شعاعاً من نوره و نموذجاً لسيرته و مظاهر قيادته. و ان عمليه صياغه الفئه الواعيه لا تقل أهميه عن عمليه بناء الأمة الواعيه. و خصوصاً في

المجال التربوي في اطار بناء انساني متقدم. لأنها تتوقف على توفر معرفه يقينيه معمقه و انسجام عاطفي كامل مع العقيده، و تلق تربوي حكيم. و ما نراه هو أن تتربى الفئه الواعيه عقائديا و سلوكيا و عاطفيا ثم تنتشر كالعافيه في أوصال الأممه و عروقها. و بذلك تحفظ الجسم العام من أى تآكل أو مرض. الا- أن القاده المربين لا يستطيعون التريث حتى تتم عمليه تربيه الطليعه لأن تربيه الأممه وصيانتها حاجه قائمه و ملحه. من هنا نرى من الطبيعي أن يتوازن هاذان الخطان ليؤثر كل منهما في الآخر. فجو الأممه المناسب يترك أثره الايجابي على تربيه الطليعه، و تربيه الطليعه بدورها لها أكبر الأثر في تحقيق الأهداف التربويه العامه. فالأنبياء قاموا بدور هام بتربيه الأمم و هدايه الناس جميعا و على نسقهم وجدنا القاده الالهيين يعملون على تحقيق هذين الخطين: العام و الخاص. و لما كان أهل البيت قدوه الأممم و تلامذه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم المخلصين و حاملي لواء التربيه العقائديه، فهم على هذا الخط سائرون و له عاملون. و نحن الآن نعيش في ما يلي مع الامام الصادق عليه السلام المربي الكبير و المصلح الاجتماعى العظيم و أستاذ أئمه المذاهب الأربعة. و هو الصادق المعصوم و البار الأمين للرساله الاسلاميه الخالده. أما عن الأجواء الاجتماعيه و السياسيه التى عاصرها الامام الصادق فكلها صعبه و معقده و كثيره المتاعب نذكرها بايجاز: - الخلل السياسى الذى طرأ بعد انقراض الخلافه الأمويه و سيطره الخلافه العباسيه. - و تشكل المذاهب الفقهيه المعروفه التى انطلقت نتيجة عوامل كثيره كاتساع الحركه العلميه و الحريره... [صفحه ١٨٠] - اتباع الرأى الذى بدأ عمليا،

فهل للمجتهد أن يعمل رأيه في فهم الحديث، أم عليه أن يتقيد تمام التقيد بملايسات النص؟. - شيوخ الانحرافات الفكرية الخطيرة التي عاصرها الامام عليه السلام بسبب الخلل السياسي و انتشار الأفكار المعادية للإسلام، و انفساح المجال لذوى الأهواء و النزعات الفردية. - الوضع في الحديث النبوي الشريف. هذه الظاهرة لم تكن جديدة في الأصل على المجتمع الاسلامى حيث لعبت يد الأهواء منذ عصر الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فأوجدت فته من الموضوعين أحصى لهم صاحب (الغدیر) ٦٧٤ حديثاً مكذوباً ملفقاً [٢٢٧]، حتى قال: يحيى بن سعيد القطان «ما رأيت الصالحين في شىء أكذب منهم في الحديث» [٢٢٨]. - انتشار المفاصد الخلقية و ظواهر الترف. فخلفاء بنى أمية انحرفوا عن المسير الاسلامى الرشيد، و انغمسوا بالترف و مباحج الدنيا مما أدى الى انتشار الكثير من الأوبئة الأخلاقية في المجتمع الاسلامى. كل هذه التصرفات الشاذة واجهها الامام الصادق بكل جرأه لأنه أحد أئمة أهل البيت و عتره الرسول، فقام بالمهام القيادية الملقاه على عاتقه التي جعلت أماناً للأمة و سفينه نجاه من تمسك بها عصم من الضلال. و قد استمرت هذه الأهلوية القيادية موضع عنايه أئمة من أهل البيت واحداً بعد الآخر. و هذه الصفات تمتع بها الامام الصادق جميعها و عمل على تحقيقها. فما هى الخطه التربويه التي سلكها عليه السلام لمواجهه هذه الظواهر و القيام بالواجب القيادى العام؟ لقد عمل على الخطين الآنفين بكل دقه ليحفظ بناء الأمة الاسلاميه و يصون تراثها و ينمى و عيها و يقوى أوأصرها. [صفحه ١٨١]

الخط التربوى العام

إشاره

تتمثل أهم مظاهر هذا الخط فى النقاط التاليه:

العمل على تنميه حركه علميه واسعه

كان للمدرسه التي أسسها الامام الباقر و ثبت أركانها و عمرها الامام الصادق عليه السلام أكبر الأثر فى ايجاد نهضه علميه واسعه النطاق [٢٢٩] فكان يقصدها الطلاب من جميع المناطق لتلقى العلوم الدينيه المختلفه. و قد صنف الحافظ أبوالعباس الهمداني كتاباً فى أسماء الرجال الذين رووا الحديث عن الامام فذكر أربعة آلاف راو منهم [٢٣٠]. كما ألف تلامذته مئات الكتب و الرسائل، حتى أن الشيخ آغا بزرك الطهراني ترجم لمئتى رجل من مصنفى تلامذه الامام الصادق عليه السلام [٢٣١]. و قال الشيخ القرشى: «و فجر الامام الصادق عليه السلام ينابيع العلم و الحكمة فى الأرض، و فتح للناس أبواباً من العلوم لم يعهدوها من قبل، و قد ملأ الدنيا بعلمه - كما قال الحافظ، و نقل عنه الناس من العلوم ما سارت به الركبان و انتشر صيته فى جميع البلدان كما أدلى بذلك ابن حجر» [٢٣٢]. ثم كانت البعثات العلميه التي تحدث عنها عبدالعزيز سيد الأهل و التحقت بمدرسه الامام لتنهل منها نمير العلم، فقال: «و أرسلت الكوفه و البصره و واسط و الحجاز، الى جعفر بن محمد أفلاذ أكبادها من كل قبيله، من بنى أسد، و مخارق، و طى، و سليم، و غطفان، و غفار، و الأزدي، و خزاعه، و خثعم، و مخزوم، و بنى ضبه، و من قريش، و لا سيما بنى [صفحه ١٨٢] الأحرار و أبناء الموالى من أعيان هذه الأمة من العرب و فارس و لا سيما مدينه قم...» [٢٣٣]. و هكذا أوجد الامام هذه الحركه العلميه الناشطه، و استطاع أن ينشر الوعى على أوسع نطاق لجميع الناس.

حملہ واسعہ ضد المنحرفين و الملحدين

قام الامام الصادق و أصحابه و تلاميذه بحملہ احتجاج واسعہ ضد المشككين، فحاوروهم و

ناقشوههم بكل جرأه و ذلك للكشف عن قوه العقيدة الاسلاميه من جهه، و عن روح التسامح الكريم و الأسلوب الحكيم الذى يطبع أساليب الجدل الاسلامى القويم على قاعده: و جادلهم بالتي هي أحسن. قال الشيخ أسد حيدر: «و قد نهض الامام الصادق لمقارعه أهل الباطل، و باحث الفلاسفه و الدهريين، و أهل الكلام الجدليين، الذين تصدوا لافساد معتقدات الناس و سفطتهم الفازعه، فنبههم عن غفلتهم و أيقظهم من رقدتهم، و أوضح لهم اعوجاج مذاهبهم و التواء سبلهم، و دعاهم الى كلمه الحق، و جادلهم بالتي هي أحسن، و ناقشهم بالبرهان الصادق الساطع» [٢٣٤] و كتب الحديث حافله بمقارعتة لهذه الحركات و زعمائها مثل ابن أبى العوجاء و أبى شاعر الديصاني، و عبدالملك المصرى، و الجعد بن درهم و غيرهم من النافقين و الملحدين. و ربما كان عليه السلام يربى أصحابه على الاحتجاج و الشرح و التحليل ليقوموا بمهمه الدفاع عن الاسلام بأنفسهم.

تبيين الموقف الصائب من مسأله أصحاب الرأى

لا افراط و لا تفريط فى الاسلام. و هذا ما ركز عليه الامام عليه السلام. فالعمل بالرأى الذى اعتمده بعض الفقهاء يعنى التماس العلل الواقعيه للأحكام الشرعيه من [صفحه ١٨٣] طريق العقل وجعلها مقياسا لصحة النصوص الشرعيه، فما وافقها فهو حكم الله الذى يؤخذ به، و ما خالفها كان موضعا للرفض و التشكيك. و قد يعنى العمل بالرأى استنباط علل الأحكام من النصوص الشرعيه من خلال الظواهر الكلاميه التى تشكل حجه شرعيه، ثم تعميم الحكم على الحالات الأخرى. أو يعنى تقديم الأهم على المهم. أو يعنى الحاكم المجتهد فى مجال الحكم و الاداره باتباع المصلحه الاجتماعيه فى اصدار الأحكام الولائيه. كل هذه الأمور يقبلها الشرع و يؤكد عليها، و بهذا نعرف أن (الرأى) على بعض

المعانى مرفوض، و على بعضها الآخر مقبول و ما هو وضحته مدرسه الامام الصادق فى روايات مفصله [٢٣٥]. و الحقيقه ان وقوف مدرسه الامام الصادق أمام هذه الظاهره و تبيانها الموقف الصحيح ساهم كثيرا فى بيان الحدود الشرعيه، و لولا ذلك لكنا نرى الكثير من الافراط و التفريط: الأمر الذى كاد يعصف بالتشريع كله، لأن أولئك الجماعه يؤمنون بالقياس المقطوع بعلته اما قطعاً وجدانياً أو تعبدياً. و قد ورد معنا المناظره التى أجريت بين الامام الصادق و أبى حنيفه بحضور المنصور و كيف هزم أبوحنيفه أمام الحق الأبلج و الجواب المحكم.

توضيح الموقف السليم من الحاكمين و أصحاب الأغراض و الأهواء

أدرك الامام الصادق تمام الادراك بأن الصراع حول الحكم انما هو صراع أهواء قبل أن يكون صراعاً على المبادئ. و قد أثبت التاريخ بعد ذلك هذه الحقيقه بوضوح، فلم يكن العهد العباسى للمسلمين بأفضل من العهد الأموى، من حيث الاستبداد و الظلم و الترف و الانحراف. و هذا ما صوره قول أحد الشعراء: يا ليت جور بنى أميه دام لنا و ليت عدل بنى العباس فى النار لقد شعر الامام عليه السلام بذلك و لم يفرط بطاقاته بل سرعان ما استغل الموقف لينشر الحقائق العلميه الواسعه، و ان ذلك لا يعنى عدم توضيح الموقف السياسى، [صفحه ١٨٤] فقد كان موقفه واضحاً كل الوضوح تجاه الأمويين أو العباسيين أو قادة الثوره فيما بين العهدين اذ لم يستطع هؤلاء اغراءه بأى وسيله ماديه، من أجل تحقيق مآربهم الشخصيه. لذلك كان مغضوباً عليه من قبل الحكام الطغاه حتى نهايه حياته. فكم من المرات هددوه بالقتل، و أحرقوا عليه داره، و جلبوه أسيراً، و أشاعوا الاشاعات حوله، الا أنه بقى رغم كل ذلك صامداً لا تهزه عواصفهم و لا

تعزیه عواطفهم. و کم نحن بحاجه الیوم الی مثل هذه المواقف تجاه الظلم و الظالمین فسلام علیک یا امامی یوم ولدت و یوم توفیت و یوم تبعث حیا. روى أحمد بن عمر بن مقداد الرازی قال: «وقع الذباب علی وجه المنصور فذبه، فعاد فذبه فعاد حتی أضجره، و كان عنده جعفر بن محمد علیه السلام فی ذلك الوقت، فقال المنصور: یا أبا عبدالله، لم خلق الله الذباب؟ فقال له الامام علیه السلام: «لیذل به الجبابره» فسکت و لم یجد جوابا [۲۳۶] و له کلمات مأثوره عن كشف الظلم و الظالمین نختار منهما: - «ان فی ولایه الجائر دروس الحق کله، و احياء الباطل کله، و اظهار الظلم و الجور». - و قال أيضا: «العامل بالظلم و المعین له و الراضی به شرکاء». - و قال أيضا بعد أن دخل علیه رجل یدعی عذافر: «بلغنی أنك تعامل أبا یوب و الربیع - و هما من رجال الحکم آنذاك - فما حالک ان نودی بک فی أعوان الظلمه؟ [۲۳۷]. - و سأله أحد أصحابه عن البناء للحکام الظلمه فأجابہ علیه السلام: «ما أحب أن أعقد لهم عقده أو وکیت لهم وکاء و لا مده بقلم، ان أعوان الظلمه یوم القیامه فی سرداق من نار حتی یحکم الله بین العباد».

الحفاظ علی الأخلاق العامه

ان بحرا من المعارف الأخلاقیه للامام الصادق یزخر أمامنا و قد ترکت أثرا [صفحه ۱۸۵] کبیرا فی ایجاد نهضه تربویه و أخلاقیه عالیه فی المجتمع آنذاك. و هی تعد ثروه غنیه من الارشادات و التوجیہات تناقلها أبناء الأمة و تهذبت بها الجموع الغفیره حتی غدت منهلا نمیرا من مناهل الخلق القویم. و هذه نماذج منها: - الحیاء و الایمان مقرونان

فاذا ذهب أحدهما اتبعه الآخر. - ثلاثة من لم تكن فيه فلا- يرجى خيره أبدا: من لم يخش الله في الغيب و من لم يدعو عند الشيب، و من لم يستح من العيب. - خمس خصال من لم تكن فيه كثر مستمتع؛ الدين و العقل و الأدب و الحريه و حسن الخلق. - ثلاث لا يعذر المرء فيها: مشاوره ناصح، و مداراه حاسد، و التحيه الى الناس. - اياكم و الخصومه فانها تشغل القلب و تورث النفاق، و تكسب الضغائن قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: ما كان جبرائيل يأتيني الا قال: يا محمد اتق شحناء الرجال و عداوتهم». و هكذا نجد امامنا الصادق عليه السلام يعمل على الصعيد التربوي العام ليصون الأمة عقائديا و تشريعا و سياسيا و خلقيا و هذا دأب الأئمة المعصومين هداة الأمة و سفينه النجاه.

الخط التربوي الخاص

اشاره

و هنا أيضا نستطيع أن نلاحظ حركه واسعه الأبعاد لتربيته الطليعه الواعيه التي تحيي العافيه في أوصال الأمة الاسلاميه و هنا لا بد من الارشاره الى بعض مظاهر هذه التربيته.

التمسك بخط أهل البيت فكريا و قلبا

هؤلاء الطليعه الواعيه تشدهم نحو أهل البيت عاطفه نبيله و عميقه فيسيرون على خطهم قولاً- و عملاً. و لا ريب أن هذا التعلق العاطفي بالقائد أمر أساسى [صفحة ١٨٦] ركزت عليه التعاليم الاسلاميه. و لا يخفى على أحد أن حب أهل البيت و مودتهم، منبع الفيض و الحنان على الأرض أكدت عليه الآيات الكريمه و الأحاديث الشريفه لما لهم من أثر عظيم و عطاء كريم. سئل الامام الصادق عن قوله الله عزوجل: «انما أنت منذر و لكل قوم هاد» فقال عليه السلام: رسول الله المنذر و لكل زمان منا هاد يهديهم الى ما جاء به نبي الله صلى الله عليه و آله و سلم ثم الهداه من بعده على ثم الأوصياء واحد بعد واحد» [٢٣٨]. و جاء عن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: الأوصياء هم أبواب الله عزوجل التي يؤتى منها و لا هم ما عرف الله عزوجل، و بهم احتج الله تبارك و تعالى على خلقه» [٢٣٩].

التحلى بالورع

يقول عليه السلام: «عليكم بالورع فانه لا ينال ما عند الله الا بالورع» [٢٤٠] و من طريف ما يروى أنه شهد أبو كدينه الأزدي و محمد بن مسلم الثقفي عند قاض بشهاده، فنظر في وجهيهما مليا ثم قال: جعفرين فاطمين، فبكيا فقال لهما: ما يبكيكما؟ فقالا: نسبتنا الى أقوام لا يرضون بأمثالنا أن نكون من شيعته، فان تفضل و قبلنا فله المن علينا و الفضل قديما فينا فتبسم القاضى ثم قال: اذا كانت الرجال فلتكن أمثالكم [٢٤١]. و قال الامام عليه السلام لجميل بن دراج: «من صالح الأعمال: البر بالاخوان، و السعى فى حوائجهم و ذلك مرغمه للشيطان، تزحزح عن النيران، و دخول فى الجنان. يا جميل،

أخبر بهذا الحديث غرر أصحابك» فقال: جعلت فداك و من غرر أصحابي؟. [صفحة ١٨٧] فقال الامام عليه السلام: «هم البارون بالاخوان فى العسر و اليسر» و يقول عليه السلام: «عليكم بتقوى الله و الورع، و الاجتهاد، و صدق الحديث و أداء الأمانه، و حسن الخلق، و حسن الجوار، و كونوا دعاه الى أنفسكم بغير ألسنتكم و كونوا زينا و لا تكونوا شينا» [٢٤٢].

الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر

قال لأصحابه: «لأحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم، ما يمنعكم اذا بلغكم عن الرجل منكم تكروهون و ما يدخل به الأذى علينا أن تأتوه فتؤنبوه و تعذلوه و تقولوا له قولاً بليغاً». فقال له بعض أصحابه: اذا لا يقبلون منا؟. فقال عليه السلام: اهجروهم و اجتنبوا مجالسهم» [٢٤٣]. فهو يطلب من العالم أن لا يتخلى عن تعليم الجاهل الذى يتردى بجهالته، فيرتكب ما يخالف الدين، و لا يصح لهم هجره الا بعد ألياس من اصلاحه و ازاله الغشاوه عن بصره. ففى هذه الحاله تكون مواصلته تشجيعاً الى غير ذلك من أقواله الحكيمه التى كان يبعث فيها الشعور لسامعيه على لزوم التخلق بالسجايا الحسنه اقتداء به، لأن كان حريصاً على توجيه المجتمع، و التحلى بأداب الاسلام.

اداء الأمانات الى أصحابها

ركز الامام الصادق على أداء الأمانات، من ذلك وصيته للمفضل بن عمرو، قال عليه السلام: «أوصيك بست خصال تبلغن شيعتى»: «أداء الأمانه الى من ائتمنك، و أن ترضى لأخيك ما ترضى لنفسك، و اعلم أن للامور أواخر فاحذر العواقب، و أن للأموال الفتن فكن على حذر، و اياك [صفحة ١٨٨] و مرتقى جبل اذا كان المنحدر و عرا، و لا تعدن أخاك ما ليس فى يدك و فاؤه» [٢٤٤].

الدعوة الى العمل الصالح و الالتزام بالمنهج الأصيل

من ذلك ما أوصى به أصحابه يقول عليه السلام: «أوصيكم بتقوى الله و أداء الأمانه لمن ائتمنكم و حسن الصحبه لمن صحبتموه و أن تكونوا لنا دعاه صامتين. قالوا: يا ابن رسول الله و كيف ندعو و نحن صامتون؟ قال عليه السلام: «تعملون بما أمرناكم به من العمل بطاعه الله، و تعاملون الناس بالصدق و العدل، و تؤدون الأمانه، و تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر، و لا يطلع الناس منكم الا على خير فاذا رأوا ما أنتم عليه علموا فضل ما عندنا فتنزعوا اليه» [٢٤٥].

التربية على الصمود و الثبات و الالتزام

قال لأحد أصحابه عليه السلام: «قد كان قبلكم قوم يقتلون و يحرقون و ينشرون بالمناشير، و تضيق عليهم الأرض برحبها فما يردهم عما هم عليه شىء مما هم فيه، من غير وتره و تروا من فعل ذلك بهم و لا أذى، بل ما نعموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، فاسألوا درجاتهم و اصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم...» [٢٤٦]. ثم يقول عليه السلام: «صبروا النفس على البلاء فى الدنيا، و ان تتابع البلاء فيها، و الشده فى طاعه الله و ولايته، و ولايه من أمر الله بولايته.. فاتقوا الله و سلوه أن يشرح صدوركم للاسلام، و أن يجعل ألسنتكم تنطق بالحق حتى يتوفاكم و أنتم على ذلك، و أن يجعل منقلبكم منقلب الصالحين». [

الانضباط و التقية

يقول عليه السلام: «و الله ما الناصب لنا حربا بأشد علينا مؤونه من الناطق علينا بما نكره، فاذا عرفتم من عبد اذاعه فامشوا اليه وردوه عنها» [٢٤٧] و له بعض الرسائل الى أصحابه منهم أبويعفور بالكوفه قائلا: أقرئه السلام صلى الله عليه و قل كن على ما عهدتك عليه [٢٤٨].

التحذير من التعاون من السلطه

قال عليه السلام لأحد كتاب بنى أميه: «لو لا- أن بنى أميه وجدوا من يكتب لهم و يجيبى لهم الفى ء و يقاتل عنهم لما سلبونا حقنا» [٢٤٩]. و فى وصيه له لابن النعمان يقول عليه السلام: «من قعد الى ساب أولياء الله فقد عصى الله. و من كظم غيظا فينا لا يقدر على امضائه كان معنا فى السنام الأعلى. و من استفتح نهاره باذاعه سرنا سلط الله عليه حر الحديد و ضيق المجالس» [٢٥٠]

تطهير الاعتقاد من الغلو و الرجاء الكاذب

قال له رجل: ان قوما من شيعتكم يعملون بالمعاصى و يقولون: نرجو، فقال: «كذبوا ليسوا من شيعتنا كل من رجا شيئا عمل له، و الله ما شيعتنا منكم الا من اتقى الله» [٢٥١]. و سئل عليه السلام عما روى عن أبيه الباقر عليه السلام: «و اذا عرفت فاعمل ما شئت» و ان بعضهم يستحل بعد ذلك كل محرم فقال عليه السلام ما لهم لعنهم الله انما قال أبى [صفحة ١٩٠] «اذا عرفت الحق فاعمل ما شئت من خير يقبل منك» [٢٥٢] هذه شذرات و هى غيظ من فيض أردنا من خلالها أن نلمح الى الخط التربوى الخاص للامام الصادق عليه السلام الذى يصب فى النهايه فى الخط التربوى العام ليحقق الهدف المنشود و هو نشر المعارف الاسلاميه و تحصين الأمه و صيانتها من الانحراف، و بالتالى ضمان سيرها الخط المستقيم نحو تحقيق سعادته الفرد و سعادته الجماعه من أى عرق أو لون. و فقنا الله للعمل فى سبيله و مرضاته لنبقى جميعا على خط الاسلام العظيم، انه السميع المجيب. [صفحة ١٩١]

انسانيه المذهب الجعفرى

اشاره

كلمه انسان: مثنى لكلمه أنس و منها كلمه انسانيه. و الانسانيه صفه عالميه لا تقف عند الحدود الدوليه و لا الفوارق العرقيه و لا الاختلافات الطائفية. و من هذه الصفه النبيله يصبح الناس اخوه فى القارات الخمس من الكون، توحدهم الانسانيه فى الشكل و المضمون، لا تحدها سماء و لا أرض. أهدافها المحبه التى تعشق الخير، و العداله التى تعشق الحق، و السعاده التى تعشق الانسان فى حركه صاعده الى تصرفات مثاليه عند بنى البشر من كل عرق و لون. فى هذا الجو الانسانى العظيم تتوافق المفاهيم بين الروحانيات و بين المحسوسات؛ تلك الروحانيات العباديه التى

تهذب النفس و تقوم الضمير و تمنح المرء شفافية نبيله خيره. و من هذا المنطلق الحميم يعيش الانسان فكره مواساه الضعيف، و رحمته العاجز الفقير، فيتعاطف مع الانسان لمجرد انسانيته و يجاهد في دفع الظلم عن المظلومين و في سلخ الحرمان عن المحرومين. و بذلك يسود التراحم و التواصل و التسامح و يرحل البؤس و الحقد و سفك الدماء. و عندها تصل الانسانيه الى حد الغيره على البشر عامه فيتمنى كل فرد من أبناء الأرض نعيم الدنيا و نعيم الآخرة مرشدا المنحرفين و متسامحا مع المخطئين، و متعاطفا مع الصالحين، و مجاهدا مع المجاهدين ضد الظلم و الظالمين. [صفحه ١٩٢] و انسانيه الفقه الصادقي تنبعث من قلب التشريعات التي أصدرها و تظهر في كل تشريع للأحكام الالهيه و قد حرسها العصمه حراسه أبدية. هذه الانسانيه تفصح عنها فصول من المجموعات الفقيهيه التي استنبطها الامام الصادق عليه السلام من القرآن الكريم، والسنة النبويه الشريفه، و العلم المعصوم، و آلاف المواد التي قررها الامام جاءت متكامله من أجل الانسان، شامله المناحي الحياتيه في العبادات و المعاملات لتؤلف دستورا عظيما يزخر بتفاعلات خيره تحيي في الانسان انسانيته بعدما هجرها الحكام و قتلها الملوك الطغاه في داخل الفرد فتزعوا حريته و خدروا اسلامه عن طريق الترغيب و الترهيب. هذه المبادئ الانسانيه الحيه قررها الامام الصادق عليه السلام في مبادئه قولا و مارسها عملا، طوال امامته التي استمرت من (١١٤ - ١٤٨ هـ). ثم نبه أتباعه و أصحابه الى التعاطي معها بصدق و اخلاص لكي لا تتشوه مبادئ المذهب الجعفري، فردد على مسامعهم مرات عديده عبارات رادعه راحمه تحركهم في النمط المثالي الانساني. من هذه العبارات قوله عليه السلام: «كونوا لنا زينا،

و لا تكونوا علينا شينا». و قوله واعظا أحد أتباعه بعد أن علم أنه اقترف اثما: «ان الحسن من كل أحد حسن و انه منك أحسن، لمكانك منا، و ان القبيح من كل أحد قبيح، و انه منك أقبح لبعذك عنا» [٢٥٣]. و الامام الصادق عليه السلام انطلق في أحكامه من مفاهيم القرآن الكريم ليكتب الانسانيه بحروف مضيئه في عباراته: «لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي» [٢٥٤]. الامام الصادق أدرك مضي الآيات القرآنيه في البناء الاجتماعى التسامحى للاسلام، و قرأ سيره الأنبياء الأخيار و تعلم علومهم، فهو سليل النبوات، و حفيد الرسول الأعظم محمد بن عبدالله صلى الله عليه و آله و سلم الذى تقلب فى الأصلاب الطاهره، قال [صفحه ١٩٣] تعالى: «و تقلبك فى الساجدين» [٢٥٥] أبوه الامام الباقر، و جده الامام السجاد، و جد جده الامام على بن أبى طالب الذى خلف فى شيعته طريقه (التدوين) و الذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم: على مع القرآن و القرآن مع على و لن يفترقا حتى يردا على الحوض». و بالتدوين الفقهى استقر المذهب فى صدور الحفظه و النقله، من أميرالمؤمنين (على) الى بنيه و بخاصه الامام زين العابدين و الامام الباقر و الامام الصادق الذى نسب اليه المذهب. ثم عملت مجالسه فى نشره كمثل عمل التدوين فى استقراره. أدرك الأئمه الذين تتلمذوا له و تلاميذهم أمورا ترفع مجلس الصادق فوق المجالس، سواء مجالس أهل السنه أو مجالس أهل البيت عليه السلام. لمح الصادق و مضات الانسانيه تشع من مسيره، ابراهيم، خليل الرحمن، الذى شدد مره فى تطبيق الشريعه الاسلاميه بعدما شاهد الطغاه العصاه يقترفون الذنوب و يبدعون الجرائم،

فطلب لهم الموت. عندها ناداه الرحمن: يا ابراهيم، العباد عبادى دعهم يعيشون. ثم جاءه العتاب مره ثانيه عندما رفض استضافه رجل مجوسى لاشراكه، يا ابراهيم لقد استضيفته ثمانين عاما، أما تستضيفه ليله واحده... فكان ابراهيم بعد ذلك أواها حلما منيا. قال تعالى: «ان ابراهيم لحليم أواه منيب» [٢٥٦]. فانسانيه الامام الصادق عليه السلام لا تتعدى حدود الله تعالى، انما كانت تطلب الرحمه للناس عن طريق التوبه، التوبه المحدثه بلسان العزه. قال تعالى: «و لله العزه و لرسوله و المؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون» [٢٥٧] و جاء فى دعاء الامام عليه السلام: «يا ابن آدم كن من شئت، و افعل ما شئت فتعال الى فبابى مفتوح لك» هو [صفحه ١٩٤] دعاء يحمل فى طياته معنى التوسل الخاشع و يطلب الرحمه الواسعه، و لا تبديل لأحكام الله جل و علا. أما عن العناصر التى رفعت مجلس الصادق فوق المجالس و جعلت أصول الفقه الجعفرى و فروعه سائره مع الركبان مدى الزمان فهى كما نراها: ١- أن الامام جعفر الصادق موصى اليه من أبيه الامام الباقر عليه السلام. ٢- السنه عند الشيعة ثبتت عن طريقه بعد استشاده و عنه روى الآلاف من العلماء الثقه و عنهم جاءت الأحاديث المرويه من كتبهم، و هذا ما جعل الامام الصادق يقف بين العلماء جميعا فى مكان خاص. ٣- ان الآراء الفقيهيه فى أصول الدين و أصول الفقه و فروع المعاملات و العبادات سيرها اللاحقون منسوبه اليه. و ربما اقترن به أبوه الامام الباقر عليه السلام أو أشير الى رأى جده الامام السجاد عليه السلام لكن نبع العلم الآلهى منه هو الأكثر و الأشهر. و اذا كان التاريخ لم يعرف اماما فى السنن من درجته، أو

اماما فى الفقه من مرتبه، فالتارىخ كذلك لا يعرف اماما اجتمعت له الامامتان مثله الزمىه و الروحىه فتغاضى عن الأولى و عصم نفسه من توليد الفتنه و اراقه الدماء. ٤- كان الامام الصادق ثقه مطلقهم من جميع أئمه المسلمين، و يستوى فى ذلك من أهل السنه أئمه الرأى و جميعهم تلاميذه، و من أئمه الحدىث فهو فى القمه منهم، و روايته علىه السلام يؤثقها الشافعى واضع الأساس العلمى لقبول الحدىث، و علماء الجرح و التعدىل: كىحى بن معىن و أبى حاتم و الذهبى و ابن جنبل. كما باىعه امام أهل البىت عمه بن زىد على زىد العابدىن و يضعه موضع الامامه فىقول: «فى كل زمان رجل من أهل البىت يحتج به الله على خلقه و حجه زماننا ابن أذى جعفر لا يضل من كان من شىعته و لا يهتدى من خالفه». ٥- الامام الصادق هو الامام المعصوم من صلب آبائه و أجداده، أول و آخر امام من الله علىه بفرصه ذهبىه لقيام مدرسته الشهىره فى أواخر الدوله الأموىه المشغوله عنه بتثبىت دعائهما المهتره، و أوائل عهد الدوله العباسىه، التى تمد الىه [صفحه ١٩٥] بسبب من الوثام أو الخصام، و آصره من النسب، تساعدانه و تساعدانها - و هى ترفع شعار أهل البىت و الدفاع عن الدين. و بهذا أوىحت للأمام علىه السلام حرىه الجلوس لكل الناس، و التدرىس لكل العلوم، «فسالت الأباطح باعناق المطى الىه» من بقاع العالم، فى حقه ممتازه من التارىخ العالمى و الاسلامى. ٦- بحذقه و بعد تفكیره طمأن الحكام و الملوك فى الدولتىن، و كانوا سفاحىن ظالمىن فلم يتعرض لامامه أو خلافه، كما فىقول الشهرستانى و أبونعىم فى الملل و النحل و حلىه الأولىاء: «ما تعرض

للامامه قط و لا نازع فى الخلافه أحدا. و من غرق فى بحر المعرفه لم يطمع فى شط. و من تعالى الى ذروه الحقيقه لم يخف من حط». ٧- هو الامام الذى أتيح له على مدار ثلث قرن من الزمان بعد موت أبيه سنه ١١٤ هـ أن يكون «الامام» فى عصره، حيث امتد به عصر سلام حقيقى و ضرورى لنشر العلم، باطمئنان طالبه، و واهبه و الدوله التى ينتشر فى رعاياها. هذه العناصر جميعها التى لم تجتمع لواحد من آباءه أو أبنائه، هى التى سوغت لمن تبع فقه من الشيعة أن يطلقوا على مذهبه المذهب «الجعفرى» الذى لم يكن فى صميمه الا- مذهب «على» عليه السلام و لكن السماء تحول بركاتها باذن من الله لبعض الأسماء فى شكل خطوط. و كان الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر جديرا بنعمه السماء بقدر ما كافح و صدق فى خدمه الاسلام. و ما كان على عليه السلام بحاجة الى من يخلد اسمه، فالاسلام فى أعظم أيامه يقترن باسم على، قدر ما اقترن اسم على بالنبي و بيت النبي. و قد حمل المذهب اسم جعفر لأنه صاحب مدرسه، نهلت منه السنه الصحيحه، و مصادر الفقه العظيم، و ترسخ منه المنهج السياسى و الاجتماعى و الاقتصادى الذى نهجه تابعوه، و روى عنه الآلاف الذين روى عنهم أمثالهم. و انتشر المذهب كالشمس المضيئه فى البلاد لا يحجبه حاجب و لا يقف أمامه حاجز. و كسبت الأمم من علم الأئمه كسبا كبيرا مباركا و اقترنت أسماؤهم كاقتران [صفحه ١٩٦] أسماء أصحاب الكشوف بكشوفهم و أرباب الابتكارات بفتوحهم و لم يكن ذلك صدفة. و انما هو توفيق من الله للانسانيه و للناس جميع الناس،

لتكريم الأمم و سعادته البشرية و تقدمها ففتحوا أرض الله لعباده، و كانوا خلفاء الذين مكنهم من أنعم السماء و سنن الأنبياء و اكمال رساله الأوصياء. و بذلك استمر ضوء الفكر الانساني فى اشراقه و تألقه حفزا للعزائم و ظهورا للعلم. و أين الكشوف و التجارب التى اكتشفها العلماء من كشوف [٢٥٨] الشريعة الاسلاميه بتمامها و كمالها، و من امام فى الصدر من أئمتها، و طأنصوصها، و أصل أصولها، و قعد القواعد لها، و أقام على الأرض دولا باقيه بقاء الزمان، و مجتمعات سعيدة خالده بخلود الاسلام ينسب المذهب فيها الى صاحبه، فيكون المذهب «الجعفرى» أو المذهب «الامامى» المنسوب الى الامام جعفر الصادق و الى القول: «بامامه الأئمه الاثنى عشر». عمل الامام الصادق عليه السلام فهى فقهه عملا كاملا شاملا على جميع المستويات، فعلى المستوى الانساني وجدناه يرفق بالانسان و يصونه فى نفسه و أشياءه، حريصا على التناسب مع العقل و عدم التهاون فى أحكام الله، و على المستوى العلمى: أعطى الامام الصادق عطاء مباركا فى جميع العلوم الكيمياء، و الطبيعى، و الطبيه، و الاجتماعيه، و الفلكيه، و الانسانيه فتمت كل تلك البذور التى بذرها و أصبحت مفاتيح صالحه و مفيده لنهضة العلوم الذهبيه فى العصر العباسى. و على المستوى السياسى: قرر نظام الحكم، و أصل الأصول، و فصل أخلاق السلطان و أخلاق الفقيه، و شرح العلاقة الصحيحه بينهما فقال عليه السلام: «الفقهاء أمناء الرسول، فاذا رأيتم الفقهاء قد ركبوا الى السلاطين فاتهموهم» [٢٥٩]. و فى هذا المجال ركز الامام عليه السلام على عنصر العدالة لأنها مصدر السعاده [صفحه ١٩٧] الانسانيه، و أساس الملك الصحيح فى جميع البلدان و كل الأحوال. و الله تعالى أمر حكامه بالعدل سواء

أكانوا أصدقاء أم أعداء «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هم أقرب للتقوى و اتقوا الله ان الله خبير بما تعملون» [٢٦٠]. و اقامه العدالة يعنى اقامه الحدود، حدود الله التى جاهد الامام الصادق من أجلها بكل ما لديه من طاقه، لكن سلاطين الاسلام استغلوا تشريعات اقامه هذه الحدود للايقاع بأعدائهم، فما كان منهم الا أن وجهوا التهم الى المناوئين لسياساتهم، فأقاموا حدود القتل و سفلك الدماء ظلما و جورا. فراعته تلك التصرفات الظالمه مما دفعه الى اعلان تشريع يصون حقوق الانسان فى مواقف التعدى و الافتراء. فقال: «ان الاسلام قيد الفتك» [٢٦١]. و اقامه الحدود كما يرى الامام الصادق يجب أن تراعى الانسانيه فى مراقبه التنفيذ، و قد مر عليه السلام فى يوم بارد، و اذا برجل يضرب بالسياط. فقال: «سبحان الله فى مثل هذا الوقت يضرب!... فقيل له: و هل للضرب وقت؟ قال: نعم، اذا كان فى الحر ضرب فى برد الليل و اذا كان فى البرد ضرب فى حر النهار» [٢٦٢]. «و لا يقام الحد على المريض. كما لا يزداد فى الحد جلده واحده»، «و لكل شىء حد و لمن تجاوز الحد حد» [٢٦٣]. و عندما كان باستطاعته صون دم الفرد، كان يصونه مقابل التوبه استلهاما لما فعله جده الامام على بن أبى طالب عليه السلام عندما أتاه مذنب و طلب التطهير باقامه الحد، أجابه الامام يا سبحان الله! أين باب التوبه؟ «لا طهاره أفضل من التوبه» [٢٦٤]. كما رصد الامام الصادق للنيه و الندامه فى العقوبات فقال: «اذا جاء السارق [صفحه ١٩٨] من قبل نفسه تائبا

الى الله عزوجل ترد سرقة الى صاحبها، ولا قطع عليه» [٢٦٥]. و سئل عن السب، فأجابهم معللا اجتهاده: «إذا أقر الرجل على نفسه فذاك الى الامام، ان شاء عفا، و ان شاء قطع» [٢٦٦] و الاعتراف كما هو معروف ندم و توبه، و ثواب التوبه النصوح الغفران و العفو.

منهجه الصادق الفقيه

اشاره

استنبط الامام الصادق الأحكام الشرعيه من مكانها الأصليه: القرآن الكريم، و السنه النبويه، و سيره الأئمه المعصومين من آباءه و أجداده. ضم كتاب الله توجيهات الأحكام المجمله، و بقى شرحها و تفصيلها للنبي صلى الله عليه و آله و سلم الذى بين الأصول و معظم الفروع. و بقيت قضايا جزئيه لم يتوفر الدواعى لبيانها لعدم الحاجه اليها، و لأن حكمه التبليغ المتدرجه تباعا اقتضت أيضا تقسيم الأحكام، و نشأ جملة منها بينها الأوصياء و العلماء. قال الامام الصادق عليه السلام: علمنا من كتاب الله تعالى اذ يقول سبحانه: «و نزلنا اليك الكتاب تبيانا لكل شىء» [٢٦٧] و قال عليه السلام: «كل ما نحتاج اليه نعلمه، أما سمعت قول الله تعالى: «و كل شىء أحصيناه فى امام مبین» [٢٦٨].

السنه النبويه

نهل الامام الصادق من السنه النبويه الشريفه حتى أصبح وارثا لعلم الأنبياء. و لا يخفى ما للسنه من أثر فى شرح و تبيان كتاب الله ليسهل على الناس تناوله بيسر [صفحه ١٩٩] و سهوله. و قد صرح الامام بهذا المخزون الثقافى العظيم فقال عليه السلام: «علمنا من علم الأنبياء» [٢٦٩].

مسيره الأئمه

من هو الامام؟. النبي صلى الله عليه و آله و سلم يجب أن يكون فى الذروه من الصفات الكريمة و الغايه فى الأخلاق الحميده، فمنه يتعلم الناس الأخلاق و عنه يأخذون الكمال، و كل ما أوجب للنبي صلى الله عليه و آله و سلم من الصفات الخيره، و السجاياء الحميده، هى متعينه للامام من بعده، لأنه القائم مقامه، و الناشر لأحكامه و المبين حلاله من حرامه. اذا لا بد للرسول صلى الله عليه و آله و سلم أن يقيم للناس بأمر من الله تعالى الامام ليقوم لهم الدين، و يبين لهم معالم الخير، يثيب المحسن، و يعاقب المسىء، يعلمهم الأحكام، و يوضح لهم الحلال من الحرام، تقام لديه الشهادات، و يقيم للناس الحدود [٢٧٠]. و الامام الصادق عليه السلام سار بسيره آباءه المعصومين و بصوره خاصه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، فجمع آراءهم الفقيهيه و أحكامهم الشرعيه التى أغنت الفقه الاسلامى فكانت كامله شامله.

علم المعصوم

شرح الامام الصادق علم الأئمه المعصومين بقوله: «علمنا نكت فى القلوب و نقر فى الأسماع» [٢٧١] و يعنى: تفكر و الهام. و لا ريب أن علم المعصوم يرفض العلم بالقياس المطلق المبنى على المقدمات المتناقضه. [صفحه ٢٠٠] هذه الينايع الأصليه الصافيه بقيت عند الامام الصادق عليه السلام تتدفق فى تياراتها الالهيه خالصه من شوائب المدلسين و المنحرفين الذين يحكمون بغير ما

أنزل الله تعالى أحكامه، واستمرت تتألق على صدر الزمان و تتوهج في ذهن الانسان لما لها من مقدرات انسانيه.

الاتجاه الانساني في التشريع الصادق

في البناء الاجتماعي

صدر عن الامام الصادق عليه السلام تشريعات اجتهاديه متفرده في الحقل الاجتماعي حيث شدد على حسن التعامل بين الأفراد بروح الضمير الاسلامي. و الضمير ككل ملكات الانسان يمكن أن ينمي بالتربيه و يضعف بالاهمال. فاهمال الوجدان تضعف قوته أو تموت. قال تعالى: «أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا» [٢٧٢]. ان هدايه القلب ثمره من ثمرات الايمان بالله تبارك و تعالى. قال تعالى «و من يؤمن بالله يهد قلبه» [٢٧٣] ان حياتنا و سعادتنا في هذه الدنيا، متوقفه على الأمانه في عملنا، و الواجب يقضى على كل فرد في المجتمع أن يلبي صوت الضمير، فيقوم بواجبه خير قيام دون خوف أو طمع. هذه القوه المتمركزه في أعماق نفوس البشر و في طبائعهم تطالبهم بالدقه و الاتقان و الاخلاص فيما يعملون، لأن الأمه التي تفقد ضميرها تفقد سعادتها بكل ما فيها من أفراح و مباهج و طمأنينه. بل قل انها تفقد حياتها!. و قد ركز القرآن الكريم في عده آيات على الأعمال الصالحه التي هي نتيجة الضمير الحي و الشعور بالواجب، قال تعالى: «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا و

لا يشرك بعباده ربه أحدا» [٢٧٤] لقد جعل الله العمل الصالح بمثابة الايمان بالله و العلم العاطل بمثابة الشرك بالله. [صفحہ ٢٠١] و من أعمال الضمير الاسلامى الأمانه التى تباركها و تقدسها جميع الأديان السماويه و لا تبيح خيانتها الفوارق المذهبيه قال الامام الصادق فى الأمانه تتبعها (الوديعة): «ترد الى البر و الفاجر» [٢٧٥] فقد ألغى عليه السلام اباحه مال الفاجر فى تشريعات كثيرين من الفقهاء. و لتسهيل حاجات الانسان و اشاعه المعروف فى المجتمع حث الامام الصادق على القرض الحسن لما له من أثر جميل فى تمتين أواصر المحبه و التعاون بين أفراد المجتمع الواحد، فقال عليه السلام: «لئن أقرض أقرضا أحب الى من أن أتصدق بمثله» [٢٧٦]. فالقرض هنا بمنزله الصدقه بل ربما هو أفضل اذ أنه يحفظ المال لصاحبه، و يصون كرامه المقترض، فلا يحوجه الى ذل السؤال. جاء فى الحديث الشريف: «اليد العليا خير من اليد السفلى». أما الدين، فقد شدد عليه كثيرا حتى أنه شبه المدين المتهرب عن وفاء دينه بالسارق فقال عليه السلام: «من استدان دينا و لم قضاءه كان بمنزله السارق» [٢٧٧] نرى فى هذه المشابهه تأنيبا رادعا للمدين يطاله معنويا و ماديا، ففيه صفه الاحتيال و السرقة، و اقامه الحد المادى أى العقاب الجسدى. و كما ذكرنا أن من خصائص الفقه الصادقى تعليل الشرائع باتجاه انساني يوثق العلاقات الاجتماعيه بين الأفراد و يضمن تماسك المجتمع. يتوضح ذلك من جواب الامام الصادق لما سئل: لماذا حرم الله الربا أجاب: «لئلا يمتنع الناس المعروف» [٢٧٨]. [صفحہ ٢٠٢] و لا يخفى على أحد أن التشريعات الصادقيه تتميز بميزه خاصه و هى ارتباطها بالأحكام الالهيه. قال الامام الصادق فى ذلك:

«من حكم بدر همين بغير ما أنزل الله، عزوجل، فهو كافر [٢٧٩]. أما عن الشروط المخالفه لكتاب الله قال: «من اشترط شرطا مخالفا لكتاب الله عزوجل، فلا- يجوز على الذى اشترط عليه، و المسلمون عند شروطهم فيما وافق كتاب الله [٢٨٠] هذه الخصائص منحت الفقه الصادق سمة الخلود و البقاء، كما منحته صفه الاطلاق حتى غدا منهلا- يردده الفقهاء ليستنبطوا منه القواعد الشرعيه. مثال قاعده: «من أتلف مال غيره فهو له ضامن» مستنبطه من قول الامام الصادق: «من أضر بطريق المسلمين فهو له ضامن» [٢٨١]. و للامام الصادق معالجات انسانيه مثاليه فى الحقل الاقتصادى غريبه جدا فى تفردھا، متميزه فى أسلوب أدائها. و لا عجب فى ذلك فهو امام معصوم تخلق بأخلاق الأوصياء و سلك طريق الأنبياء. من هذه المثاليه الانسانيه نذكر قصه فى الاحتكار: فى احدى السنين انقطع الطعام عن المدينه المنوره، و كان الناس يشترون طعامهم يوما بيوم، فقال الامام الصادق عليه السلام لبعض خدمه: كم عندنا من الطعام؟ قال: ما يكفيننا أشهر، قال: أخرجہ، و بعہ. فقال الخادم: ليس فى المدينه طعام، قال الامام: بعہ. فلما باعه قال له: «اشتر مع الناس يوما بيوم». و جاء فى كتاب الوسائل: ان أهل المدينه أصابهم قحط، حتى أن الرجل الموسر كان يخلط الحنطه بالشعير، و يأكله، و كان عند الامام الصادق عليه السلام طعام جيد، فقال لخدمه: «اشتر لنا شعيرا، فاخلط بهذا الطعام» [٢٨٢]، و بع القمح، فانا نكره أن نكره أن نأكل جيدا و يأكل الناس رديئا «فتأمل هذه المواساه للناس و تأمل هذه المساواه مع الآخرين، [صفحه ٢٠٣] انها صادرة عن نفس طاهره، و قلب رحوم، عطوف يحس مع المحرومين

و يتعاطف مع المعوزين. هذا الدأب المشالى و هذه الأخلاق النبيله نهلهما من جده أميرالمؤمنين على بن أبى طالب الذى قال: «أأقنع من نفسى بأن يقال أميرالمؤمنين و لا أشاركهم فى مكاره الدهر؟ أو أكون أسوه لهمفى خشونه العيش» [٢٨٣]. فى حين دأب ملوك و سلاطين المسلمين (الخلفاء) على اغتصاب ما فى أيدي الناس فى حالتى الرخاء و الشده، لذلك قال الامام الصادق: «كل مغصوب مردود» [٢٨٤]. ذكرت المصادر أيضا أن أجود المقنيات كان يصادرها الملوك و يضمونها لأملاكهم أو يهبونها لزوجاتهم و أقربائهم. فانتقوا الأفضل و خصوا أنفسهم بالطيبات و تركوا عامه الشعب يعانى الحرمان و البؤس. فبالأعمال تتميز الرجال! أين هؤلاء الذين تسموا بالخلفاء من سليل الأنبياء الذى امتلك الحنطه و بدلها بالشعير ليأكل كما يأكل الناس، كان منهم و لهم، أحس باحساسهم و شاركهم فى سرائهم و ضرائهم مستلهما قول جده أميرالمؤمنين فى وصيته لمالك الأشر عندما ولاه على مصر قائلا له: «.... فانهم صنفان اما أخ لك فى الدين أو نظير لك فى الخلق».

التشريع الصادقى للحريه

أقر الاسلام الحريه فى كل أبعادها الحياتيه و رفض العبوديه بشتى أشكالها الا عبوديه الله سبحانه و تعالى. قال تعالى: «ان هذه أمتكم أمه واحده و أنا ربكم فاعبدون» [٢٨٥] كما حارب الرق و شجع على العتق و جعله فى أولويه الكفارات. نظر الامام الصادق عليه السلام الى حاجات الانسان الغريزيه، فرأى أنه نفس تعشق الحريه و لا تقنع بالقضايا الماديه المكونه فى الجسد، فجاهد بكل ما لديه من قوه من أجل حركه المجتمع الحر فى عصر فيه الحكام على قتل الحريه فى الفرد [صفحه ٢٠٤] المسلم فأماتوها بالقهر و الكبت بعدما بدلوا شريعه الله و

عطلوا حدوده. ذهل الامام الصادق أمام هذا الواقع الأليم، فقابله بتشريعات جريئه أعادت الى نفوس المسلمين طمأنينه الاسلام و هزت ضمير المنصور العباسى أكثر من مره، مما دفع هذا الحاكم الظالم الى رفع السيف مره و الى التهديد و الوعيد مرات أخرى. لكن جراه الامام الصلبيه و ثقته بنفسه و ايمانه بالله تعالى جعلته يقابل سيف المنصور بابتسامه هادئه، و وعيده بكلمات واعظه. و قد سئل عليه السلام أى الجهاد أفضل؟ فقال عليه السلام: كلمه حق عند امام ظالم» [٢٨٦]. و قد كتب اليه المنصور: ألا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟ فأجابه عليه السلام: ليس لنا ما نخافك من أجله، و لا عندك من أمر الآخره ما نرجوك له و لا أنت فى نعمه فنهنتك، و لا نراك فى نغمه فنعزيك بها، فما نضع عندك؟. فكتب اليه: تصحبنا لتصحنا. فأجابه عليه السلام: من أراد الدنيا لا ينصحك، و من أراد الآخره لا يصحبك. فقال المنصور: و الله لقد ميز عندى منازل الناس: من يريد الدنيا، ممن يريد الآخره» [٢٨٧]. انها جراه نبويه و قوه علويه أحيت فى نفوس المسلمين حريتهم الميته، و مكنتهم من الصمود فى وجه الظلم و مقاومه الظالمين. ثم تحدث عليه السلام عن نوع آخر من الحريه الانسانيه تكمن فى كيفيه انتساب الفرد الى المجتمع، فنهى عن اضافه النفس للغير لما فيها من عبوديه آنيه، و هى متفشيه اليوم فى بعض مجتمعاتنا على أكثر من صعيد. قال عليه السلام مخاطبا الشباب: «يا معشر الأحداث، اتقوا الله، و لا تأتوا الرؤساء، دعوهم يصيروا أذنانا، و لا تتخذوا الرجال و لا تبيح من دون الله» فهو يرفض و يحذر بصراحه من التبعية و العبوديه المتمثله فى عبوديه الطبقات

الاجتماعيه و المذاهب السياسيه و التقاليد المتوارثه عبر الأجيال. [صفحہ ۲۰۵] كما نهى عليه السلام عن اجاره النفس لما فيها من تحديد للرزق، و يطلب الى الفرد أن يبقى حرا في كسب عيشه فلا- يوكل نفسه الى عبد، بل يتكل على الله عزوجل رازق العباد و رب العالمين. قال عليه السلام: «لا- يؤجر الانسان نفسه، ولكن يسترزق الله عزوجل، و يتجر، فاذا أجر نفسه فقد حذر» [۲۸۸] العمل الحر في التجاره و الزراعه و الصناعه يبعد الانسان من تأجير نفسه للآخرين و يجعله حرا في كسب عيشه يعيش من كد يمينه و عرق جبينه ينظم وقته كما يريد و يعمل بارادته ساعه يشاء و كيف يشاء فلا سلطه تأمره و تراقبه و تحاسبه، حر في طريقه عمله، و حر في كسب عيشه. كما شرع الامام الصادق عليه السلام لمنع الفتنة بين الناس فخطط لمحاربتها و خنقها في مهدها عن طريق الاصلاح الاجتماعى. لأن الاصلاح بين أفراد المجتمع يجعلهم متعاونين متماسكين فيما بينهم كالجسد الواحد اذا أصيب عضو منه تداعت له سائر الأعضاء بالحمى و السهر. أما الفرقه و الخصومه فانها تثير بينهم الخلافات و الشغب و الفتنة و قد استعملها الحكام للتمكن من القهر و التسلط، كما نراها اليوم شعار المستكبرين من الدول الكبرى (فرق تسد). لذلك شرع الامام الصادق تشريعا انسانيا لوأد الفتنة في مهدها... أمر أن يقتطع مبلغ من مال المسلمين للاصلاح بين المتخاصمين، و هذا مما يشيع الموده و الصفاء و المحبه بين أفراد المجتمع. كان يضع أموالا بتصرف القيمين على شؤون الناس، و يأمرهم بصرفها من أجل الاصلاح بين أفراد الرعيه في حال وقوع نزاعات. «قال سعيد بن بيان: مر بنا المفضل و أنا

و ختن نتشاجر فى ميراث فوقف علينا ثم قال: تعالوا الى المنزل، فأتيناه و أصلح بيننا بأربعمائه درهم، دفعها الينا من عنده، حتى يستوثق كل واحد منا، و لما أردنا أن نشكره قال: و انها ليست من مالى، فالامام الاصادق أودعنى مالا و أمرنى اذا تشاجر رجلان فى شىء أن أصلح بينهما و أفنديهما من ماله» [٢٨٩] فهل نشاهد اليوم من يقوم بمثل هذه الأعمال يدفع من [صفحة ٢٠٦] ماله الخاص من أجل أن يصلح بين المتخاصمين؟. نعم، اننا نجد من أتباع الامام الصادق فى عصرنا و فى أى عصر من يقتدى به و بالأئمة المعصومين عليهم السلام. و لا ريب أن هذه التصرفات النبيله ترقى الى أرفع درجات الانسانيه فى المجتمعات الموعظه فى الحضاره. فسلام عليك أيها الصادق النبيل و سلام عليك أيها المصلح الاجتماعى الجليل عملت فأصبت و اجتهدت فأحسنت و كنت كأبائك الأئمة المعصومين شاهدا ناطقا بالحق يحب فى الله و يكره فى الله و يصلح بين عبادالله.

الاتجاه الانسانى للعلم الصادقى

فى سنوات قليله من عمر الزمن جاء الامام الصادق فملاً الدنيا بعلمه وازدهرت آلاف الكتب بأحاديثه القيمه و آرائه الصائبه، ألقى فيها على طلابه مختلف العلوم و صنوف المعارف، فحلقة للحديث، و أخرى للفقه، و ثالثه للتفسير، و رابعه للفلسفه و الالهيات و خامسه للرياضيات، و سادسه لبحث الأفلاك و مدارات الشمس و القمر و النجوم. حتى أنهم شبهوا دار الامام عليه السلام بالجامعه، تشمل جميع الاختصاصات. قال الأستاذ محمد صادق نشأت - أستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهره - ما خلاصته: ان دار الصادق كانت كجامعه كبيره تموج بالحكماء و أهل العلم. يجيب على أسئلتهم، و يحل مشاكلهم، دون التفات الى نحلهم و مذاهبهم

أو فروقهم و مقاصدهم و قد جمع أصحابه المقربون اليه دروسهم في أربعمائه كتاب، سموها: الأصول الأربعمائه. و ان رساله التي أملاها على المفضل بن عمر للرد على العالم الدهري المعروف بابن أبي العوجاء، تشير الى منزله الصادق و احاطته العجيبه بأنواع المعارف و الفنون» [٢٩٠]. أدرك الامام الصادق أن العلم أنجح و سيله للانسان كي يكتشف ذاته، و ما يحيط به من الموجودات لمعرفتها و الافاده منها، كما أدرك أيضا الحكمه اللازمه [صفحه ٢٠٧] من وجودها فأكد على حقيقه الانسان بما هو انسان، أى على حقيقه الجوهرية التي تختلف بتباين عن حقيقته العرضيه. لجأ الى العلوم يستنطق كنوزها المخبوءه، فتمثل العمل فى اثبات الخالق فكلمما تقدم الانسان أكثر فى اكتشافاته العلميه كلما آمن أكثر بقدره الخالق العظيم رب العالمين. عمل جاهدا على تطوير معرفه لترقيه الحضاره الانسانيه، و لا- ننسى أنه عاش فى زمن كثر فيه الفرق و المذاهب من مانويه، و مزدكيه و دهرية و مرجئه و قدرية... عملت بعضها على اشاعه الالحاد، و انكار وجود الخالق. عندها انبرى لهم الامام الصادق يدحض آراءهم و يفند حججهم و يبين مغالطهم مستخدما بذلك الأساليب العلميه التي استخدموها على غير حقيقتها، فكانت الرسائل. من أشهر رسائله ما عرف «بتوحيد المفضل» و هى عبارته عن املاءات أملاها الصادق عليه السلام على تلميذه المفضل بن عمر الجعفى ردا على عبدالكريم بن أبي العوجاء و أصحابه.. أظهر الامام الصادق فى مباحثه هذه علومه متطوره تنبىء عن معرفه متعمقه للعلوم الطبيعیه النباتيه و الحيوانيه و الانسانيه، تناولها بمنهجيه دقيقه من حيث التكوين و النمو و الغذاء و العطاء. و رأى فى كماله خلقها كمال الخالق العظيم، و فى معرفتها تتكشف لها

الكثير من الأسرار البعيده التي يفيد منها الانسان كثيرا فى حياته الخاصه و العامه فيتجاوز المشقات الجسديه و يتفادى الآلام النفسيه. بدأ الامام الصادق بالانسان مرافقا مراحل تطوره و عمليه وظائف أعضائه. و لا مجال لحصرها جميعها لكثره عناوينها و بعد ابحاثها. منها: «ولاده الجنين و غذاؤه» [٢٩١] و «حال المولود فيهما عاقلا- و تعليل ذلك» [٢٩٢]. «ثم الحواس الخمس و أعمالها و ما فى ذلك من أسرار» [٢٩٣] ثم أبان وظائف الأعضاء مشيرا الى نعمه الحواس الخمس ثم «قوى النفس و موقعها من الانسان» [٢٩٤] ثم أشار الى دور النور و الهواء فى ادراك الألوان و الأصوات و لا يكون ذلك الا بعمل و تقدير من لطيف خبير جل و علا. [صفحه ٢٠٨] و علل فائده وجود الشعر و الأظافر و دورها فى تخفيف آلام الجسد. قال عليه السلام: «اعلم أن آلام البدن و أدواءه تخرج بخروج الشعر فى مسامه، و بخروج الأظافر من أناملها» [٢٩٥] ثم أتحنفنا بنظريات متطوره أدركها العلم فى عالم النبات. قال عليه السلام: «يامفضل لألقين عليك من حكمه البارى جل و علا تقدس اسمه فى خلق العالم و السباع و البهائم و الطير و الهوام و كل ذى روح من الأنعام و النبات...» [٢٩٦]. لقد نسب الروح للنبات كما تنسب للأنعام. فللنبات حس و حركه اكتشفها العالم الفيزيولوجى الفرنسى (بيثا) المتوفى سنة ١٨٠٢ م. كما ظهرت دراسات حديثه فى القرن العشرين تكشف تحرك النباتات و انفعالاتها بالحر و البرد و الظلمه و النور، و الفرح و الحزن و الضحك و البكاء.. و دراسته ما وراء هذه الفطريات تدل على عظمه الخالق و حكمته سبحانه و تعالى فى خلق

الكون و ما فيه من أسرار عجيبة تجعل جميع الخلق يؤمنون بقوه و عظمه الخالق العظيم لو تأملوا مليا فى المخلوقات. و نقطه أخرى تؤكدها هذه الدراسات و هى العمق المعرفى عند الامام الصادق عليه السلام فى منهجه العلمى لخدمه الانسان فى كل زمان و مكان. و ما نريد بيانه و التأكيد عليه هذه المسحه الانسانيه فى التشريع الجعفرى هى التى كتبت له الخلود و ألبسته الحياه وسط اضطهاد مرير و محاصره شديده من فعل السلاطين العباسيين. لأن الفقه الجعفرى منطلق فى أحكامه من كتاب الله، لا يقر الحكام الظالمين فى أيديولوجيته و لا يرضى بوجود سلطان يتهاون بأمر الشريعة و يجهل أحكامها و يعبث بمقدرات الأمه و كرامتها. لكن الامام الصادق عليه السلام امام معصوم صبر على هذه المكاره و تحمل الأذى، و قابل الأحقاد بالمحبه و السيئات بالحسنات و حقد السلطان بابتسامات هادئه و غضبه بكلمات حكيمة يلفها الوهج و تتألق بالرصانه و الوقار. كل ذلك من [صفحه ٢٠٩] أجل اصلاح الأمه و بناء مجتمع انساني سليم يسوده العدل و ينعم به أهله بالسعاده و الطمأنينه. تعرض الامام الصادق الى المضايقات بشتى ألوانها، و تعرض الفقه الجعفرى الى الالغاء بطرق بربريه تعرت من الانسانيه و لبست لباس الوحشيه أولها قتل القاده من حمله الفقه الجعفرى و نهايتها دس السم للأئمه المعصومين و منهم الامام الصادق نفسه قضى بالسم على يد المجرم الحاقد المنصور العباسى فى شهر شوال من العام ١٤٨ هـ على يد محمد بن سليمان والى المدينه، و فى كل عصر مجاهدون شرفاء و فى كل عصر مجرمون خبيثاء. لقد لاقى حمله الفقه الجعفرى التعذيب حتى الموت فعرفوا بشهداء المذهب الجعفرى، الشهيد الأول محمد

بن مكى الجزينى (١٣٣٣ - ١٣٨٤ م) و الشهيد الثانى زين الدين الجبى (٩١١ هـ - ٩٦٥ هـ) و الشهيد الثالث العلامه آيهالله محمد باقر الصدر على يد طاغيه العراق صدام حسين. و اليوم شهداء المقاومه الاسلاميه فى جنوب لبنان و البقاع الغربى هم من أتباع الامام الصادق جعفرىون، حسينون، علويون يحاربون الظالمين لاحقاق الحق و ازهاق الباطل: ان الباطل كان زهوقا. و من الحمله على اغتيال الرجال الى اغتيال الفكر فقد فرض الحكام العباسيون (المنصور) الحظر على المسافرين من حمله الكتب الفقيهيه و منعوهم من التجوال فى البلاد الاسلاميه. لكن هذا الحظر و هذا التشدد فى المراقبه لم يمنع المذهب الجعفرى من الانتشار، بل ربما ساعد على انتشاره أكثر، فكان الاضطهاد عاملا ايجابيا صغ التشريعات الجعفرية بالبقاء و حماها من الفناء. و ما كان يجرى فى الواقع أن سائر المذاهب الأخرى قد نهلت من نمير المذهب الجعفرى و اعتمدته فى بلدانها. مثل الطلاق و الارث و سائر المعاملات. و السبب فى ذلك المسحه الانسانيه المسيطره على هذا المذاهب الذى هو فى الحقيقه مذهب أهل البيت عليه السلام.

صمود المذهب الجعفرى أمام الحكام

يبدو لنا بوضوح أن عدم التأثير بآراء الحكام هو الذى أوجد تلك المرونه فى [صفحه ٢١٠] المذهب الجعفرى، لأنه استقى مبادئه من ينبوع أصيل لم يكدر صفوه التعليم الاستعمارى بما فرضه على العلم و العلماء، و لما كان غلق باب الاجتهاد من مقترحات الدوله و تشريع السياسه، لم يلتزم المذهب الجعفرى به، و لم يخضع لذلك النظام الجائر الذى يفضى مؤداه الى الجمود الفكرى و تحجير العقل، ورد نعمه أنعم الله بها على هذه الأمه [٢٩٧] و من الواضح أن عدم الالتزام بما تفرضه الدوله يعد خروجا عن

طاعه حكامها، و ذلك يستوجب المقاومه و العقاب. و قد عرف معتنقو مذهب أهل البيت عليهم السلام بأنهم لا يرون لزوم طاعه أولئك الحكام الذين تربعوا على عرش الخلافه بدون حق، لذلك لم يتعاونوا معهم و لم يؤازروهم اقتداء بأئمتهم و اتباعا لأوامر الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فى مقاطعه الظلمه، و حرمة معاونتهم. و طبقه الحاكمه تعد من لا- يؤازرها و يتعاون معها خارجا عن طاعتها و خصما يجب القضاء عليه، لأن عدم التعاون مع الدوله يعنى عدم الاعتراف بأهليتها و هذا ما يؤثر على استمرارها و بقائها. و لولا فيض من القدسيه فى مبادئه، و قوه روحيه فى تعاليمه، و عنايه الخالق الحكيم بخلقه لتمكنت السلطات بمحاولاتها المتعدده من القضاء عليه، لكن هذه المحاولات الآثمه ذهبت دون جدوى، و كان نصيبها الفشل و نصيبه النجاح.

التشيع و المذاهب الأخرى

أخذ أئمه المذاهب أنفسهم عن أهل البيت و جعلوا ذلك فخرا لهم و سببا لنجاحهم. فأبو حنيفه (٨٠ هـ - ١٥٠ هـ) أخذ بأقوال الامام على بن أبى طالب عليه السلام حتى جعلوا ذلك من مرجحات مذهبه على غيره من المذاهب لقول النبى صلى الله عليه و آله و سلم «أنا مدينه العلم و على بابها» و كان أبو حنيفه يفتخر بالأخذ عن الامام الصادق عليه السلام و يقول: «لولا السنن ان لهلك النعمان». مالك بن أنس (٩٣ هـ - ١٧٩ هـ) هو أيضا أحد تلاميذ الامام الصادق و عنه [صفحه ٢١١] أخذ الشافعى (١٥٠ هـ - ١٩٨ هـ) الذى لا- يروى الا عن على بن أبى طالب لذلك اتهموه بالتشيع فافتخر قائلا: أنا الشيعى فى دينى و أصلى بمكه ثم دارى عسقلية بأطيب مولد و أعز فخر و أحسن مذهب

يسمو البريه [٢٩٨]. و كذلك الامام أحمد بن حنبل (١٦٤ هـ - ٢٤١ هـ). كان يفضل الامام على بن أبى طالب على الصحابه جميعا، و سئل يوما عن أفضل أصحاب الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فقال: أبوبكر ثم عمر ثم عثمان، قيل: فعلى؟ قال: سألتموني عن أصحابه و على نفس محمد صلى الله عليه و آله و سلم. الى غير ذلك مما يطول ذكره، على أننا نجد أهل المذاهب متفرقين فيما بينهم كل يذهب الى رجحان مذهبه و بطلان غيره، و يقيم كل فريق أدلته للغلبه و الظهور على الآخر. فى حين أنهم جميعهم قد أخذوا عن الامام الصادق عليه السلام. لكن الغرض أن أخذ الشيعة عن أهل البيت انما هو لدلاله الكتاب و السنه، و بدون ضروره للأخذ بأصول الدين و فروعه عنهم: فهم سفينه النجاه و أمان الأمه، و باب رئيس من دخله كان الآمين، و العروه الوثقى التى لا انفصام لها، و أحد الثقلين لا يضل من تمسك بهما و لا يهتدى من ضل عن أحدهما. و هنا لا بد لنا من أمن نريد توضيحه: و هو أن كل المعارضات التى أجهد الساسه أنفسهم فى تركيزها و آزرهم على ذلك جماعه من المرتزقه باعوا ضمائرهم بأبخس الأثمان انما كانت بعيده كل البعد عن الواقع، و لا نجد من أولئك المتشدين بدم الشيعة و الحط من كرامه أهل البيت من أقام دليلا منطقيا يستطيع أن يثبت من خلاله ذلك الدم، و انما هم متكسبون مهرجون، و الدين منهم براء.

انتشار المذهب الجعفرى

قلنا ان المذهب الجعفرى هو مذهب أهل البيت الذين أذهب الله عنهم [صفحه ٢١٢] الرجس و طهرهم تطهيرا، و هو

أقدم المذاهب نشأه و أقواها عاملاً. فقد تكون في عهد صاحب الرساله صلى الله عليه و آله و سلم فهو أول من وضع بذره التشيع في حقل الاسلام، يوم غرس دوحه شريعته الغراء جنبا الى جنب، و لم يزل غارسها صلى الله عليه و آله و سلم يتعهدا بالسقى و العناية حتى نبتت و نمت في حياته، ثم أثمرت بعد وفاته، حيث استمر أهل بيته و خلص أصحابه بتعهدا. و قد قام كل منهم بما يجب عليه من رعايتها، و تحمل من نكبات و اضطهاد في سبيل حفظها من تلك السلطات التي كانت تحاول القضاء عليها للقضاء على آل محمد صلى الله عليه و آله و سلم. و قد وقفوا أمام تلك التيارات وقفه اخلاص و ايمان و ثبات على مبدأ الحق، و لم يأبهوا يوماً بسلطه أو سياسه.

معارضه المنصور و الرشيد للمذهب الجعفرى

كان المنصور يأمل بالامام أبى حنيفه عندما رعاه بعنايته و نصره فقدمه على كثير من الفقهاء ليوجد منه شخصيه علميه تقف أمام انتشار المذهب الجعفرى. و لكنه سرعان ما خاب أمله، و فشلت خطته. فهذا الامام أبوحنيفه نفسه يصرح للملأ بأنه ما رأى أعلم من جعفر بن محمد عليه السلام و أنه أعلم الأمه [٢٩٩]. و سأله رجل يوماً عن انسان وقف ماله للامام فمن يكون المستحق؟ فأجاب أبوحنيفه: المستحق هو جعفر الصادق لأنه الامام الحق [٣٠٠]. ثم جاء الرشيد و بذل كل ما فى وسعه لتحويل أنظار الناس عن آل محمد فأظهر تعظيم مالك بن أنس، و كان يجلس بين يديه تأدبا يتعلم منه العلم، و يأمر خواصه و أولاده باحترامه. ثم قرب اليه الشافعى و نظر اليه نظره عطف و حنان لأنه قرشى

و أرسله الى مصر بصحبه الوالى و أمره باكرامه و احترامه و أعطاه سهم ذى القربى. و عامل أهل البيت بالقسوه و الشده و تتبع أنصارهم، و القضاء على من اتهمه فى موالاتهم، حتى أنه ثقل عليه أن يكون على بن أبى طالب عليه السلام رابع الخلفاء فحاول أن ينفى ذلك و يعاقب من يثبته. [صفحه ٢١٣] قال أبو معاويه: دخلت على هارون الرشيد فقال لى: يا أبامعاويه هممت بمن أثبت خلافه على فعلت به و فعلت. قال أبو معاويه: يا أمير المؤمنين. قالت تيم: منا خليفه رسول الله. و قالت بنو أميه: منا خليفه الخلفاء، فأين حظكم يا بنى هاشم من الخلافه؟ و الله ما حظكم الا ابن أبى طالب [٣٠١] و بهذا استطاع أبو معاويه أن يصرف الرشيد عن رأيه. و مضى فى سياسته العمياء التى لا تفرق بين الحق و الباطل محاولا قلع بذره جيهم التى زرعها الرسول صلى الله عليه و آله و سلم. و رغم تلك المحاولات الفاشله بقى المذهب الجعفرى ينتشر فى العواصم و يتسع فى الأقطار حتى كثر أتباعه و شاع بين الناس. و انتشر المذهب الجعفرى فى جميع البلاد الاسلاميه بقوه مقوماته من دون عوامل الترغيب أو استنادا الى السلطه الحاكمه التى ساندت المذاهب الأخرى، و كان أول ظهور الشيعة فى الحجاز، و هى أول أرض بذرت فيه بذره التشيع. و فى القرن الرابع الهجرى انتشر بصورة ظاهره فى المدينه المنوره. كما انتشر التشيع فى بلاد الشام و كان أبوذر الغفارى رضوان الله عليه هو الذى نشر المذهب هناك، و لا يزال فى قريه الصرفند بين صيدا و صور مقام معروف باسم أبى ذر اتخذ مسجدا معمورا. و اليوم يوجد

عدد كبير قد شغلوا مناصب مهمه فى اداره البلاد السورىه، و منهم العلماء و الأطباء و كبار التجار، و تقام عندهم مآتم عاشوراء علنا فى عاصمه الأمويين، و يحضرها الكثير من أهل السنه، و الخطيب يصدح بمخازى معاويه و فضائح يزيد و جرائم بنى أميه مستنبطاً ذلك من التاريخ الصحيح. جاء فى خطط الشام: «و فى دمشق يرجع عهدهم (الشيعة) الى القرن الأول للهجره، و فى أكناف حوران و هم مهاجره جبل عامل و فى شمال لبنان و المتن و البترون و هم مهاجر بعلبك، و لا يقل عدد الشيعة فى الشام من الاماميه عن مئتى [صفحه ٢١٤] ألف نسمة» [٣٠٢] أما جبل عامل فقد كان بدء التشيع فيه بفضل الجهود التى بذلها المجاهد فى سبيل الله أبوذر الغفارى رضوان الله عليه، و انتشر بسبب دعوته. و كانت الحركه العلميه واسعه فيه و ما زالت. و للشيعة فى جامعه النجف الأشرف جماعه غفيره تخرج منها عدد كبير من العلماء و حمله دعوه الاصلاح. و منهم المجتهدون المجاهدون فى نصره الدين و جمع كلمه المسلمين كالعلامه المجاهد محمد باقر الصدر رحمه الله عليه. و فى حمص قرى للشيعة خاصه، و فى المدينه نفسها جماعات ظاهره و مستتره، و فى أعمال ادلب قرى الغوطه و نبل و فوعه و غيرها، و كلها شيعه و فيها الى اليوم بنو زهره نقباء الأشراف فى مدينه حلب، و كل هؤلاء من بقايا زمن الحمدانيين و من فلول شيعه حلب يوم تشتت شملهم [٣٠٣] يشير بذلك الى الكارثه التى أصابت الشيعة عندما أفتى الشيخ نوح الحنفى بكفر الشيعة و استباحه دمائهم تابوا أم لم يتوبوا، فقتل بسبب هذه الفتوى أربعون ألفاً من

الشيعة، و نهبت أموالهم و أخرج الباقون الى القرى. و انتشر المذهب الجعفرى فى حلب بصورة ظاهره و أصبح لهم قوه لا يستهان بها حيث استطاعوا منع سليمان بن عبد الجبار صاحب حلب عن بناء المدرسه الزجاجيه و ذلك حوالى سنه ٥١٧ هـ. ثم سرى التشيع فى أفريقيا بانتشار عظيم الى أن قاومته السلطه، يوم كان أمير أفريقيا المعز بن باديس، فانه فتك بالشيعة فتكا ذريعا و ذلك فى عام ٤٠٧ هـ عندما أوقع بهم وقيعه كبرى. و برروا ذلك أنهم سبوا الشيخين و هى ماده كان يطبقها الولاه على من يريدون الفتك به من أى الفرق. و ذلك أن المعز بن باديس مر على جماعه من الشيعة فى القيروان و قد سأل عنهم، فلما أحس الناس من المعز الميل عنهم انصرفت العامه من فورها الى مجتمعات الشيعة، فقتلوا منهم خلقا كثيرا و توجه الجند للنهب، و شجعهم عامل [صفحه ٢١٥] القيروان فقتل منهم خلق كثير و أحرقوا بالنار، و نهبت دورهم، و تتبعوهم فى جميع أفريقيا، و اجتمع جماعه منهم الى قصر المنصور قرب القيروان فتحصنوا به، فحصرهم العامه و ضيقوا عليهم، فاشتد عليهم الجوع فاقبلوا يخرجون و الناس يقتلونهم حتى قتلوا عن آخرهم، و لجأ منهم جماعه الى الجامع فى المدينه فقتلوا كلهم [٣٠٤]. و هذه احدى النكبات الفظيحه التى لاقاها التشيع و قد ذاقوا مثلها ما هو أمر و أمر. و مع ذلك و مع هذه الاضطهادات، فان التشيع اليوم منتشر فى أفريقيا الوسطى و الجنوبيه بما يقارب العشره ملايين نسمة. و فى أندونيسيا ازداد عدد الشيعة فأصبح يقدر بثمانيه ملايين نسمة و للعلويين هناك اليد الطولى فى نشر المذهب الجعفرى، و كان

منهم العلامة السيد محمد عقيل صاحب المؤلفات القيمه كـ «نصائح الكافيه» و «التعب الجميل» و «تقويه الايمان» و «القول الفصل» و كان يقيم فى سنغافوره. و كانت لهم أنديه أدبيه تربط أواصرهم. أما فى مصر فقد انتشر التشيع من انتشار الاسلام بواسطه أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الذين شهدوا فتح مصر، و هم المقداد بن الأسود الكندى و أبوذر الغفارى، و أبورافع، و أبوأيوب الأنصارى، فهؤلاء و أحبابهم كانوا دعاة التشيع و أنصاره. و لما دخلها عمار بن ياسر أيام عثمان بن عفان دعا الى التشيع و تمثلت الناس به حتى أصبحت البلاد كلها الى جانب الامام على عليه السلام و أجمعوا على مقاومه عثمان. و بعد عمار دخلها قيس بن سعد واليا فأكمل طريق عمار و ركز دعائم التشيع أكثر فتعالت أسهمه و كثرت جنوده، لكن بدخول عمرو بن العاص، المعروف بدهائه و مكره، تأخرت حركة التشيع و استمرت على هذه الحال من الجمود الى أن زال ملك الأمويين، فأظهر المصريون ما انطوت عليه قلوبهم من الولاء [صفحه ٢١٦] لعلى عليه السلام و تنفسوا الصعداء. و لا زال التشيع يظهر فى مصر حينا و يختفى حينا آخر حسب العوامل التى تدعو الى اخفائه و ظهوره، و اليوم الذى يزور مصر يلاحظ و يرى أن المذهب الجعفرى منتشر هناك و تعتنقه جماهيره غفيره. و فى الهند ظهر التشيع و انتشر بسبب الروابط المتصله بين العرب و الهنود. و بمساعى المرشدين الذين دخلوا بلاد الهند من الشيعة اعتنق المذهب الجعفرى جماعه كبيره من الوثنيين، و منهم جماعه كثيره باقون الى اليوم و لهم امارات فى جميع الأقطار الهنديه، و لا يخلو بلد منهم، و

هناك بلد تختص بهم و هي: لکنهور، المركز الوحيد للشيعة في الهند و عاصمه مملكه أوده الفانيه و منبع علمائها قديما، و تعد اليوم من أكبر البلاد العلميه، و فيها مدارس عربيه أهمها: الجامعه السلطانيه، و منها مدرسه الواعظين و هي تختص بالتبليغ. و المدرسه الناظميه التي أسسها العلامه أبوحسن كما أسس الجامعه السلطانيه. و في لکنهور الشىء الكثير من آثار الشيعة كالمساجد و الحسينيات و من البلدان جانپور، تين آباد، مظفرآباد، لاهور، بنجاب [٣٠٥]. و في تركيا ظهر المذهب الجعفري و انتشر بصوره مكشوفه فكثر أتباعه و تزايد مناصروه، لكن السلطان سليم المتوفى سنه ٩٢٦ هـ قاوم الشيعة و قتل منهم خلقا كثيرا. يقول ابراهيم الطيب الأول للجيش التركي: و كان السلطان سليم شديد التعصب على أهل الشيعة، و لا سيما أنه كان في تلك الأيام قد انتشرت في رعاياه تعاليم شيعيه تنافى مذهب أهل السنه، و كان قد تمسك بها جماعه من الأهالي، فأمر السلطان سليم بقتل كل من يدخل في هذه الشيعة، فقتلوا نحو أربعين ألف رجل، و أخرج فتوى شيخ الاسلام بأنه يوافق على قتل الشيعة و اشهار الحرب ضدهم [٣٠٦]. [صفحہ ٢١٧] و مع هذا الاضطهاد فاننا نجد اليوم في تركيا عددا كثيرا منتشرين في أطراف البلاد. و في السعوديه، القطيف و جوارها نجد جماعات شيعيه و في الاحساء و قاعدتها (هفوف)، و كذلك في قطر، يوجد كثير من الشيعة، و لا يزال من الاحساء و القطيف في النجف الأشرف مهاجرون لتحصيل العلم الديني، علم أهل البيت. و منهم علماء مبرزون و أدباء معروفون لهم مكانتهم الأدبيه. و في البحرين للتشيع مكانه، و لأهله قوه، و قد برز

علماء خدموا الأئمة الاسلاميه، بمؤلفاتهم القيمه و آثارهم الجليله، التي تعد الواقع من أفضل التراث الشيعي، و لهم في النجف الأشرف الآن بعثات تتلقى العلوم الدينيه و منهم علماء و أدباء و شعراء قاموا بدور عظيم في خدمه المذهب الجعفري. و في الأفغان انتشر التشيع منذ زمن بعيد، و يقدر عددهم اليوم بعشره ملايين، و يوجد منهم في النجف الأشرف الآن بعثات يقدر عددهم بنحو ثلاثه آلاف نسمة منهم من يدرس الفقه الجعفري، و قد برز منهم علماء مبرزون لهم مكانه علميه عاليه. و قبل نصف قرن تقريبا هاجر كثير من الشيعة السوريين و من اللبنانيين (جبل عامل) لتحصيل العيش في أمريكا، فعلموا في التجاره و الزراعه، و هم ذوو شأن و عزه يقيمون هناك شعائر الاسلام، فبنوا مساجد فخمه في الولايات المتحده و يقدر عددهم بمليون نسمة. كما دخل المذهب الجعفري الى الصين منذ القرن الرابع و في البلاد الروسيه كان للشيعة دور بارز حيث أقاموا الشعائر الدينيه بحريه واسعه كبلاد بخارى و القوقاس. و كانوا قبل الحرب العالميه يتوردون بكثره لزياره المشاهد المقدسه و يفدون مهاجرين لطلب العلم، و الى اليوم نجد جماعه منهم في النجف الأشرف حالت دون وصولهم لأوطانهم صعوبات كبيره في ظل هذه السلطه الحاكمه. أما العراق، و ما أدراك ما العراق، فقد انتشر فيه مذهب أهل البيت في الصدر الأول من عصر الاسلام، و قام بذلك أصحاب الرسول صلى الله عليه و آله و سلم المجاهدون، في [صفحہ ۲۱۸] الكوفه، و المدائن، و البصره. لكن الكوفه تميزت بصبغتها الاسلاميه العلويه، و قام فيها رجال الدعوه في الدفاع عن أهل البيت، و تحملوا في عهد معاويه و ابنه الطاغيه المجرم

يزيد الكثير من المصائب والبلاء، و يكفى مأساه كربلاء و قتل سيدالشهداء الامام الحسين بن على عليه السلام ابن بنت رسول الله و أحد السبطين الكريمين. و فى المدائن انتشر التشيع هناك على يد الصحابين الجليلين سلمان الفارسى و حذيفه بن اليمان، و كذلك الأمر فى البصره و غيرها من مدن العراق من الشمال الى الجنوب حيث انتشر التشيع بصوره ظاهره، و العراق اليوم معروف بتشييعه لأهل البيت و ولائهم للعترة الطاهره فى معظم سكانه. فالشيعة هم الأ-كثريه فى العراق، قاوموا ظلم الأ-تراك بثورات متلاحقه سجلها لهم التاريخ بكل فخر، و قاوموا أيضا الاستعمار الانكليزى بكل ما لديهم من قوه، و ما زالوا حتى اليوم يقاومون و يجاهدون. و فى ايران كانت قم وحدها فى القرن الأول شيعيه و سار التشيع بخطى ثقيله ثم انتشر فى بلاد ايران بصوره تدريجيه على ممر الأدوار، حتى أصبحت ايران اليوم كلها شيعيه حكومه و شعبا، و قامت بخدمه المذهب الجعفرى و نشر مآثر أهل البيت و مناصره المحرومين فى جميع البلدان الاسلاميه، و فى اليمن يوجد عدد كبير من الشيعة نشروا التشيع فى بقاع اليمن منذ صدر الاسلام. هذه أهم الأصقاع التى تنبسط فيها منابت الشيعة الذين أحدثوا فى جميع أصقاع العالم جاليات تعمل على نشر المذهب الجعفرى و شرحه و بيان مضامينه و كانت لهم مواقف مشرفه فى مقابله الظالمين لا أثر فيها للغش والخداع، و لا- يشوهها كسب الجوائز و طلب المناصب. و ما نلفت اليه عند المسلمين تأثرهم بآداب الاسلام و ثقافته، و عنايتهم بالأفكار العميقه و المعانى الدقيقه، و تميزهم بالعواطف الثوريه التى كانت سببا فى استنهاض الأمه من كبوتها، و ايقاظها من غفلتها. و نقطه

هامه أخرى يجدر الالتفات إليها و هي أن تاريخ الشيعة الغنى جدا بالماثر لم يدرس دراسته سليمه ترفع الستار الذى يكتنف مبادئهم و تطورهم، اذ أن المصادر التى يستمد منها الباحثون معلوماتهم عن الشيعة مضطربه و لا تصل بهم الى الحقيقه، سواء أكانت عن قصد [صفحہ ۲۱۹] أم عن غير قصد، لأنها مصادر محدوده لم تسلم من سيطره التعصب الأعمى و تغليب الأهواء الخاصه و التحيز البغيض. و لا ننسى فى هذا المجال كتاب الفرق الذين سلكوا طريق الافتراء و التحامل، فلم يكتبوا للعلم بل كانت معظم كتاباتهم مجردة تجريدا واضحا عن كل ما له صلته بالحقيقه. و هذا ما يجب علينا بيانه و توضيحه. كما يجب على طلابنا فى دراساتهم و أبحاثهم أن يكشفوا الحقائق بكل جلاء و وضوح و يبينوها أمام الملأ العام بأسانيد علميه موضوعيه.

مدرسه العصمه: تعريف العصمه

العصمه هي التنزه عن الذنوب صغائرها و كبائرها و عن الخطأ و النسيان، و العصمه ملكه الهيه تمنع من فعل المعصيه و الميل اليها مع قدره عليه [۳۰۷]. الدليل على وجوب العصمه: أنه لو جاز أن يفعل النبي صلى الله عليه و آله و سلم أو الامام المعصيه أو الخطأ و النسيان و صدر منه شىء من هذا القبيل: فأما أن يجب اتباعه فى فعله الصادر منه عصيانا أو خطأ أو لا يجب فان وجب اتباعه فقد جوزنا فعل المعصيه برخصه من الله تعالى بل أوجبنا ذلك و هذا باطل بضروره الدين و العقل و ان لم يجب اتباعه فذلك يناهى فكره النبوه و الامامه التى لا بد أن تقترن بوجوب الطاعه أبدا. على أن كل شىء يقع من النبي أو الامام من قول أو

فعل تحتمل فيه المعصيه أو الخطأ فلا يجب اتباعه فى شىء من الأشياء فتذهب فائده البعثة [٣٠٨]. و عقيدتنا فى آل البيت عليهم السلام انهم معصومون مطهرون من الرجس تطهيرا و انهم السلسله الطاهره شهد لم القاصى و الدانى بفضلهم و علمهم و ورعهم [صفحه ٢٢٠] و تقاهم، و كانوا الأعلام الهاديه و الكواكب المنيره تهدى الضالين و تنير دروب السالكين. و رغم اقصائهم عن مناصبهم و محاربتهم بلا هواده و من جميع الوجوه ما استطاع مخالفوهم أن يذكروا لهم نقيصه أو عيبا، بل كانوا موضع احترام و تقدير حتى عند أشد الناس خصومه و عدااء. و ذلك بفضل علومهم و حاجه طلاب العلم اليهم. و أما الامام الصادق عليه السلام فكان النجم الساطع و العلم الطالع فى القرن الثانى للهجره، فهو الامام المعصوم المعروف بعلمه و عدالته، و زهده و تقاه، و ورعه و خلوصه لربه يرتفع عن كل شين و يتجمل بكل زين، و بقى طوال حياته المثل الأعلى و القدوه الحسنه لجميع الناس. قال مالك بن أنس «ما رأيت عين، و لا سمعت أذن، و لا خطر على قلب بشر، أفضل من جعفر بن محمد الصادق علما و عباده و ورعا» [٣٠٩].

الأدله على عصمه أهل البيت

- ١- آيه التطهير: وهى «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا» [٣١٠]. ما ورد فى الآيه الكريمه حصر اراده ذهاب الرجس، أى الذنوب عنهم بكلمه: انما، وهى من أقوى أدوات الحصر و استحاله تخلف المراد عن الاراده بالنسبه له تعالى من البديهيات لمن آمن بالله عزوجل و قرأ فى كتابه العزيز. و تقريب الاستدلال بها على عصمه أهل البيت عليهم السلام.
- ٢- و

الآية الكريمة: «انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون» [٣١١]. و تخريجها على أساس فلسفى من البديهيات أيضا لمن يدرك أن ارادته تعالى [صفحة ٢٢١] هي العلة التامة أو آخر اجرائها بجميع مخلوقاته و استحاله تخلف المعلول عن علته من القضايا الأولية. و لا أقل من كونها من القضايا المسلمه لدى الطرفين و ليس معنى العصمه الا استحاله صدور الذنب عن صاحبها عادة» [٣١٢]. ٣- حديث رسول الله لجابر بن يزيد الجعفى فى فضل على و أولاده قال جابر: يا رسول الله و من الأئمة من ولد على بن أبى طالب؟ فقال صلى الله عليه و آله و سلم: الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة، ثم سيد العابدين فى زمانه على بن الحسين، ثم الباقر محمد بن على، ستدرکه يا جابر فاقرأه منى السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم الكاظم موسى بن جعفر، ثم الرضا على بن موسى، ثم التقى محمد بن على، ثم النقى على بن محمد، ثم الزكى الحسن بن على، ثم ابنه القائم محمد بالحق، مهدى أمتى الذى يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما، هؤلاء يا جابر خلفائى و أوصيائى و أولادى و عترتى، من أطاعهم فقد أطاعنى، و من عصاهم فقد عصانى و من أنكر واحدا منهم فقد أنكرنى» [٣١٣]. لقد ثبت بالنص القاطع الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من الحكيم العزيز، و من الرسول الكريم صلى الله عليه و آله و سلم أن هذه الأنوار الالهيه و الأعلام القدسيه شاءها الله عزوجل أن تكون نبراسا هاديا للأمم الاسلاميه تمسح عنها الظلام

و ترفع عن كاهلها الظلامه. و الامام الصادق عليه السلام هو احدى هذه الحلقات المباركه من هذه السلسله الكريمه و لا بد أن ينعكس علمه الغزير و خلقه الطيب و حديثه العطر على الأمه كافه. ينصح المسلمين و يرشد المنحرفين و يجادل الكافرين و الملحدين. و قد عكس علمه و طهارته و خلقه على شيعته و جماعته فأدبهم بأدبه (أدب القرآن) و دفعهم الى التمسك بطاعه الله و ترك المعاصي، مراقبا سلوكهم و طرق معاملتهم، فكان يمنعهم أحيانا من ارتكاب المكروه و يحثهم كثيرا على ما يقرب الناس لآل البيت الأطهار الذين هم ورثه النبي صلى الله عليه و آله و سلم حقا و مدرسه العصمه فى قياده حركه الأمه محاولين بكل طاقاتهم ايصالها الى الشاطىء الأمين و منعها الورود فى [صفحه ٢٢٢] متاهات المذله و حياض المهانه. لأن القائد المعصوم دائما يصحح المسيره و يحفظها من الانزلاق و يدفع عنها ظلم الحكام و عادات الزمن. من هنا وجدنا الامام الصادق يقوم بدورين هامين طوال حياته: الدول الأول: حفظ المسيره من الانحراف فكريا و سلوكيا. و الدور الثانى: حمايتها من سهام الأعداء التى كانت توجه اليها فكريا و اجتماعيا لارغامها على التراجع أو العمل على تحجيمها. و قد كانت موافقه عليه السلام النبيله أكثر وضوحا و أشد ثباتا فى حمايه الشريعه الاسلاميه و الدفاع عنها؛ فى الوقت ذاته كان أهل الحكم و الحكومه مشغولين بالجوارى الحسان و القصور الفخمه و الحدائق الغناء يسمعون عزف المطربين و رقص المطربات، و يجمعون فى دورهم المغنين و المغنيات و المخنثين و القيان. و كأنك لا ترى أى أثر من الخلافه الاسلاميه و مقامها السامى النبيل فى قصور أولئك الحكام الذين

جذبتهم الدنيا الى مباحجها و ملذاتها. أما الامام الصادق فكان القلب النابض الحنون و الروح التواقه و الخلاقه و الفارس الهمام المقدم في حمايه أمه جده و رساله الاسلام المباركه، و هكذا كانت مواقف آباءه و أجداده انصهارا كاملا في الاسلام و ذويانا مطلقا في الله. كل ذلك حتى ينمو الاسلام القويم و يرتفع بناؤه العظيم و يتلى القرآن الكريم بصورت عال حتى يسمع نداؤه في جميع أقطار الدنيا.

الثوره الصامته

لثوره أسلوبان: الأول: أسلوب عاصف يقلب الأوضاع بسرعه أو يتتحر. و الثانى: أسلوب هادى ء كحراره الشمس التى تنفث بحرارتها و دفئها الى الأعماق فتغلب و تنتصر بالوعى و الحكمة. و قد ذكروا لكل أسلوب محاسنه و مساوئه و ايجابياته و سلبياته فالثائر يظهر علنا للناس، و الهادى ء يستتر أحيانا و يظهر حيناً آخر مراعي الظروف المحيطه به؛ [صفحہ ۲۲۳] و قد يضطر الى مساييره السلطه الحاكمه أو اظهار نفسه معها يتربص بها الدوائر حتى تأتى الساعه المحدده فينقض على الظالمين كالنسر الصاعق و يجهز على خصمه. يعمل بعقله و وعيه ليحقق هدفه. الثوره العاصفه تبدأ بمهاجمه خصومها من بعيد، أما الهادئه فانها من الداخل. و كلاهما يعمل ولكن أسلوب العمل يختلف، الثوره العاصفه تدمر بقوه و الثوره الهادئه تفتت بقوه ولكن ببطء. الزمن و توقيتته هما الرهانان العاملان. والبعض من المفكرين ذكروا أن للثوره الهادئه قوتها و تأثيرها بل أفضليتها على الثوره العاصفه التى سرعان ما تنتهى و تترمد. و مثلوا: «بالشمس و الريح». قالوا ان الشمس و الريح رأيا شخصا متأبطا معطفا صوفيا فقالت الشمس للريح: أتستطيعين أن تنتزعى منه هذا المعطف قالت الريح: نعم و بدأت بارسال نفحاتها الباردة و كان الرجل كلما

جاءته البروده و أحسن بقوه الريح تمسك بالمعطف أكثر فأكثر حتى عجزت الريح عن انتزاع معطفه و عندئذ تدخلت الشمس فأرسلت شيئاً من حرارتها مما جعل صاحب المعطف يتركه رويدا رويدا و كلما قويت الحرارة ينزع منه شيئاً حتى ألقاه جانبا، و أحيانا لا يعرف الناس قيمه الثوره الهادئه، بل ربما كانوا ينحون باللائمه على أصحابها، و أنهم متقاعسون، بينما يكون أصحاب الرؤيه الثاقبه و الفكر الناضج أكثر ثوره الا أنهم بحسب رؤيتهم أن التحضير لها لم يحن بعد وقته المناسب و من طريف الأمر أن بعض العلويين لم يكن يلتفت الى هذه القاعده. و كان يرى أن طريقه الثوره العاصفه هي الأصح، و أن الثورى الحقيقى هو الذى يحمل السيف و يخوض المعركه و يثير الناس فى مواجهه الظالم و اذا راجعنا مقدمه الصحيفه السجديه نجد حديثا من هذا النوع عن يحيى بن زيد بن على بن الحسين عليه السلام الذى كان ثائرا على طريقه أبيه زيد الذى فشل فى ثورته لعدم وجود مقومات كافيته و قتله الأمويون. و نختصر من الحديث الطويل ما نحتاجه هنا: حدثنى أبى المتوكل قال: لقيت يحيى بن زيد بن على بن الحسين بعد قتل أبيه و هو متوجه الى خراسان فسلمت عليه. فقال: من أين أقبلت. فقلت: من الحج. فسألنى عن أهله و بنى عمه فأخبرته بخبرهم و حزنهم على أبيه. فقال: كان [صفحه ٢٢٤] عمى (أباجعفر) أشار على أبى بترك الخروج و عرفه ما صار اليه أمره فهل لقيت ابن عمى جعفرا. قلت: نعم. قال: فهل سمعته يذكر شيئاً من أمرى، قلت: جعلت فداك، ما أحب أن أستقبلك بما سمعت منه، فتبسم ثم قال: أباالموت تخوفنى؟ هات ما سمعته يقول. فقلت

له: سمعته يقول (أنك تقتل قتله أيبك) فقال: «يمحو الله ما يشاء و يثبت و عنده أم الكتاب» [٣١٤]. يا متوكل ان الله أيد هذا الدين بنا و جعل لنا العلم و السيف و جعل لبني عمنا العلم وحده، فقلت: جعلت فداك: انى رأيت الناس الى ابن عمك أميل منهم اليك و الى أيبك. فقال: ان ابن عمى و أباه دعوهم الى الحياه و نحن دعوناهم الى الموت. فقلت: فهم أعلم أم أنتم؟ فأطرق رأسه فقال: «كلنا له علم غير أنهم يعلمون كل ما نعلم و لا نعلم كل ما يعلمون» [٣١٥] مما يبدو أن هذا الفهم سرى حتى عند هؤلاء الثوار الكبار دون أن يدرسوا طبيعه المعركه و الظروف المؤاتيه لها. و رأوا أن الثوره هى الخروج بالسيف فقط دون الالتفات الى الاعداد و الجهوزيه اللازمه. فقد يزينون للنائر الخروج فيخروج في عمليه انتحاريه دون أن تؤثر ثورتهم فى الجماهير شيئا. و من المعلوم أن الثوره بهذا المستوى لا تغير فى الواقع الظالم شيئا و ان كانت تهز وجدان بعض نفوس الناس العاديين. و ما يراه الثوار الحقيقيون، فهى الثوره الواعيه التى تمهد بتوعيه الجماهير حتى تصبح القاعده صلبه قويه، فاذا ما انتصرت تتمكن تماما من الامساك بالاراده و السياسه و المجتمع. و لقد كان الامام الصادق يعمل على هذا المستوى من التحضير فيهى ء الرجال الاداريين (و الكوادر) الصالحه التى تستلم هذه المؤسسات فى المستقبل. فتحضير الهيئه العلمائيه يصب بلا ريب فى خدمه الثوره الناجحه. لكن لما كانت الثوره الهادئه لا تعطى ثمارها سريعا و تتربص الدوائر [صفحه ٢٢٥] للانقضاض على الخصوم كان الكثير يغفل عن نتائجها و ربما يجهلون أهدافها و استراتيجيتها. و مع

أن الامام الصادق عليه السلام كان يتعاطف الى حد بعيد مع الثوار الأحرار و يدافع عنهم و يدعو لهم و يبارك مسيرتهم و يأمر شيعته باعانتهم لأنه كان يأمل أن مثل هذه الثورات هي التي تحدث هزه كبيره فى وجدان الجماهير الشعبيه التي تهيبى ء لاجداث الثورة الشعبيه المظفره. بعض الثورات العاصفه لم يكن لها طابع عام و شمولى كثوره زيد بن على كان لها طابعها الخاص: الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر كما ذكر ابن الأثير عن زيد قوله: «ندعوكم الى كتاب الله و سنه نبيه صلى الله عليه و آله و سلم و الى السنن أن تحيا و الى البدع أن تطفأ فان أجبتمونا سعدتم و ان أبيتم فليست عليكم بوكيل» [٣١٦]. و قال الطبرى أيضا «و كانت بيعته التي يبايع الناس عليها اننا ندعوكم الى كتاب الله و سنه نبيه صلى الله عليه و آله و سلم و جهاد الظالمين و الدفاع عن المستضعفين و اعطاء المحرومين و قسم هذا الفى ء بين أهله بالسواء ورد الظالمين و اقفال المجمر، و نصرنا أهل البيت على من نصب لنا و جهل حقنا» [٣١٧]. و الامام الصادق عليه السلام احتضن هذه الثورات لأنه يعتبرها مقدمه تمهيديه للثوره الكبرى، و لذلك أيد عمه زيدا سرا لأن وضعه لم يكن ليسمح له بالتأييد العلنى، و قد أثنى على عمه ورعى أسر الشهداء الذين استشهدوا معه. و هذا يعنى احتضان الثورة الاسلاميه. و هذه بعض أقواله و مواقفه: عن فضيل الرسان قال: دخلت على أبى عبدالله عليه السلام بعدما قتل زيد بن على، فأدخلت بيتا جوف بيت فقال لى: يا فضيل قتل عمى زيد؟ قلت: نعم جعلت فداك. قال: انه كان

مؤمنًا و كان عارفاً و كان عالما و كان صدوقا أما أنه لو ظفر لوفى، أما أنه لو ملك لعرف كيف يضعها « [٣١٨]. [صفحة ٢٢٦] و مع كثره الثورات العلويه لم نجد الامام الصادق يولى مزيد عنايه لثوره كثره عمه زيد. فقد كان يدفع لكل عائله من عياله ألف دينار. و الحقيقه أن زيدا كان معروفاً فى نهجه و صلاحه، و كان لا يدعو لنفسه و انما يدعو لخط الامامه المتمثل يومها فى الامام الصادق عليه السلام و لذلك وقف الامام الصادق منه هذا الموقف مع علمه أنه سيلاقى حتفه فى تلك الثوره. لكن الغايه أن مثل هذه الثورات تحرك شعور الجماهير و يبقى الانسان من خلالها يشعر فى الجو الظالم الجائر الذى كان يرزخ على صدور العباد بكل ثقله...

مواقف اماميه فاعله

هدف الرساله الاسلاميه انساني نبيل يرمى الى تربيته الانسان ليخرج من و حول الجاهليه الى أجواء الفضائل الانسانيه. و لا بد لهذه الرساله من قاده عقائديين رساليين يقدمون النموذج الأفضل فى التربيته و السلوك و التصرف الأمثل فى التفانى لحفظ هذه الرساله الشريفه و الدفاع من كل ضميم أو انحراف. و لما لم يوفق أهل البيت عليهم السلام للامساك بزمام الأمور و قياده الأمة لتكون خير أمه أخرجت للناس، وقفوا فى وجه الظالمين و النمرقين كأشد ما يكون و منعوهم من بث سمومهم الفكرية فى أذهان الأمة الاسلاميه. فبينما كان الحاكمون من أمويين و عباسيين يغرقون فى بحور متع الحياه البهيميه و اللذات الدنيويه الزائله وقف أهل البيت عليه السلام منهم موقف الأسود الأبطال يذودون عن حياض الاسلام و يمنعون الحكام الطغاه من التفرد بفقراء الأمة فكان لهم الموقف الايجابى المشرف الذى يتلخص بأمرين: الأول:

محاولة القضاء على الانحراف وارجاع الوضع السياسى الى ما كان عليه أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم. و الثانى: نشر الرساله فكريا و روحيا، و سياسيا و تعميقها فى حياه الأمة الاسلاميه. [صفحه ٢٢٧] هذان الأمران لا يتمان بدفع عاديّات الزمان و دحر كل الزنادقه الذين يتربصون بالاسلام الدوائر و يكيدون له المكاييد. و فى عصر الامام الصادق عليه السلام ظهر جو الزندقه و الالحاد و ظهرت المانويه و المزدكيه و نشط علماء اليهود و المجوس فى بث أفكارهم و انتشرت الترجمة للفلسفه الاغريقيه و الهنديه و الفارسيه، و فى هذا الجو سمحت الحكومات المتسلطه لمثل هذه الأفكار المسمومه بالانتشار، بل دفعت جهات علميه معروفه للوقوف ضد مدرسه أهل البيت عليهم السلام فى منصب الامامه و أنهم السلسله الطاهره التى شرفها رب العالمين و عصمها من الذنوب. و أبرز هذه المواقف الواضحه و الصريحه كانت للامام الاصادق عليه السلام فهو تاره يرد الشبهات الموجهه سهامها الى الاسلام كالزنادقه و الملاحده و غيرهم و تاره أخرى يرد شبهات العلماء المتفقهين الذين نصبهم الحكام قضاء على الناس مقابل مدرسه أهل البيت فالدوله العباسيه اهتمت على وجه الخصوص بتأييد المدارس الأخرى و حاولت جهدها بجعل المدرسه التابعه لها محط أنظار الناس و كان فى رأس القائمه أبوحنيفه الذى منحه الحكم لقب: الامام الأعظم ليوهنوا من قدر الامام الصادق و أتباعه. و كم من مره جمع المنصور العلماء لمناظره الامام الصادق و يرجعون جميعهم منهزمين. [صفحه ٢٢٩]

الأدب المطبوع عند الامام الصادق

اشاره

اذا قلبنا صفحات الأدب العربى نراه يكاد يغفل صفحات لا تحصى [٣١٩] من الأدب الحى الذى كتبه أو أملاه رجال الحكمة و الفلسفه و علم الكلام، و رجال

السير و التراجم و الطبقات و الأسمار و غيرها؛ و السبب على ما يبدو انشغال الكتاب بأنواع الكتابه الأخرى التى كتبت لمقاصد أدبيه صرف، مهما تواضع حظها من جمال التصوير و مهما تدنت قيمتها الفكرية أو الوجدانية، على ما حفلت به العصور المتأخره، من ضروب التزيق و التمييق، و طغيان النزعه اللفظيه و الألاعيب التصنيعيه المختلفه. و على هذا النحو تقلبت مذاهب النثر العربى و انتهت فى العصور المتأخره الى ما سماه أغلب الباحثين «مذهب التصنيع» [٣٢٠] بعيدا عن الكتابات التى كانت الحياه فى تلك العصور تمليها على لسان ابن حزم و ابن خلدون و محى الدين بن عربى و ابن جبير و ابن بطوطه و غيرهم... و على هذا النحو حصلت عنايه خاصه، فى تاريخ الأدب، بالشريف الرضى و شعره، و لم يحصل مثلها بأمالى الشريف الرضى و أماليه الرائعه التى تشق عن قدره بيانیه خارقه، تغذت بعلم غزير و ذوق بلغ الغايه فى الدقه و جمال التعبير. [صفحه ٢٣٠] كما حصلت عنايه خاصه أيضا بابن العميد و الصاحب بن عباد و القاضى الفاضل و غيرهم... و لم تحصل بالمسعودى و الطبرى و ابن الجوزى و ابن عساكر و لم ينظر اليهم من حيث هم أصحاب أخبار تنفع فى البحوث و الدراسات من هذا الباب، و من باب التضييق الذى أملاه على أنفسهم، أصحاب الأغراض باسم صراع المذاهب انطمست فى تاريخ هذا الأدب صفحات متألقه من كنوز أهل البيت الأدبيه فى أماليهم و خطبهم و حكمهم و أدعيتهم، و لم يكد فريق كبير من الأدباء، يعرف عنها شيئا يغنى. و لو أننا تجاوزنا هذا الخط فى تاريخ الأدب العربى لوجب أن تعدل كثير من الأحكام فيه، و لاغتنينا بنصوص أدبيه

عاليه فى قيمها الفكرية مشرقه فى قيمها الفنيه، و لازددنا و عيا بخصائص نوع أدبى عظيم أهملناه و لم نعن به العنايه الازمه، ألا و هو: أدب المناظرات و الجدل، الذى تفرقت نصوصه فى كتب التراث بأسره: فى اللغه و الأدب و الفقه و القضاء و التاريخ و الفلسفه و علم الكلام و التفسير و غيرها...، هذا التراث العظيم العزيز ألفت فيه كتب أغفلها تاريخ الأدب مثل (كتاب الاهليلجه) [٣٢١] الذى طال الكلام فيه، فى مناظره طيب هندی لا يؤمن الا بالمعرفه التى تحصلها حواس الانسان، و ينكر أسباب المعرفه الأخرى. و قد تنبه الى هذا الموضوع أبو الحسن على الحسنى الندوى، و كيل ندوه العلماء فى الهند، و عضو مجمع اللغه العربيه بدمشق. فقد جمع فى كتابه: مختارات من الأدب المعرب. نصوصا رائعه من كتب الحديث النبوى و السيره النبويه و الاجتماع و التاريخ، الى جانب نصوص أخرى من الأدب المطبوع الخالص. و قد ألقى باللوم على أدباء العصر الحاضر الذين يهملون ذلك الأدب الحى و يعنون بأدب التصنيع المجمع بالمحسنات اللفظيه و المهارات المعنويه. و بهذا العمل التجميلى يكونون قد ضيعوا على الأدب العربى تراثا سخما حبره أناس تحلوا بقوه العقيده و صدق الحافز و حراره الحياه، و اتصف أدبهم بروعه الأداء و بعد التأثير و القرب من الطبيعه. [صفحه ٢٣١] و لا يخفى على الأدباء الذواقين أن كل كلام يجمع الى موضوعه القدره على بلوغ الأثر بما يتوافر فى صياغته و أسلوبه من المهارات الفنيه و خصائصها، هو أدب. ذلك لأنه لم يتجه فى خطابه و هدفه كما يتجه أصحاب العلوم البحتة، الى العقول وحدها [٣٢٢]، و انما اتجه الى قوى النفس

بمجموعها، بقصد التأثير فيها فكرا و شعورا و ذوقا و خيالا؛ و هذا كله يتوافق على نحو لا يحتمل الشك أبدا على كلام الأئمة عليهم السلام و على أعلام مدرسه النبوه و منهم الامام أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق، الذى امتلأت الكتب بحكمه و أدعيته و رسائله و مناظراته و وصاياه و تحليلاته الفقيهيه و الفكرية و الفلسفيه. و قد توافر له فى التعبير عنها ما توافر فى كلام أئمه أهل البيت النبوى، رجالا- و نساء، من قدرات فنيه، و مهارات ابداعيه، تجعل من تراثهم فى الحكمه و الدعاء و المناجاة و المناظره و الحوار و الخطابه... أدبا انسانيا رائعا، أدبا مطبوعا عامرا بالحياه، ملتزما تطهير النفس الانسانيه من تخرصات الجشع و نزعات الجسد و غلاظه التكبر و ما تغرى به القوه الغاشمه أصحابها من الظلم و القهر و تزوير الحقائق، و ابعاد الانسان عن فطرته الخيره، و قوه ايمانه بوحدانيه الله العزيز العليم، و دعوته الى توثيق الصله بين قوله و عمله؛ كل هذا نجده ييسر فى أدب الامام الصادق بكل ما يتحلى به الأدب المطبوع فى خصائصه الفنيه. و هنا لا بد لنا من أن نلم ببعض صفات عصر الامام عليه السلام على قدر من الاختصار لنستخلص أبرز خطوط تكوينه النفسى و الفكرى. عاش الامام الصادق عقدين من الزمن فى القرن الهجرى الأول، و ما يقرب من خمسه عقود فى القرن الثانى. نشأ فى حجر والده الامام العالم محمد الباقر، ابن الامام على زين العابدين الملقب بالسجاد الثقات، ابن الامام الحسين سيد الشهداء، ابن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام. و لا يخفى على أحد أن هذا هو ارث النبوه فى عمق ايمانها، و صفاء روحها و روعه بيانها

و معرفه فقهبها و حسن التزامها بهدى الانسان ليقوم بالمعروف و ينتهى عن المنكر. [صفحه ٢٣٢] و بذلك يشيع الخير و يعلو الحق فى المجتمع و تتطهر روحه من أدران التعصب البغىض و الطغىان المدمر، و الكره المفرق، و الاثره و الفساد و الظلم. ولد فى السنه التى ولد فيها كبار المعتزله مثل واصل بن عطاء، و عمرو بن عبيد و الحسن البصرى، و شهد ظهور الاعتزال و الارحاء (المرجئه) فى دوله الأمويين. و الاعتزال كما هو معروف، دعوه الى اعمال العقل فى فهم الدين و عقائد الشريعه الاسلاميه و الى تحرير الاسلام من فهم الجبر الخاطى ء و قيود الأقدار، و الى تنميه و عى المسلم ليعمل عقله فى اختيار الطريق الصحىح، يؤمن بعدل الله تعالى فى محاسبه البشر يوم البعث و الحساب. و العقل هو دعوه صارخه الى الايمان بوحدانيه الله المطلقه بعيدا عن الحلول و التشبيه و ما الى ذلك من العقائد المشوهه التى بدأ المسلمون يخالطونها اثر الفتوح فى العصر الأموى. و العقل هو نور الهدايه يدعو الى وصل الايمان بالعمل بأحكام الدين على عكس ما أشاع المرجئه من الدعوه الى الفصل بينهما فى الحكم على المسلم، بتأييد من السلطه الأمويه لتغطيه ضعف التزام حكامها و خلفائها بأوامر الدين و نواهيه. لكن الرد الصحىح و المبني على العقل يقول: ان الامام كان يشهد بأمر عينه مآسى الثائرين من آل البيت، واحدا بعد الآخر، منذ فتح عينيه على الحياه الى زوال دوله الأمويين. و يكفى أن نذكر: اخفاق ثوره عمه زيد بن على زين العابدين و هو فى الثانيه و الأربعين و اخفاق ثوره ابن عمه يحيى بن زيد، و هو فى الخامسه و الأربعين

سنه ١٢٥ هـ و اخفاق ثوره النفس الزكيه (محمد بن عبدالله بن الحسن) و ثوره أخيه ابراهيم بن عبدالله بن الحسن، و هو فى حوالى
الخامسه و الستين ١٤٥ هـ لقد شهد مصارعهم جميعا و ظلم الحكام و قسوتهم فى التنكيل بهم. أضف الى ذلك ذكرى مأساه
جده الأول الامام الحسين بن على سيد الشهداء فى كربلاء و كانت أم المآسى قاطبه لم يشهد التاريخ مثيلا لها. اذا نظرنا الى كل
هذه المآسى أدركنا سر الحذر الذى كان يديه فى مجالسه، فى وجه السلطه الظالمه و فى وجه معارضيها. حتى لقد بدا ذلك
فى كل مواقفه و فى نقش خاتمه الذى يحمله فى يده: «اللهم أنت ثقتى، فقتى شر خلقك. أنت ثقتى فاعصمنى من الناس يا
ثقتى قنى شر جميع خلقك!». [صفحہ ٢٣٣] و جاء فى بعض أدعيته، و هذا المعنى شائع فيها: «اللهم من أرادنى بسوء فأردده، و
من كادنى فكده، و اصرف عنى هم من أدخل على همه، و امكر بمن مكر بى، فانك خير الماكرين و افاقاً عنى عيون الكفره
الظلمه، الطغاه الحسد». و نقطه هامه أخرى لها علاقه بحياته الخاصه و هى أن أناسا انتقدوه فى ما يتخذ لنفسه من اللباس الحسن
و الميل الى الراحة و ايثار الظل. و فى كلام منتقديه هذا معارضه سياسيه مكشوفه. ففى بعض أخباره و بعض أدعيته ما يشير اليه
هذا النقد المعارض الذى يذكره بما يصرف من زهد جده أمير المؤمنين و تقشفه حتى لقب «بأبى تراب» لكثره زهده. فكان رد
الامام الصادق لهؤلاء قوله: «ان الله عزوجل يحب الجمال و التجمل و يبغض البؤس و التباؤس، فالبس و تجمل، فان الله جميل و
يحب الجمال. وليكن

من حلال». و يقول في بعض دعائه: «أسألك اللهم الرفاهيه في معيشتي ما أبقيتني، معيشه أقوى بها على طاعتك، و أبلغ بها رضوانك... و لا ترزقني رزقا يطغيني، و لا تبتلني بفقر أشقى به، مضيقا على. أعطني حظا وافرًا في آخرتي و معاشا واسعا هنيئا مريئا في دنياي. و لا تجعل الدنيا على سجناء، و لا تجعل فراقها على حزنا. أجبرني من فتنها سليما، و اجعل عملي فيها مقبولا، و سعبي فيها مشكورا». و في رده على سفیان الثوري قال عليه السلام: «... فأما إذا أقبلت الدنيا فأحق الناس بها أبرارها لا فجارها، و مؤمنوها لا منافقوها و مسلموها لا كفارها. فما أنكرت يا ثوري؟!». «فو الله اني مع ما ترى، ما أتى على، مذ عقلت، صباح و لا مساء و لله في مالي حق أمرني أن أضعه موضعا الا وضعت». و الغايه مما أوردناه هنا أن نلم ببعض المحاور النفسيه والفكرية التي يدور حولها كلام الامام و أدعيته، ثم أن ندل ثانيا على قرب النصوص التي سطرها من [صفحة ٢٣٤] واقع الحياه السياسيه و الفكرية في عصره و هذا أمر طبيعي عند كل الكتاب و الأدباء و الشعراء. و أن ندل أخيرا على الصله الوثيقه بين قوله و سيرته، بين فكره و أدبه المطبوع من عقله و عاطفته؛ مما يرفع تراثه الفكري و الأدبي الى أن يكون صورته صادقه لحياته، في مرحله مضطربه من مراحل التاريخ يصعب فيها على غير العباقره من قاده الرأي أن يحتفظوا فيها بوضوح الفكره و أصاله الرأي و ثبات الموقف و الاقتران الخصب بين القول و العمل. أما عن التراث الأدبي المطبوع الذي خلفه الامام الصادق عليه السلام فما وصل

الينا نراه موزعا في كتب الفقه و أصوله، و كتب التاريخ و السير و الأدب، و مؤلفات المذاهب و الأمالي و الأخبار و غيرها... فغايتي و أمنيته جمع و تصنيف و اصدار هذا التراث الحى العظيم فى مجموعه كامله موحده، للامام الصادق و لجميع الأئمه الآخريين و تراث أهل البيت عليهم السلام على هذا النسق نفسه. ما وصل الينا من هذا التراث الأدبى العظيم رسائله عليه السلام التى جمعها تلميذه جابر بن حيان فى ألف ورقه و هى ما يقارب خمسمائه رساله، و كتابه: توحيد المفضل الذى أملاه على تلميذه المفضل بن عمر الجعفى، و طائفه من حكمه و مقاطع من أدعيته و وصاياه وردوده على أسئله وردود مختلفه التى تدخل فى باب:

ادب المناظرات

اشاره

و هذه نماذج من تراث هذا الامام العظيم الذى ملأ الأرض علما و نهل من معين مدرسته كبار العلماء و الأدباء، و أبرز فضائله عظام الشعراء فى قصائد غراء باتت عنوانا متألقا على صدر الزمان. و هذه أبرز خصائص أدبه المطبوع التى يمكن اختصارها بمايلى: [صفحه ٢٣٥]

عمق الفكر و دقه الملاحظه و غزاره المعانى

تبدو أكثر ما تبدو واضحه فى حكمه وردوده على أصحاب المذاهب الماديه من الدهريين و الملحدين و غيرهم. و كان هدفه من ذلك اثبات وجود الصانع الواحد، و تفسير أسباب الصنعه على هذا الوجه و الدلاله على احكامها بما يضمن سلامه العيش و حسن التدبير روى المفضل بن عمر عنه قوله فى خلق العينين و الحواس فى الانسان و دور كل حاسه فى الحياه و قدره الخالق العظيم فى خلق مخلوقاته بأحسن تقويم. قال للمفضل: «انظر الآن يا مفضل الى هذه الحواس التى خص بها الانسان فى خلقه و شرف بها على غيره: كيف جعلت العينان فى الرأس كالمصاييح فوق المناره، ليتمكن من مطالعه الأشياء. و لم تجعل فى الأعضاء التى تحتها كاليدين و الرجلين، فتعرضها الآفات و يصيبها من مباشره العمل و الحركه ما يعللها و يؤثر فيها و ينقص منها، و لا فى الأعضاء الى وسط البدن كالبطن و الظهر فيعسر قلبها و اطلاعها نحو الأشياء. فلما لم يكن لها فى شىء من هذه الأعضاء موضع، كان الرأس أسنى المواضع للحواس و هو بمنزله الصومعه (المناره) لها». ثم يتساءل: هل يمكن أن يصدر هذا الخلق المتقن، و التنسيق العجيب الا من مدبر لطيف خبير هو الله. يقول عليه السلام: «فهل يخفى على من صح نظره، و أعمل فكره، أن مثل هذا الذى وصفت من تهيئه

الحواس و المحسوسات بعضها يلقى بعضا، و تهيئه أشياء أخرى تتم بها الحواس، أن هذا لا يكون الا بعمل و تقدير من لطيف خبير». ثم يشرح لنا وظيفه البصر و السمع فيقول: «فخلق البصر ليدرك الألوان، فلو كانت الألوان، و لم يكن البصر يدركها لم يكن فيه منفعه و خلق السمع ليدرك الأصوات، فلو كانت الأصوات، و لم يكن سمع يدركها لم يكن فيها أرب... و كذلك سائر الحواس... ثم هذا يرجع متكافيا.. فلو كان بصر، و لم تكن الألوان، لما كان للبصر معنى، و لو كان سمع و لم تكن أصوات، لم يكن للسمع موضع». [صفحہ ۲۳۶] و كما أبان إيجابيات الحواس في حياه الانسان تحدث عن حالته حين يفقد حاسه منها قال للمفضل: «فكر يا مفضل فيمن عدم البصر من الناس، و ما يناله من الخلل في أموره، فانه لا يعرف موضع قدميه، و لا يبصر ما بين يديه، و لا يفرق بين الألوان، و بين المنظر القبيح و الحسن، و لا يرى حفره الا هجم عليها، و لا عدوا الا أهوى اليه بسيف، و لا يكون له سبيل الى أن يعمل شيئا من هذه الصناعات مثل: الكتابه و التجاره... و الصياغه... حتى أنه لولا نفاذ ذهنه لكان كالحجر الملقى» ثم يتحدث عن فقدان السمع: «و كذلك من عدم السمع يختل في أمور كثيره، فانه يفقد روح المخاطبه و المحاوره.. و يعدم لهذه الأصوات و اللحن المشجيه و المطربه، و تعظم المؤونه على الناس في محاورته حتى يتبرموا به و لا يسمع شيئا من أخبار الناس و أحاديثهم». و كتاب التوحيد (أمالى المفضل) يجرى كله على هذا النسق من عمق التأمل في

الكون و كائناته. فمن أعمل فكره طويلا في خلق الأشياء و وصل الى الحكمة فيها و استخلص حقائق خلقها، في مثل هذا البيان الدقيق الواضح، البعيد عن التصنع، و القريب من الطبيعه. و الوافى بالقصد في غير تطويل و لا حشو و لا تكرار يقدر قيمه الأدب المطبوع عند الامام الصادق عليه السلام؛ ذلك الأدب القادر على استيعاب ما تولده قوه الملاحظه و دقتها من تشعب الفكره و قوه الاحساس بها. و كذلك في حكمه الكثيره التي سموها: (نثر الدرر). نجد مثل هذا الفن الجميل الذي يغوص في حقائق الخلق و أسرار النفوس، و لا يقدر جماله الا من أوتى قوه الفطره وحده الملاحظه، و توافرت له ثقافه انسانيه منوعه و خبره عميقه بأحوال النفس البشريه و حقائقها. يقول في بعض حكمه: امن أوثق عرى الايمان: أن تحب في الله، و تبغض في الله، و تمنع في الله» و هذه حكمه في اصلاح النفس و اصلاح الناس. [صفحہ ۲۳۷] و قال عليه السلام: «الحريص على الدنيا مثل دوده القز، كلما ازدادت من القز على نفسها لفا، كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غما» و هنا يحث الناس على الكرم و الابتعاد عن البخل و حب الدنيا. و يقول عليه السلام: «السريه اذا صلحت قويت العلانيه» هنا الربط بين الظاهر و الباطن. و يقول عليه السلام: «لا زاد أفضل من التقوى، و لا شىء أحسن من الصمت، و لا عدو أضر من الجهل، و لا داء أدوى من الكذب» نصائح جوهريه تفيد المرء في دنياه و آخرته. و يقول عليه السلام، «لم يخلق الله يقينا لا شك فيه، أشبه بشك لا يقين فيه، من الموت». و هذا الكلام لا

يتيسر الا- للذين أطلوا النظر في الانسان و الحياه حتى وصلوا الى معرفه النفس الانسانيه فيما تظهر و تبطن و الى قوه احساسها بالحياه و مواقفها، و ما يقر في أعماقها من ذهول الرؤيه في مواجهه الموت. و يقول عليه السلام: «ليس لأبليس جند أشد من النساء و الغضب» لا نعرف قولاً سديداً في معرفه حالات النفس و تقلباتها، والشخصيته الانسانيه و مركباتها أفضل من هذا القول الذي قابل بين حده الغضب و ما يقود اليه من ضلال الرشد و بين أعتى الغرائز البشريه

تنوع المعرفة وسعه الاطلاع على الثقافات المختلفه

كان الامام عليه السلام يتحلى بمعرفه متنوعه و متماسكه فيما يتصل بشؤون الدين و الدنيا جميعاً، والذي أعانه على الالمام بهذه الثقافات و المعارف ادراكه الحى بما تولد المعرفة في النفس من سعادته الاحساس بقوه الحياه و خصوبه معانيها، و اختلاف ألوانها و طعومها يقول الامام في هذا المجال. «لا ينبغي لمن يكن عالماً أن يعد سعيداً!» و قال أيضاً: «الناس اثنان: عالم و متعلم، و سائر الناس همج». [صفحہ ۲۳۸] من هنا نراه يكثر من دعواته الى تنشيط العقل بتطوير التفكير في كل الأمور و الأشياء. يقول: «دعاه الانسان العقل... و بالعقل يكمل، و هو دليله و هويته و مبصره و مفتاح أمره». و يقول عليه السلام: «العامل على غير بصيره كالسائر على غير طريق، فلا تزيده سرعه السير الا بعداً». و يقول: «اياكم و الغفله، فانه من غفل فانما يغفل عن نفسه!». و لا يخفى على أحد أن هذه الدرر المنتوره لا تيسر الا للجهابذه من الأدباء الحكماء الذين أطلوا النظر في الحياه و الانسان و عرفوا مكا من النفس الانسانيه فيما تظهر و فيما تبطن.

ادب توجيهى لتقويه روح الجماعه

توجه الامام الصادق في أدبه الى الفرد و الجماعه معاً، و أتت دعوته الى العمل من أجل تقويه اللحمة بين القول و العمل، ذلك أن هذا الاقتران المبارك بينهما يتولد منه كل الخير في بناء المجتمع الصالح. قال أحد الحكماء: عندما يقترن القول بالعمل يولدان صيباً يسميانه الصدق، و عندما يقترن القول بالعمل يرزقان بنتاً يسميانه الوفاء و يلعب الجميع لعبه أظنها الحريه. و الذى دعا الامام الى هذا القول مبادئ المذاهب المغرضه التى كانت سائده في عصره كالمرجئه مثلاً، التى كانت تدعو الى الفصل بين القول

والعمل. يقول الامام عليه السلام: «الايان عمل كله» وقال: «لا يثبت الايمان الا بعمل» وقال: «كونوا دعاه الناس بأعمالكم ولا تكونوا دعاه بألسنتكم» وقال: «وانما تفاضل القوم بالأعمال». وفي أدبه التوجيهى هذا نداء الى الفرد و الجماعة معا لتقويه روح الجماعة و تماسكها و شد أزرها من أجل بناء مجتمع صالح مطمئن قال عليه السلام: «لكل شىء [صفحه ٢٣٩] شىء يستريح اليه، و ان المؤمن يستريح الى أخيه المؤمن كما يستريح الطير الى شكله». و فى هذا المجال تقع دعوته الى وضع الأشياء فى مواضعها، و تحرير الانسان من عبوديه الانسان. فقال: «من أطاع المخلوق فى معصيه الخالق فقد عبده!». و قد سأله سائل عن حد اليقين فقال: «ألا تخاف مع الله شيئا» وقال: «كل رياء شرك». وقال: «انه من عمل الناس، و من عمل لله كان ثوابه على الله». و قد اهتم كثيرا بالفقراء و المساكين فأوصى بهم و دعاه الى مساعدتهم فقال: «وان عيسى بن مريم عليه السلام لما أراد وداع أصحابه، جمعهم و أمرهم بضعفاء الخلق، و نهاهم عن الجبابره».

البلاغه و جمال السبك

كان الامام الصادق يمتلك ملكه أدبيه مميزه تفى بالمعنى و لا تخل بالقصد مع حراره فى الروح و اشراق فى النفس و شفافية نفسه لدواعى الحياه و القرب فيها من الطبيعه المحيطه به فاعتمد بناء الصوره و شخص معانيه المستقاه من معطيات حواسه لتكون أوضح و أنفذ فى النفس الانسانيه. و لا- غرو فأدبه أدب المدرسه التى ينتمى اليها، مدرسه آل البيت، ابتداء من أدب أميرالمؤمنين ريب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و صاحب و نهج البلاغه، و انتهاء بأدب

الأئمه من رجال آل البيت جميعا. جاء كلامه مطابقا على الفكر الأدبي بما يستلزم من دقه فى التعبير و وضوح فى الأسلوب و اتزان فى السرد. كما جاء مطابقا أيضا على الفكر العلمى فى الفقه و التفسير، و السياسه و الاجتماع و العلوم الطبيعیه و الكيمياء و الفلسفيه و قد يجتمع ذلك لانسان أشبعث نفسه بالعقیده و امتلأت روحه بحراره الايمان، فبين مقاصد الشريعة الاسلاميه من [صفحه ٢٤٠] قوه التركيز و نفى الفضول اللفظى فشخص الصوره و وضح التمثيل و قد حدد معنى البلاغه و وصفها بصفات محكمه فقال: «ثلاثه فيهن البلاغه: التقرب من معنى البغيه، و التبعد من حشو الكلام، و الدلاله بالقليل على الكثير». و قال: «من عرف شيئا قل كلامه فيه» و يقصد أن من عرف شيئا يصل اليه بأقل ما يمكن من الكلام. ثم عرف البليغ فقال: «و انما سمي البليغ بليغا لأنه يبلغ حاجته بأهون سعيه» ثم يقول «ليست البلاغه بحده اللسان و لا بكثره الهذيان ولكنها اصابه المعنى و قصد الحجه». من هنا نصل الى فهم خصائص حديثه و أقواله التى تتحق فيها صفات البلاغه التى حددها و نصب عليها. بقوله مثلا: «كثره النظر فى الحكمه تلقح العقل» فياله من تعريف بليغ و اصابه المعنى اصابه مباشره. فلقد جمع ما يتمثل فى النفس من صور اللقاح و معانيه و أثره فى تنشيط حركه الحياه و توليد المعانى و اخصابها، فى لفظ موجز يوجى بهذه الدلالات كلها و قد أعطانا أمثله كثيره لا تحصى كلها بلاغه: فى حكمه، و فى مواعظه و فى وصاياه، و فى مناظراته، و فى أحاديثه، و فى اجاباته... من هذه الأقوال البليغه و الصائبه

نذكر على سبيل المثال قوله: «من تعلق قلبه بحب الدنيا، تعلق من ضرها بثلاث خصال: هم لا يغنى، و أمل لا يدرك، و رجاء لا ينال». فتأمل هذا التكتيف، معان كثيره بكلمات موجزه. لقد جمع حب الدنيا كله و أذاها معا فى لفظ واحد «التعلق» كأنهما و جهان لعمله واحده لا- تنفصل احدهما عن الأخرى، و وسع فى ألفاظ قليله معانى الفشل كله. ثم يقول فى المعنى نفسه فى وصف الدنيا: «ما الدنيا؟ و ما فيها؟ هل هى الا سده خوره [٣٢٣]، و ستره جوع!» و هنا لجأ فى [صفحہ ٢٤١] تكتيف المعنى و تشخيصه الى صورتين حسيتين، فجمع حياه الانسان الماديه كلها فى أربع كلمات!. و يقول أيضا فى هذا المعنى: «ما فتح الله على عبد بابا من الدنيا الا فتح عليه من الحرص مثليه». فكم يحتاج مثل هذا الكلام الى شرح و تحليل، و كم توحى هذه الصوره فى دلالات معانيها على بيان ما طبعت عليه النفس البشريه من حب التملك و التمسك بأغراضها الفانيه و مباهجها الزائله. و ما نزال فى «درره المنشوره» من أدب الحكمة الى أدب الدعاء. يقتضى أدب الدعاء ما لا- تقتضى الحكمة من الايجاز اذ نرى النفس تفيض فيه برحائها و خوفها و تعطشها الى السكينه، و تطلعها الى الخلاص حتى تستريح القلوب المتعبه و تعترف بكل مخزوناتها أمام الله عزوجل. و أدب الدعاء (الصادق) من أكثر ترائه حراره، و ان دلت على شىء فانها تدل على خصوبه النفس وسعه الروح و طواعيه اللغه العرييه و غناها. فقد جمع الامام الصادق عليه السلام بين ما تقتضيه الحكمة و الموعظه و الخطابه الأدبيه و الفقه الجعفرى، و بين ما

يقتضيه الدعاء من الاعتراف و الالاحاح و التلوين فى الرجاء الخالص و البث الروحى. و فى الحالين قد يصعب الوصول الا على من يملك الفكر الواسع و الخبره العميقه بأسرار البلاغه و قوه البيان و استجابته اللغه لحاجات التعبير. و هذا كله نجده عند الامام الاصادق عليه السلام: فكر رحب، و ايمان راسخ، و قلب حى، و لغه غنيه مطواعه يمتلك بيسر ناصيتها، و قلم سيال لا يتعب. و هذه بعض أدعيته المباركه نتلمس منها الألوان الأدبيه و البلاغيه من دعاء له عليه السلام فى القنوت: «يا مأمّن الخائف و كهف اللاهف، و جنه العائذ، و غوث اللائذ، خاب من اعتمد سواك، و خسر من لجأ الى دونك، و ذل من اعتر بغيرك و افتقر من استغنى عنك، اليك اللهم المهرب، و منك اللهم المطلب اللهم قد تعلم عقد ضميرى عند [صفحه ٢٤٢] مناجاتك، و حقيقه سريرتى عند دعائك، و صدق خالصتى باللجوء اليك، فافزعنى اذا فزعت اليك و لا تخذلى اذا اعتمدت عليك، و بادرنى بكفايتك، و لا- تسلبنى رفق عنايتك، و خذ ظالمى الساعه الساعه أخذ عزيز مقتدر عليه مستأصل شافته، مجتث قائمته، حاط دعامته، مثير له، مدمر عليه، اللهم بادره قبل أذيتى، و اسبقه بكفايتى كيده و شره و مكروهه و غمره و سوء عقده و قصده، اللهم انى اليك فوضت أمرى، و بك تحصنت منه و من كل من يتعمدنى بمكروهه، و يترصدنى بأذيته و يرصد لى بطانته، و يسعى على بمكائده. اللهم كد لى و لا- تكد على، و امكر لى و لا تمكر بى، و أرنى الثار من كل عدو أو مكار، و لا يضرنى ضار و أنت وليى، و

لا- يغلبني مغالب و أنت عضدى، و لا تجرى على مساءه و أنت كنفى. «اللهم بك استدرعت، و عليك توكلت، و لا حول و لا قوة الا بك» الدعاء منقبه أهل البيت لم يشاركوا فيها، و كرامه خصوا بها. قال الاستاذ سيد الأهل: لم يكن أحد أقدر على هذه الصناعات، صناعات الدعاء، من أهل البيت [٣٢٤]. و للإمام الصادق عليه السلام أدعيه كثيره جمعها له الشيخ الحجه محمد الحسين المظفرى - مؤلف كتاب الامام الصادق عليه السلام أدعيه الامام الصادق فى كتاب مستقل، و هو لا يزال مخطوطا شأن الكثير من تراثنا النفيس. هذه الأدعيه تمثل خصائص أدب الدعاء و فيها نلمس عمق الاحساس بمكان الله من القلب، و حراره النفس فى توجهها اليه. و قد يعجب القارىء بتلون المعانى و الأحاسيس بهذا التلوين فى مواقف متشابهه. و الحقيقه اذا تأملنا فى بلاغه هذا الدعاء و تأملنا فى الجانب الفنى منه وجدنا الرحابه و الغنى، و العمق و الجمال و الاستجابه و الصدق للطبع فهو مثال حى للأدب المطبوع البعيد كل البعد عن الزخرفه اللفظيه و الأدب المصنع عصور الهزال الفكرى و الترهل الروحى. [صفحه ٢٤٣] هو أدب مدرسه أهل البيت يجرى على نسق واحد من التأمل فى الكون و كائناته و معرفه عميقه بالنفس الانسانيه فيما تظهر و تبطن بأسلوب بعيد عن كل تعمل و تصنع، قريب من الطبيعه ينفى بالقصد من غير تطويل و لا حشو و لا تكرار، و ان مثل هذا الغوص و السبك لا- تكتمل عدته الا- لمن جمع مع قوه الفكره طول النظر، و توافرت له ثقافه انسانيه عميقه بأحوال النفس الانسانيه و أسرارها. [صفحه ٢٤٤]

درر مضيئه من حكمه الخالده على صدر الزمان

اشاره

الحكمه

موضوع عظيم يفيض خيرا. «من يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا» والحكمة هي معرفه أفضل الأشياء بأفضل العلوم و التفقه. جاء فى التنزيل العزيز «و لقد آتينا لقمان الحكمة» [٣٢٥]. و كلام الحكمة: هو الكلام الذى يقل لفظه و يجمل معناه، و الجمع حكم [٣٢٦] و الحكيم من أسماء الله الحسنى. جاء فى قوله تعالى و على لسان الملائكة: «قالوا: سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم» [٣٢٧]. و الذكر الحكيم: هو القرآن الكريم لأنه الحاكم للناس و عليهم، و لأنه محكم لا اختلاف فيه و لا اضطراب. قال تعالى: «لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» [٣٢٨]. و قد ذكر العلماء أن الحكمة اسم للعقل، و انما سمي حكمه لأنه يمنع صاحبه من الجهل، فالحكمة اذن بمعنى العلم و التفقه و هى ذات حدود واسعة [٣٢٩]. و قد ورد معنى الحكمة فى المؤلفات الاسلاميه بما يلى: الحكمة أقوال صائبه و أمثله محقه فيها تعليم و وعظ للانسان ليتعظ بها فى [صفحه ٢٤٥] حياته و يسير على هداها. و هى حكم حصلت من تجارب عمليه و من ملاحظات و تأملات فى هذه الحياه. و لهذا نسبوا الحكمة الى أناس مجربين خبراء أذكىاء. لهم صفاء ذهن و قوه ملاحظه و علوم أصيله و تجارب حياتيه تتوافق مع الحق فى كل آن. كانت الحكمة عند الأدباء العرب تسلك مسالك مختلفه: السياسى و الاجتماعى و الفلسفى و الاقتصادى و الدينى و الأخلاقى و العسكرى، و ان قراءه متعمقه للأدب العربى فى صدر الاسلام الشعر و النثر، تكشف قواسم مشتركه فى الرؤى

الحكميه، و قد حاولت الوقوف على أسباب هذا التشابه فى أقوال الحكماء فى صدر الاسلام فوجدت ذلك راجعا الى منبعين أصيلين خيرين: القرآن الكريم و السنه الشريفه. هذه الحكم التي جاد بها الحكماء المفكرون المسلمون جاءت دواء ناجعا لآلام الواقع و محاوله جاده لاصلاح ذلك المجتمع و لتحسين واقع حياه الأمه الاسلاميه، و لتصحيح الجوانب السلبيه التي كانت سائده فيه. هذه الحكم الانسانيه البليغه نجدها قد ارتفعت على قعقه السيوف و غبار الحروب فى أكثر الأحيان فاستجابت لصوت العقل و وحى الضمير و العوده الى حياه الاسلام الحقيقيه المحبذه للأمان و السلم و الاطمئنان. من هنا كان للحكمه ميدان فسيح لاصلاح المجتمع تتسع حدوده باتساع نطاق العقل، و تتشعب مسالكه بتشعب الاختبارات و التمرس بأمور الحياه، و فى الخلق الانساني عندما يهزنا الوجود بمشكلاته و الحكماء رجال عظماء و حياه العظماء مصدر اشعاع للفكر البشرى. و منهل عذب نمير للحق، و ينبوع فياض بالحكمه و طاقه هائله فى كمال المعرفه و رصيد ضخم فى الاصلاح و البناء، من الحكمه تستوحى الأمه العقيدته الحقه و الايمان الصادق، و الخلق الكريم، و الذود عن المبادئ الحقه؛ فهى مدرسه كبرى للانسانيه، و معالم وضاءه لتحقيق الحق الآلهى و العداله الانسانيه. و هل هناك فى الأمه الاسلاميه من يضاهى أهل البيت عليهم السلام فى فضلهم، و يساويهم فى عظمتهم! و هل هناك من يباريهم فى شرفهم و نسبهم و لا يرتفع اليهم فى مقامهم و مكانتهم؟. فهم حياه العلم، و موت الجهل، و أصول الكرم، و قاده الأمم، و الثقل الذى [صفحہ ۲۴۶] تركه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بين ظهرانى الأمه، و جعلهم نظراء للقرآن

الكريم، و نصبهم خلفاء له على الناس، و حكاما على الخلق، و ساسه للعباد، و أمراء على البلاد [٣٣٠]. و كم نحن بحاجة في هذه الأيام الحالكة بعد أن تقاذفتنا تيارات مختلفه و أهواء متضاربه و فتن هوجاء في صفوف المسلمين أحدثها العدو بمؤامراته و عملائه، أن نرجع الى أئمه أهل البيت عليه السلام ميممين شطريهم و آخذين بتعاليمهم، و منذفين أوامرهم، لنستعيد ماضيينا ماضيينا المجيد باذن الله و نحقق أهدافنا في الحياه الحره الكريمه لأمتنا العريقه. و الآن لنا جولات واسعه في رحاب حكم الامام الاصادق عليه السلام اختص الامام من بين الأئمه المعصومين عليهم السلام بكثره الحديث و نشر العلم، و اصلاح المجتمع. علما بأنهم عليهم السلام علمهم واحد و هدفهم واحد في الحركه الاصلاحيه الاجتماعيه. لكن الظروف التي رافقت كانت مؤاتيه و أفضل بكثير مما كانت عليه ظروف الأئمه الآخرين عليه السلام. و ذلك لا نشغال الدولتين في تثبيت الحكم و السلطان، فالدوله الأمويه تحاول الصمود و البقاء، و الدوله العباسيه تعمد الى تقويض حكم الأمويين بمعونه الفرس و العلويين فكلتا الدولتين انشغلتا في تثبيت قواعد الملك و الامام عليه السلام انتهز الفرصه لتثبيت قواعد العلم، و نشر ألويه الدين الحنيف كما أراد جده الرسول الأمين و كما نص عليه القرآن الكريم. فجمع حوله عدد كبير من طلاب العلم و فقهاء العصر و أهل الفقه و الدين و أسس مدرسته التي كان لها شأن هام في تقويم الانحراف و هدايه الناس الى الطريق الصحيح. و الأحاديث التي رويت عنه لا تحصى لكثرتها و أهميتها و كلها تتضمن دررا من الأحكام: الدينيه و الاجتماعيه و السياسيه و الأخلاقيه و الفلسفيه و في هذه الصفحات قبس منها على سبيل

الحكم الدينيه

قال عليه السلام: «اتقوا الله واعدلوا، فانكم تعيون على قوم لا يعدلون» [٣٣١]. [صفحه ٢٤٧] ميزان التفاضل بين الأفراد في الاسلام: التقوى (ان اكرمكم عندالله أتقاكم) و يرهان التقوى: العدل. فالمسلم المؤمن يجب أن يكون عادلا- لأنه يعيب على الآخرين ظلمهم و جورهم. قال المتنبي في شعره الحكيمى: لا تنه عن خلق و تأتى بمثله عار عليك اذا فعلت عظيم - و قال عليه السلام: «ان من حقيقه الايمان أن تؤثر الحق و ان ضرك، على الباطل و ان نفعك». المؤمن الحق لا ينحرف عن الحق قيد شعره، فيقول الحق مهما كانت نتائجه له أو عليه. - و قال عليه السلام: «أحسنوا النظر فيما لا يسعكم جهله، و انصحوا لأنفسكم، و جاهدوها في طلب معرفه ما لا عذر لكم فى جهله، فان لدين الله أركاننا لا ينفع من جهلها بشده اجتهاده فى طلب ظاهر عبادته، و لا يضر من عرفها فدان بها حسن اقتصاده، و لا سبيل لأحد الى ذلك الا بعون الله عزوجل.» على المؤمن أن يعرف أركان الدين معرفه يقينيه و لا- ينفعه جهلها فى طلب ظاهر عبادته. - و قال عليه السلام: «ان الله ارتضى لكم الاسلام دينا فاحسنوا صحبته بالسخاء و حسن الخلق». من نعم الله تعالى أنه ارتضى لنا الاسلام دينا فعلينا أن نحسن صحبته بالكرم و الأخلاق الحسنه. فالكريم من عبادالله يحبه الله و يحبه من يحسن اليهم. و الخلق الحسن صفه مثلى يتميز بها المسلم و لأهميتها مدح بها الله عزوجل الرسول الأعظم «و انك لعلى خلق عظيم» فليكن للمسلمين فى جميع أقطاب الأرض قدوه حسنه. - و قال عليه السلام: «ان العمل الدائم القليل على

يقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين». [صفحة ٢٤٨] المعرفة اليقينية أفضل بكثير من المعرفة السطحية و ان كثرت لأن الهدف المنشود النوعية و ليس الكمية. - «و ان مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلما شرب العطشان منه ازداد عطشا» الدنيا غرور تستهوى البعض من الناس بمباهجها و ملذاتها و لا تستهوى البعض الآخر الذين يفضلون الدار الآخرة. من الصنف الأول كان حكام بنى أمية و على رأسهم معاوية بن أبى سفيان الذى بنى (الدار الخضراء) و لما سأل أباذر الغفارى عن جمالها قال له: ان كانت من مال المسلمين فهى خيانه، و ان كانت من مالك فهى اسراف. و من الصنف الثانى كان على بن أبى طالب الذى لقب بأبى تراب لزهده و تقاه و هو الذى خاطب الدنيا قائلا: «أيتها الدنيا غرى غرى». - «اتقوا الله و صونوا دينكم بالورع». يتفاضل المؤمنون بالتقوى و يصونون دينهم بالورع الذى تميز به الأئمة المعصومون و طلبوا من أتباعهم التحلى به ليكونوا خير أمه أخرجت للناس. - «ان الغنى و الفقر يجولان فاذا ظفرا بموضع التوكل أو طناه». فمن توكل على الله و سعى قدر طاقته توطن الغنى عنده، أما من لم يتكل على الله و لم يبذل جهدا يتوطن عنده الفقر. - ألا و ان أحب المؤمنين الى الله من أعان المؤمن الفقير من الفقير فى دنياه و معاشه، و من أعان و نفع و دفع المكروه عن المؤمنين». الاسلام فرض الأخوة بين المسلمين فالمسلم أخ المسلم يعينه و يحفظه و يشاركه أفراحه و أتراحه. و الأخوة فى الايمان عروه و ثقى و تشد أزر المسلمين و تمسك بهم فلا تذهب ريحهم و لا تهزم هزات الزمن

مههما قست أو عنفت، «انما المؤمنون اخوه». - «اياكم و الخصومه فى الدين، فانها تشغل القلب عن ذكر الله، و تورث النفاق، و تكسب الضغائن، و تستجيز الكذب». [صفحه ٢٤٩] - «ان أبغض خلق الله تعالى عبد اتقى الناس لسانه». اللسان مفتاح العقل يترجم عنه ما يجول فيه من أفكار و ما يتحسس من عواطف، و منه تنجم الأعمال الصالحه أو الطالحه حسب اراده الانسان. و صيانته اللسان واجب أساسى على كل انسان و اذا ما أساء صاحبه استعماله أصبح مبعوضا عندالله مكروها عند عبادالله. - «ان من عرف نعمه الله بقلبه استوجب المزيد من الله قبل أن يظهر شكرها على لسانه» «أما بنعمه ربك فحدث»، كل ما عندنا من خيرات و نعم هي من عندالله عزوجل و هبها سبحانه لعباده من حبه لهم. فالمؤمن الذى يحس بنعم الله الغفيره عليه أن يظهرها على لسانه شكرا له و اعترافا بفضله و بذلك تزيد و تنمو و تعطى خيرا من هنا نذكر (و بالشكر تدوم النعم). - «ثلاثه لم يجعل لأحد من الناس فيهن رخصه: بر الوالدين، برين كانا أو فاجرين، و الوفاء بالعهد للبر و الفاجر، و أداء الأمانه للبر و الفاجر» هذا الحديث ينسجم مع قول الله عزوجل فى توصيه الأبناء بالآباء و الأمهات قال تعالى: «... و بالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا- تقل لهما أف و لا تنهر ما و قل لهما قولا جميلا» [٣٣٢]. - «حسن الظن بالله أن لا- ترجو الا- الله و لا تخاف الا ذنبك» المؤمن لا يحسن الظن الا برب العالمين و لا يخاف أحدا الا نفسه. - «الحياء و الايمان مقرونان

فاذا ذهب أحدهما اتبعه الآخر». من لا- حياء له لا دين له، من هنا قول أحد الحكماء: اذا لم تستح فافعل ما تشاء!. - «خف الله كأنك تراه، و ان كنت لا تراه فانه يراك، و ان كنت ترى أنه لا [صفحه ٢٥٠] يراك فقد كفرت، و ان كنت تعلم أنه يراك ثم بدرت له بالمعصيه فقد جعلته من أهون الناظرين اليك». و المؤمن يراقب نفسه باستمرار و كأن مراقبا يراقبه في كل حركاته و سكناته فكيف اذا كان المراقب الله، سبحانه و تعالى الذى لا يغيب عن بال المؤمن لحظه واحده؟. - «الصلاه قربان كل تقى، و الحج جهاد كل ضعيف، و زكاه البدن الصيام، و الداعى بلا عمل كالرامى بلا وتر، و استنزلوا الرزق بالصدقه، و حصنوا أموالكم بالزكاه، و ما عال من اقتصد، و التدبير نصف العيش، و التودد نصف العقل، و قله العيال أحد اليسارين، و من أحزن والديه فقد عقهما، و من ضرب يده على فخذة عند مصيبيه فقد جبط أجره، و الضيعه لا تكون ضيعه الا عند ذى حسب و دين، والله تعالى منزل الصبر على قدر المصيبه، و منزل الرزق على قدر المؤونه، و من قدر معيشته رزقه الله، و من بذر معيشته حرمه الله». حديث كامل شامل يحث على الدين و الأخلاق و الاقتصاد و الصبر و كل ما يجب أن يتحلى به المؤمن من صفات ايجابية طيبه. - «ان المؤمن أخو المؤمن، عينه و دليله، لا يخونه و لا يظلمه، و لا يغشه، و لا يعده عده فيخلفه». لما كان المؤمن العين و الدليل لأخيه المؤمن الآخر فهل تصح الخيانه و الظلم و الغش و

اخلاف الوعد؟ معاذ الله!! - «عليك بالنصح لله في خلقه فانك لن تلقاه بعمل أفضل منه». ان كل تصرفات العبد الصالح يجب أن تكون لله و في سبيل الله، فيحب في الله و يكره في الله و يعمل من أجل مرضاه الله. - «و سئل عليه السلام: هل يكون المؤمن بغیضاً؟. قال: لا. و لا يكون ثقیلاً. المؤمن الحق صاحب الأخلاق الرفیعه و العزه و الكرامه لا يمكن الا أن يكون [صفحه ٢٥١] محبوباً خفيف الظل مفضلاً عند الجميع لأن قلبه لا يفيض الا بالموده و الرحمه، و لا ينبض الا بالعطف و المحبه. - «ليس الايمان بالتحلى و لا بالتمنى، ولكن الايمان ما خلص في القلوب و صدقته الأعمال». المؤمن هو عبد صالح يقول صالحاً و يعمل صالحاً، و العمل الصالح هو ترجمان القلب الصالح و النيه الصالحه. و الله تعالى يبارك من خلصت قلوبهم من كل زيف و صدقت أعمالهم في حياتهم الخاصه و العامه. - «لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد محاسبه الشريك شريكه فيعلم من أين مطعمه، و من أين ملبسه أمن حلال أم من حرام؟. أعلى درجات الايمان التقى و لا تحصل هذه الصفه النبيله الا بمحاسبه الانسان نفسه كما يحاسب شريكه تماماً و عند ذلك يعلم جيداً من أين الحلال و من أين الحرام. - «ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثمان خصال: و قور عند الهزاهز، صبور عند البلاء، شكور عند الرخاء، قانع بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء و لا يتحمل الأصدقاء، بدنه منه في تعب و الناس منه في راحه». - «إذا استقبلت القبله فأيس من الدنيا و ما فيها، و الخلق و ما هم

فيه، و استفرغ قلبك من كل شاغل يشغلك عن ذكر الله، و عاين بسر ك عظمه الله عز وجل، و اذكر و قوفك بين يديه قال تعالى: «هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت و ردوا الى الله مولا هم الحق» [٣٣٣] و قف على قدم الخوف و الرجاء». عند الصلاة على الانسان أن يتحضر روحيا للوقوف أمام خالق الكون فيستفرغ قلبه من كل شاغل يشغله ليعاين بسره عظمه رب العالمين لأنه يقف بين يديه جل و علا خاشعا متضرعا خائفا راجيا. [صفحه ٢٥٢] - «المؤمن هو الذى اذا غضب لم يخرج غضبه من حق، و اذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل، و الذى لم يأخذ أكثر مما له». بلا ريب، المؤمن يحب فى الله و يغضب فى الله، و اذا غنم فلا يبطر و اذا غضب فلا يتجاوز حدوده الشرعيه. - «من عظمت نعمه الله عليه اشتدت مؤونه الناس اليه». من نعم الله علينا حاجه الناس اليها، فبقدر ما يستطيع الانسان تقديم خدمات للآخرين بقدر ما يكسب اجرا كبيرا. من هنا كان قول الرسول الأعظم: «الناس كلهم عيال الله و أقربهم اليه أنفعهم لعياله». - «المعروف زكاه النعم، و الشفاعة زكاه الجاه، و العلل زكاه الأبدان و العفو زكاه الظفر و ما أدت زكاته فهو مأمون السلب». لكل شىء زكاه و ما تؤدى زكاته فهو مأمون السلب. - «لو أن الناس أدوا زكاه أموالهم ما بقى مسلم فقيرا محتاجا». فهل يسمع المسلمون هذا النداء الالهى العظيم الذى يجمع أواصر المسلمين و يأخذ بيدهم الى ما فيه الخير و الفلاح؟ لو سمعوا و وعوا لما بقى مسلم فقيرا محتاجا. لكنهم يضعون أموالهم فى مصارف الأعداء بدل أن يصرفوها على

الأصدقاء. من هنا كان المال سلاحا ذا حدين.

الحكم الاجتماعي

- «اياكم و الخصومه فانها تشغل القلب، و تورث النفاق، و تكسب الضغائن، قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: ما كان جبرائيل يأتيني الا قال: يا محمد اتق شحنا الرجال، و عداوتهم». يعتمد بناء المجتمعات السعيده على صفاء القلب و البعد عن الخصومه و المشاحنات، لأن العداة يورث البغضاء، و البغضاء تورث الضغائن التي تفسد العلاقات الاجتماعيه و تفكك أواصر المجتمع. لذلك أوصى جبرائيل عليه السلام [صفحه ٢٥٣] النبي صلى الله عليه و آله و سلم بالبعد عن العداوه و الشحنا، و هذا ما أوصانا به حفيده الامام الصادق عليه السلام الأمين على حفظ رساله الاسلاميه و صيانتها. - «اطلبوا العلم و لو بخوض اللجج و شق المهج». جاءت هذه الحكمة انطلاقا من قول الله عزوجل في تميزه العلماء و تفضيلهم. قال تعالى: «هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون» [٣٣٤]. و قال الرسول الأ-عظم صلى الله عليه و آله و سلم: «طلب العلم فريضه على كل مسلم و مسلمه» لقد جعلها صلى الله عليه و آله و سلم: فريضه من الفرائض. لأن العلم نور يستضيء به القلب، و يهتدى به العقل. فهو سبيل الايمان و الأمان. و قد أكد الامام الصادق عليه السلام على طلب العلم و لو بخوض اللجج مهما صعبت، و شق المهج مهما تكثفت الغمائم و الحجب. - «اذا أردت أن تختبر عقل الرجل في مجلس واحد فحدثه في خلال حديثك بما لا يكون، فان أنكره فهو عاقل، و ان صدقه فهو أحمق». و هذا اختبار حقيقى لأن انسان في أى مجتمع، فان صدق المحال فهو أحمق بلا عقل

و لا رويه، و ان أنكر فهو عاقل يفكر و يتبصر. - «ان يسلم الناس من ثلاثه أشياء كانت سلامه شامله: لسان السوء، و يد السوء، و فعل السوء». و هذا يعود بلا ريب الى البصيره المنوره بالايمن، لأن المؤمن يحفظ لسانه من الزلل، و يده من الحرام، و أفعاله من أعمال السوء و أذى الآخرين. و هنا أتذكر قول أحد الشعراء الحكماء: لسان الفتى نصف و نصف فواده فلم يبق الا صوره اللحم و الدم - «و اذا بلغك عن أخيك ما تكرهه فاطلب له من عذر واحد الى سبعين عذرا، فان لم تجد له عذرا فقل: لعل له عذرا لا أعرفه» كل انسان معرض للخطأ و السهو و على أفراد المجتمع الواحد التساهل فيما بينهم و التسامح فيما يصدر عنهم من [صفحه ٢٥٤] أخطاء. و هذا ما يطلبه منا الامام الاصادق عليه السلام في طلب العذر لاخواننا لتسهيل حياتنا و تكمل سعادتنا. لأن عتاب الاخوان على كل شارده و وارده توهن العلاقات الاجتماعيه و تفكك أواصرها. و اذا ما نظر كل منا الى أخطائه كف لسانه عن أخطاء الآخرين و عذرهم. قال في هذا المجال بشار بن برد عندما عاتبه أحد اخوانه على بعض أخطائه: اذا كنت في كل الأمور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه فعش واحدا أوصل أخاك فانه مقارف ذنب مره و مجانبه اذا أنت لم تشرب مرارا على الأذى ظمئت و أى الناس تصفى مشاربه - «أحب اخوانى الى من أهدي الى عيوبى». الصديق الصدوق هو الذى يشعر مع أخيه بشعور صادق و نبيل و كأنه يرى أخطاء صديقه أخطاءه هو نفسه. فلا يرضاها له لجه لصديقه و

حرصه على انتقاد الآخرين له. و أنا شخصيا أطلب من أصدقائي أن يدلوني على أخطائي و يرشدوني الى هفواتي لأبتعد عنها و أصلح من شأنها بأى حال. لكن النصيحة يجب أن تكون غايتها التصليح و ليس التجريح. قال أحمد شوقي: لك نصحي و ما عليك جدالي آفه النصيح أن يكون جدالا - «ان سرعه ائتلاف قلوب الأبرار اذا التقوا و ان لم يظهروا التودد بألسنتهم، كسرعه اختلاط ماء السماء بماء الأنهار و ان بعد ائتلاف قلوب الفجار اذا التقوا، و ان أظهروا التودد بألسنتهم كبعد البهائم من التعاطف، و ان طال ائتلافها على مذود واحد». ان المؤمنين الأبرار يلتقون بقلوبهم و ألسنتهم لأنهم صادقون مخلصون أما الأشرار فانهم يلتقون بألسنتهم دون قلوبهم و يظهرون عكس ما يضمرون لأنهم كاذبون خائنون. من هنا يطلب الينا الامام الصادق أن نتمهل فى اختيار الأصدقاء الأوفياء الذين يؤثرون أصدقاءهم على أنفسهم. قال تعالى: «يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة» [الحشر: ٩]. [صفحه ٢٥٥] - «ان صله الرحم و البر يهونان الحساب و يعصمان من الذنب، فصلوا أرحامكم، و بروا اخوانكم، و ليس بحسن الجواب ورد السلام» لا شك أن صله الرحم أمر ضرورى فى توثيق العلاقات الاجتماعيه و احياء روح التعاون و المحبه بين أفراد العائله. و صله الأرحام و بر الاخوان و مساعدتهم فى محنتهم حث عليها الاسلام و لفضلها و تمييزها قال عنها الامام الاصادق أنها تعصم من الذنب و تهون الحساب «يوم لا ينفع مال و لا بنون الا من أتى الله بقلب سليم» [الشعراء: ٨٨]. ثم ان بر الاخوان يكون عملا لا قولاً باللسان ورد السلام، فمن أراد مساعده المجاهدين الخيرين يمكنه

ذلك بشتى الوسائل. و أفضل مثل على ذلك المقاومه الاسلاميه فى جنوب لبنان و فى البقاع الغربى فمساعدهتها فرض واجب على كل مؤمن و مؤمنه. لأنها تدافع عن شرف الأمة الاسلاميه و كرامتها. تدافع ضد عدو آثم يحتل أرضنا و ينتهك حرماننا و يقتل أطفالنا و شيوخنا و نساءنا كل يوم. فدعمها واجب شرعى بلا ريب. بارك الله بها و أعانها من نصر الى نصر... - «اياك و خصلتين: الضجر و الكسل، فانك ان ضجرت لم تصبر على حق، و ان كسلت لم تؤد حقه». لقد نهانا الامام الاصادق عليه السلام عن الضجر لأن صاحبه يفقد صبره و عند ذلك يتعد عن وضع الحق فى مكانه، و كذلك الكسل يوهن قوه الانسان و يجعله يعيش فى عزله عن الناس و يضعف عن القيام بواجباته تجاه الآخرين. - «تدخل يدك فى فم التنين الى المرفق خير لك من طلب الحوائج الى من لم يكن له ثم كان». جاء فى الحديث الشريف «اليد العليا خير من اليد السفلى» [٣٣٥] فالذى يستطيع على العطاء خير له من أن يمد يده الى الغير لسد حاجاته. و اذا كان لا بد من الطلب فليكن من أهل الخير الذين يعملون المعروف من أجل المعروف و ليس لشهره أو جاه منفعه شخصيه. بل يعملون فى سبيل الله لنيل مرضاته عزوجل [صفحه ٢٥٦] يعملون الخير بالسر كما كان يعمل الأئمه المعصومون عليهم السلام نذكر منهم على سبيل المثال جد الامام الصادق الامام زين العابدين عليه السلام. ثم حذرنا عليه السلام من طلب الحاجه من غير أهلها فكأننا فى طلبنا لها كمن يدخل يده فى فم التنين. أعاذنا الله من شره. - «تحتاج الأخوه فيما بينكم الى ثلاثه

أشياء فان استعملتموها و الا تباينتم و هي: التناصف، و التراحم، و نفى الحسد». لما فرض الاسلام الأخوه فى الايمان فرض لها شروطا أساسيه حتى تستقيم الحياه الاجتماعيه سليمة معافاه. و هي: التناصف و التراحم و نعى الحسد. فالمؤمن ينصف أخاه منه فيعطيه حقه بلا نقصان، و يرحمه عند كل شدة أو اهمال و يغطه و لا يحسده، لأن الحسد، كما وصفوه يأكل صاحبه كما تأكل النيران الحطب. - «داووا مرضاكم بالصدقه و ادفعوا البلاء بالدعاء». و هذا ما دعا اليه جده الامام زين العابدين فى الصحيفه السجديه فالصدقه بالاضافه الى وجوبها فى الاسلام فهى من العناصر التى تشد أواصر المجتمع و تنميه، و المتصدق يدفع بصدقاته البلاء عن نفسه و عن أسرته فالله سبحانه و تعالى هو الشافى و اذا ما وقع البلاء بالدعاء هو أفضل دواء لدفعه و الله هو المعافى «ادعونى أستجب لكم» دعاء المؤمن الذى يتكل على الله وحده فى كل أمور حياته. - «الرجال ثلاثه: عاقل و أحق و فاجر. فالعاقل ان كلم أجاب و ان نطق أصاب، و ان سمع وعى، و الأحق ان تكلم عجل، و ان حمل على القبيح فعل، و الفاجر ان ائتمنته خانك و ان حدثته شانك». و الرجال مفاتيحها التجارب فمن أعمال هؤلاء تعرف النتائج فلتقترب من العاقل لأنه يفيد فى حالتى التحدث أو السماع ان تحدث أصاب و أفاد و ان سمع وعى و استوعب. أما الأحق فانه يضر فى الحالتين فى القول و العمل، و كذلك الفاجر يؤذى [صفحه ٢٥٧] من عرفه فى الحضور أو الغياب. و قد نهانا الامام الصادق عن هذه الآفات التى تفتك فى جذع الشجره الاجتماعيه فتفسد فيها

و تعرقل نموها. - «لعن الله قاطعى سبيل المعروف. قيل له: و من قاطعوا سبيل المعروف؟ قال عليه السلام: «الرجل يصنع اليه المعروف فيكفره فيمتنع صاحبه من أن يصنع ذلك الى غيره». لعن الله ناكرى المعروف الذين يسدى اليهم المعروف فينكرونه و يمنعون بذلك أصحاب الخير من القيام بأعمالهم نحو الآخرين خوفا من ضياعها أو تخوفا من امتناع أصحابها من أن يعيدوا صناعه معروفهم. و هنا يخطر لى قصه رواها لى أحد أصحابى قال: «كان أحد الأمراء فى فسحة فى الصحراء يركب جواده الأصيل و بينما هو فى الطريق صادف رجلا تعباً يسير على قدميه. طلب منه هذا الرجل أن يردفه وراءه على جواده فنزل الأمير و سمح له من ركوب الجواد فتره من الزمن. و لما تمكن من ركوب الجواد أطلق ساقيه للريح و ترك الأمير وسط الصحراء لا ماء عنده و لا- غذاء. و قبل أن يبعد كثيراً ناداه الأمير ليتريث بعض الوقت ليقول كلمه الوداع. قال لناكر المعروف: أيها الرجل خذ الجواد و ما عليه و أوصيك أن لا تروى ما حدث معنا عند القوم خوفا من ضياع المعروف بين الناس!! - «الصمت كنز وافر و زين الحليم و ستر الجاهل». الكلام له أوقاته و السكوت له أوقاته، و كما للكلام فن القول كذلك للسكوت فن الاصغاء. فالحليم العاقل يفسح المجال لغيره من المتكلمين ليصغى اليهم و يستفيد منهم، و متى جاء دوره فى الكلام يتحدث بما عنده من مخازن فكره ليفيد غيره من جواهر حكمه و بنات أفكاره. أما الجاهل الذى لا يعرف أن يتكلم و لا يفهم ما يتكلم به الآخرون فخير له أن يسكت و لا ينبس بينت شفه خوفا

من افتضاح أمره و بيان جهله. و مره قال ابن المقفع لأد جلسائه الجاهلين: السكوت زين لك فلماذا تندم عليه. [صفحه ٢٥٨] -
«ثلاثه يحتاج الناس اليها طرا: الأمن، و العدل، و الخصب». لا حياه سعيدة بلا أمن لأن من الأمن الأمان و الاستقرار و طيب العيش
و لا استقرار بلا عدل، لأن العدل أساس الملك و العدالة أمر لازم و فرض واجب في المجتمع الاسلامي، و عندما يعم الأمن و
يسود العدل تزهر الحياه و تخصب الأرض و يحلو العيش. و كم نحن بحاجة اليوم الى تطبيق هذا الحديث في مجتمعاتنا
الحاضره. من هنا كان قول الامام الصادق «اذا أراد الله برعيه خيرا، جعل لهم سلطانا رحيمًا و وزيرا عادلا». فعلى الرئيس المسؤول
أن يتمتع بالرحمه ليكون أبا رحيمًا لجميع الناس و على الوزير أن يكون عادلا يحكم بالسويه بين جميع أفراد الرعيه.

الحكم الأخلاقيه

«العاقل من كان ذلولًا- عند اجابه الحق، منصفًا بقوله جموحًا عند الباطل، يترك دنياه و لا يترك دينه، و دليل العاقل شيثان:
صدق القول و صواب الفعل، و العاقل لا يتحدث بما ينكره العقل و لا يتعرض للتهمة و لا يدع مداراه من ابتلى به. و يكون العلم
دليله في أعماله، و الحلم رفيقه في أحواله، و المعرفه تعينه في مذاهبه، و الهوى عدو العقل و مخالف الحق، و قرين الباطل، و قوه
الهوى من الشهوه، و أصل علامات الشهوه أكل الحرام، و الغفله عن الفرائض و الاستهانه بالسنن و الخوض في الملاهي». لقد
وصف لنا عليه السلام العاقل بكل أحواله، فهو الدليل عند الحق و الجموح للباطل و المنصف في أقواله و أعماله و يعرف العاقل
بصفتين هامتين: صدق القول

و جواب الفعل، و من تحلى بهما اتخذ العلم دليله و الحلم رفيقه و المعرفه معينه... ثم عاد عليه السلام ففصل لنا صفات الجاهل محللا صفاته و معددا أحواله و مفصلا أسبابه و أعماله. فمن كان من الصنف الأول كان عنصرا صالحا فى مجتمع صالح علينا [صفحه ٢٥٩] معاشرته و التقرب منه، و من اتصف بصفات الجهل كان عنصرا فاسدا فى المجتمع حذرنا الامام منه و نصحنا بالبعد عنه. من هنا كان قوله عليه السلام: - «اياك و مخالطه السفله فان مخالطه السفله لا تؤدى الى خير». - «ان عيال الرجل أسراؤه فمن أنعم الله عليه فليوسع على أسرائه، فان لم يفعل يوشك أن تزول تلك النعمه عنه» تشبيه لطيف و مصيب فأسره الرجل أسراء عنده و على الانسان أن يعامل أسراءه بلطف و تقدير فلا- يظلمهم و لا- ييخل عليهم و لا- يهملهم بل يراهم بحلمه و عاطفته لتعيش الأسره عيشه سعيده تغمرها المحبه و تكأأها السعاده. - «باشركبار أمورك بنفسك و كل ما صغر منها لغيرك» الأمور الكبيره فى الأسره أو المجتمع على رب الأسره أن يياشرها بنفسه ليضمن نجاحها، أما الأمور الصغيره التى لا تؤثر تأثيرا كبيرا فى الحياه الخاصه و العامه فلا بأس ان تركها لمساعديه. - «اصنع المعروف الى من هو أهله و الى من ليس هو أهله، فان لم يكن هو من أهله فكن أنت من أهله». عمل المعروف واجب اجتماعى تجاه كل الناس لأن المعروف و لو زرع فى غير موضعه قد يعطى خيرا. و هو من الأسباب التى توثق العلاقات الاجتماعيه فتثمر محبه و عطاء مباركا. و قد اختلف الحكماء فى نوع الأفراد الذين يسدى اليهم المعروف، فهل يسدى

للأخيار المستحقين أم للأشرار غير المستحقين. قال الشاعر الحكيم زهير بن أبي سلمى: و من يعمل المعروف في غير أهله يكن حمده ذما عليه و يندم حكيم آخر و قال: ازرع جميلا و لو غير موضعه فلن يضيع جميل أينما زرعا و ما نراه أن عمل المعروف يصنع لجميع الناس على حد قول الامام الصادق فان لم يكن من يسدى اليه المعروف من أهله فليكن الذى يسدى المعروف من [صفحہ ۲۶۰] أهله. و قد قالوا: ان الهدية على مقدار مهديها. - «ثلاثة لم يجعل الله لأحد من الناس فيهن رخصه: بر الوالدين، برين كانا أو فاجرين، و الوفاء بالعهد للبر و الفاجر، و أداء الأمانة للبر و الفاجر». بر الوالدين و الوفاء بالعهد و أداء الأمانة ثلاثة عناصر أساسيه أوصى الله بها عباده الصالحين ليصلح المجتمع الاسلامى و يتماسك كالبنيان المرصوص. فمهما كانت حاله الأبيون أو حاله الأخوه أبرارا كانوا أم فجارا على المسلمين الوفاء لهم و حفظ عهدهم و أمانتهم. - ثلاثة من لم تكن فيه فلا يرجى خيره أبدا: من لم يخش الله فى الغيب، و لم يرعو عند الشيب، و لم يستح فى العيب» خشية الله فى السر و العلن أمر واجب على كل مسلم يعتقد متأكدا أن الله يراه فى كل حركاته و كل سكناته و هو أقرب اليه من حبل الوريد. و المشيب عهد على كل من بلغه مراعاة أحواله فلا يليق بالكبير أن يتصرف تصرف الشباب فى حديثه و لباسه و حياته بجميع حالاتها. أما الذى يخطىء فى تصرفاته مع الآخرين و يعمل أعمالا معييه عليه أن يعتذر من الذى يسىء اليه و يعترف بما كسبت يده، و الا كان

كما قال أبو الطيب المتنبي: من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام و علينا أن نحذر هؤلاء الثلاثة فلا نتعامل معهم لأن وجودهم و عدمه على حد سواء، لا خير يرجى منهم. - «ثلاثة تدل على كرم المرء: حسن الخلق، و كظم الغيظ، و غض الطرف». الكرم صفه عامه عند العرب و خاصه عند المسلمين، لأن المال هو مال الله و المسلم يتصرف به في دنياه فينقله من يد الى يد و من حال الى حال. و الله كريم و يحب الكرماء، و المسلم الكريم يتحلى بأفضل الصفات الاجتماعيه النبيله منها: الأخلاق الحسنه، و صاحب الأخلاق الحسنه يكظم غيظه اذا ما أصيب بمكروه اعتقادا منه: ما أصابكم الا ما كتب الله لكم. و يغض طرفه اذا ما شاهد عورات [صفحه ٢٦١] الآخرين و هذه الصفات الكريمه يتميز بها المسلم في حياته الخاصه و العامه. لذلك نرى الامام الصادق عليه السلام يركز على حسن الخلق انطلاقا من القرآن الكريم الذى وصف الرسول الأعظم بالأخلاق الحسنه: «انك لعلى خلق عظيم» فقال عليه السلام مخاطبا المسلم: - «خذ من حسن الخلق بطرف تروج به أمرك، و تروح به قلبك» فلو أخذ المسلم من حسن الخلق بطرف واحد لتيسرت أموره و أعماله في حياته العامه و اطمأن قلبه في حياته الخاصه و أصبح من خير الساده الذين وصفهم الامام الصادق عليه السلام بقوله: - «خير الساده أرحبهم ذراعا عند الضيق، و أعدلهم حلما عند الغضب و أبسطهم وجها عند المسأله، و أرحبهم قلبا اذا سلط، و أكثرهم صفحا اذا قدر». فهل أفضل و أنبل و أكمل من هذا الانسان المتصف بهذه الصفات؟ هذه الصفات الاجتماعيه الانسانيه الكريمه تجعله محبا و

محبوبا. - «رأيت المعروف لا يصلح الا بثلاث خصال: تصغيره، و ستره، و تعجيله فانك ان صغرته عظمته عند من تصنعه اليه، و اذا سترته تمته و اذا عجلته هنأته، فاذا فعلت غير ذلك فانك سخفته و نكرته» و هذا أمر بديهى و منطقى لأن على المرء أن يعامل غيره كما يحب أن يعاملوه. فاذا صغر المعروف يكون قد عظمه فى الوقت نفسه، و اذا يسره و ستره يكون قد أتمه، و اذا عجله و لم يتأخر فى عطائه يكون قد هنأه. و لا يصح اسداء المعروف الا بهذه الطرق الثلاث. ثم تابع الامام الصادق عليه السلام فى وصف المعروف فقال: - «رأيت المعروف كاسمه، و ليس شىء أفضل من المعروف الا ثوابه و ذلك يراد منه، و ليس كل من يحب الى الناس يصنعه، و ليس كل من يرغب فيه يقدر عليه، و لا كل من يقدر عليه يؤذن له فيه، فاذا اجتمعت الرغبة و القدره فهناك تمت السعاده للطالب و المطلوب» المعروف اسم على مسمى و ليس أفضل منه سوى ثوابه، و هذا هو الهدف منه، أما اذا أراد صاحب المعروف التشهير بالمعروف من أجل غايه شخصيه رخيصه أو شهره أو جاه، سقط معروفه و ذهب ثوابه فالقادر على المعروف يرغب فيه لوجه الله تعالى، خدمه لعيال الله و بذلك يكسب رضى الله [صفحه ٢٦٢] عزوجل، فهنيئا للراغب و القادر الذى تمت له السعاده فى الدارين فكسب رضى الله و كسب رضى الناس. - «سرك من دمك فلا تجره فى غير أوداجك». لكل انسان أسراره الخاصه فعليه أن يحتفظ به كدمه فلا يطلع عليه أحد من اخوانه ان كان صديقا صدوقا تأثر عليه و

تأسف و ان كان غير و فى لا يستحق حمل الأمانه عيره و شمت به. فحفاظا على كرامته يحتفظ بأسراره لأن كل سر جاوز الاثنين شاع. «سته لا تفارقهم الكآبه: الحقود، و الحسود، و فقير قريب العهد بالغنى، و غنى يخشى الفقر، و طالب رتبه يقصر عنها قدره، و جليس أهل الأدب و ليس منهم». و الحقيقه أن هؤلاء السته يعيشون فى كآبه دائمه و هم موجودون فى كل زمان و مكان نرى منهم اليوم نماذج كثيره فى مجتمعنا الحاضر. نرى الحقود الذى لا يعرف التسامح قلبه، و الحسود الذى يأكل الحسد أعصابه كما تأكل النار الحطب، و الأغنياء الجدد الذين كسبوا المال الوفير بطرق شتى فباتوا لا يعرفون التصرف الحسن مع الآخرين، و الأغنياء القدامى الذين يخشون الفقر و هم يكسبون الأموال الطائله. هؤلاء وصفهم أبو الطيب المتنبى فقال: و من ينفق الساعات فى جمع ماله مخافه فقر فالذى فعل الفقر و طلاب المراتب العليا الذين ليسوا من أهلها، فهم كمن يلبس ثيابا فضفاضه فلا تليق به و ليست على قياسه لكن الحظ الأعمى رفعهم فى هذه الأيام التعيسه، أيام الفوضى و المحسوبيه فكان منهم وزراء و رؤساء و مدراء و سفراء و عمداء... و جليس أهل الأدب و ليس منهم يشارك أهل الأدب و يناقشهم و لا يفقه ما يقول و اذا ما جرى أى حوار حول أى موضوع أدبى يشارك فيه و يعارض كبار الأدباء ليقول الناس فلان عارض فلان و هو لا يدري أنه لا يزال فى مكانه الخاص، بل ربما سقط عن مكانه لأنه تعرى تماما و أظهر عيوبه و قصوره. [صفحہ ۲۶۳] - «الصفح الجميل: أن لا تعاقب على الذنب،

و الصبر الجميل: الذى ليس فيه شكوى». يدعو الامام الصادق المسلمين الى الصفح الجميل، أى العفو عند المقدره على الذين يسيئون اليهم فلا يعاقبوا على الذنب و بذلك عليهم أن يصبروا صبرا جميلا فلا يتأفوا و لا يتأسفوا لأن الصبر على ما يصيبهم من مكروه جهاد مأجور. - «ما من أحد تكبر أو تجبر الا لئله و جدها فى نفسه» الكبرياء و العظمه صفتان من صفات الله تعالى يكسوهما خليقته و يلبسهما بريته و ذلك دون ما يعتقد الجبارين و المتملكين الجهال فان تعظيمهم ليس من الله سبحانه لهم؛ و انما العظمه و الكبرياء فى الحقيقه هما الكرامه التى يلقبها الله على رسله الكرام و القائمين بالقسط من عباده الصالحين. من هنا كان قول الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم: «و رجل ينازع الله رداءه فان رداءه الكبرياء و ازاره العظمه» [٣٣٦]. فالعظمه رداء الله و الكبرياء ازاره ليس لأنه يكتسبهما ولكن لأنه يكسوهما من أراد من عباده المؤمنين الصالحين. أما الذى يعتقد غير ذلك فيكون لنقص عنده و لئله و جدها فى نفسه. - «ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبه تذلله» رغبات الانسان مسموحه له و ليست ممنوعه عليه، لكن هذه الرغبات لها حدود عليه أن يعرفها و يقف دونها. و لا يخفى أن معرفه الحدود تتطلب علما واسعا و فهما عميقا للحياه بكل مالها و عليها (فرحم الله امرأ عرف حده فوقف عنده) فالنقطه الأولى: معرفه الحدود، و النقطه الثانيه: الوقوف عندها دون تجاوزها لأن تجاوزها يذل الانسان و يسقطه فى مجتمعه و الله تعالى يذكرنا أن لا ننسى نصيبنا من الدنيا لكن بحدود فلا افراط و لا تفريط: «و

لا تنس نصيبك من الدنيا» [٣٣٧]. [صفحة ٢٦٤] - «الصدقة محدوده فمن لم تكن فيه تلك الحدود فلا تنسبه الى كمال الصدقه و من لم يكن فيه شىء من تلك الحدود فلا تنسبه الى شىء من الصدقه: أولها: أن تكون سريره و علانيه لك واحده. الثانيه: أن يزيناك زينه و يشينك شينه. الثالثه: أن لا يغيره مال و لا ولايه. الرابعه: أن لا يمنعك شيئاً مما تصل اليه مقدرته. الخامسه: أن لا يسلمك عند النكبات». الصديق الصدوق الذى يصفه الامام الصادق عليه السلام هو الذى تتمثل فيه هذه الصفات مظهره و جوهره واحد، يشعر مع صديقه و يشاركه فى السراء و الضراء، و يحافظ على موقف واحد فى جميع الحالات، و يتعاون مع صديقه بكل ما يقدر عليه و يحفظه عند كل مكروه فمن اكتملت فيه هذه الصفات يمكن أن يتخذ صديقاً. لكن الحياه لا تحلو بدون الأصدقاء المخلصين الأوفياء و ان قلوا فى هذه الأيام. - «طلبت الجنه فوجدتها فى السخاء، و طلبت العافيه فوجدتها فى العزله و طلبت ثقل الميزان فوجدته فى شهاده أن لا اله الا الله محمد رسول الله. و طلبت سرعه الدخول الى الجنه فوجدتها فى العمل لله، و طلبت حب الموت فوجدته فى تقديم المال لوجه الله، و طلبت حلاوه العباده فوجدتها فى ترك المعصيه، و طلبت رقه القلب فوجدتها فى الجوع و العطش، و طلبت نور القلب فوجدته فى التفكير و البكاء، و طلبت الجواز على الصراط فوجدته فى الصدقه، و طلبت نور الوجه فوجدته فى صلاه الليل، و طلبت فضل الجهاد فوجدته فى الكسب للعيال، و طلبت حب الله فوجدته فى بغض المعاصي، و طلبت الرياسه

فوجدتها فى النصيحه لعباد الله، و طلبت فراغ القلب فوجدته فى قله المال، و طلبت عزائم الأمور فوجدتها فى الصبر، و طلبت الشرف فوجدته فى العلم، و طلبت العباده فوجدتها فى الورع، و طلبت الراحة فوجدتها فى الزهد، و طلبت الرفعه فوجدتها فى التواضع، و طلبت العز فوجدته فى الصدق، و طلبت الغنى فوجدته فى القناعه، و طلبت الأانس فوجدته فى قراءه القرآن، و طلبت رضائه فوجدته فى بر الوالدين». [صفحه ٢٦٥] يريد الامام الصادق عليه السلام من المسلم صاحب الأخلاق الرفيعه فى الدنيا و صاحب الدرجه الرفيعه فى الآخره أن يكون بمستوى المطلوب، يسعى بكل طاقته بتنظيف جسده من الشوائب و المعايب ليليق بالروح الطاهره التى أنزلها الله تبارك و تعالى لتكون مصونه نظيفه عند لقاء ربها. لذلك و جب على المسلم المؤمن أن يكون عمله كله لله يحب فى الله و يكره فى الله و يعمل فى سبيل الله و يجاهد فى الله و يصبر على ما يصيبه من مكروه و لا يقنط من رحمه الله. و هذا الحديث كغيره من الأحاديث الحكيمه يعتبر دستورا كاملا فى الحياه العمليه و منهجا صالحا فى الحياه الأخلاقيه و نموذجا عظيما فى الحياه الاجتماعيه. و لا غرو فهو ابن الوصى و حفيد النبى صلى الله عليه و آله و سلم. - «الغضب ممحقه القلب الحليم، و من لم يملك غضبه لم يملك عقله». الغضب نقيض الرضا، و يكون مذموما و محمودا، فالمذموم ما كان فى غير الحق، و المحمود ما كان فى جانب الدين و الحق. و الغضب المذموم من الرذائل الخلقيه التى اذا ما تحكمت فى نفوس الناس و تمنكت من مجتمعاتهم كان لها أسوأ الأثر فى

حياتهم لأنها توهم ما بينهم من روابط المحبه و تمزق عرى الموده بين الأفراد. لذلك جعل الاسلام الحلم من صفات المتقين الذين يستحقون رضوان الله، فلا يستسلمون للغضب بل يكظمون الغيظ و يمسكون ما فى النفس بالصبر حتى لا يظهر له أثر فى نتائج أعمالهم و حسن سلوكهم قال تعالى: «سارعوا الى مغفره من ربكم و جنه عرضها السماوات و الأرض أعدت للمتقين. الذين ينفقون فى السراء و الضراء و الكاظمين الغيظ و العافين عن الناس و الله يحب المحسنين» [آل عمران ١٣٣ - ١٣٤]. و قال الامام على عليه السلام: «اذا أردت امتحان انسان فعائنه عند غضبه لا عند رضاه» و امتلاك الغضب يعود الى الحلم وسعه العقل. قال الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم: «ليس الشديد بالصرعه انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب» [٣٣٨]. [صفحه ٢٦٦] فاذا أردنا مجتمعاً اسلامياً سليماً ينشد الرقى الأدبى و السمو الحضارى علينا أن نتعود على امتلاك أنفسنا عند الغضب فنبتن كل نزوه فىنا يبعثها الانفعال الطارىء فينطلق بها الفم قبل أن يتمحصها العقل، فتجنب بذلك مشاكل لا حصر لها. من هنا حذرنا الامام الصادق من الغضب فقال عليه السلام: «الغضب مفتاح كل شر». - «من استشاره أخوه فلم يحضه النصيح سلبه الله رأيه» على المستشار أن يعرف من يستشير من الاخوان لتكون استشارته مصيبه و فى محلها. و على المستشار أن يكون نصوحاً لمن استشاره فيعطى من ضميره الحى كل ما يعرف من معلومات و ارشادات حول الموضوع الذى أستشير به. أما اذا لم يعط كل ما يعرف أو أنه أعطى قسماً و أخفى قسماً آخر، أو حرف فيما يعطى فيكون قد غش

و أفسد و بذلك فان الله تعالى يسلبه رأيه نتيجة انحرافه عن الحق و غشه فيما يعطى. و فى الاسلام النصيحة واجبه لكل من طلبها. و «من غشنا ليس منا». - «من صدق لسانه زكى عمله، و من حسنت نيته زيد فى رزقه، و من حسن بره بأهل بيته مد فى عمره». فى صدق اللسان زكاه الأعمال، و من زكاه الأعمال النوايا الصادقه و أصحاب النوايا الصادقه يكسبون محبه الناس فى هذا الدار، و رضوان الله عزوجل فى الدار الآخره. و أفضل الأعمال الصالحه البر بالوالدين. - «من دعا الناس الى نفسه وفيهم من هو أعلم منه فهو مبتدع ضال» العاقل هو من عرف مقدار نفسه و مقدار غيره، و من تملك هذه المعرفه نجا من اتهام الناس له لأنه وضع نفسه فيما يجب أن يكون. - «من أخلاق الجاهل: الاجابه قبل أن يسمع، و المعارضه قبل أن يفهم و الحكم بما لم يعلم». كما وصف عليه السلام العاقل عاد فوصف لنا الجاهل لنبتعد عنه، و هو الذى يعطى الجواب قبل أن يسمع أو يعى السؤال و بطبيعته الحال يأتى حكمه خطأ لأن [صفحه ٢٦٧] لسانه كان قبل قلبه. على عكس العاقل الذى وصفه الامام على عليه السلام فقال: «لسان العاقل وراء قلبه». فعلى الانسان أن يفكر فيما يقول ثم يقول ليكون كلامه موزونا سليما. قال أحد الحكماء: «اذا تكلمت بالكلمه ملكتنى و ان لم أتكلم بها ملكتها». و من هنا كانت حكمه الامام الصادق عليه السلام التاليه: - «دعاه الانسان العقل، و بالعقل يكمل، و هو دليله و مبصره و مفتاح أمره» و هذه الحكمه الصادقه تعتمد على القرآن الكريم دستور الانسانيه الخالد. الذى يركز

على العقل و يميز العقلاء فى آيات كثرات نذكر منها (هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون) و أحاديث نبويه كثيره أيضا تمجد العلماء و تعالى مقامهم منها: «العلماء ورثة الأنبياء» فالسلام عليكم يا أهل البيت ورثة الأنبياء. - «من عذر ظالما بظلمه سلط الله عليه من يظلمه و ان دعا لم يستجب له و لم يؤجره الله على ظلامته». السكوت على الظلم لا يجوز و مقاومه الظالمين مفروضه على كل مسلم و من أعان ظالما على ظلمه شاركه فى ظلامته و كتب عند الله من الظالمين و «سلط الله عليه من يظلمه» (و من يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) [٣٣٩] و المؤمن يدعو الله فيستجيب له، أما الظالم فأعماله باطله و اذا دعا لم يستجب الله دعاءه، و لا يغفل عنه. قال تعالى: (و لا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) [٣٤٠]. و من هنا كانت حكمه الامام الصادق التالى: «من ظلم مظلمه أخذ بها فى نفسه أو فى ماله أو فى ولده» فاذا لم تظهر المظلومه فى الظالم نفسه ظهرت فى ماله أو فى ولده جزاء له بهم. - «من كان الحزم حارسه و الصدق جليسه عظمت بهجته و تمت مروته. و من كان الهوى مالكة و العجز راحلته عاقاه عن السلامه و ألماه الى الهلكه». قال الحكماء: خلق الله الملائكه من عقل بلا شهوه، و خلق الحيوان شهوه [صفحه ٢٦٨] بلا عقل، و خلق الانسان من كليهما فمن غلبت شهوته عقله كان شر البهائم، و من غلب عقله شهوته كان خير الملائكه». و صاحب الاراده هو الذى يتحكم بأعماله فيحزم فى أوقات الحزم و يصدق فى جميع أقواله و أعماله،

و عندها يعظم فى أعين القوم و يعيش سعيدا مسرورا. أما الذى يتحكم به هواه و تضعف ارادته أمام مغريات الحياه و مهاجها يتعثر به طريق السلامه و تؤدى به الى الفشل و الخسران. و على العاقل أن يتحكم بالظروف و لا يسمح للظروف أن تتحكم به. - «من زرع العداوه حصد ما بذر» كل انسان يحصد ما يزرع ان زرع الخير حصد خيرا و عاش سعيدا بين أهله و قومه، و ان زرع الشر حصد شر أعماله و عاش حزينا منبوذا. فلنجاهد أنفسنا للتشبه بالأفضال و لنتنافس فى الخيرات [٣٤١].

الحكم السياسيه

- «ثلاثه تجب على السلطان للخاصه و العامه: مكافأه المحسن بالاحسان ليزدادوا رغبه فيه، و تغمد ذنوب المسيئين ليتوبوا و يرجعوا عن غيهم، و تألفهم جميعا بالاحسان و الانصاف». الثواب و العقاب مبدأ تربوى أساسى فى حياه الناس عامه و طلاب العلم خاصه. فمن أحسن فى عمله على المسئول أن يكرمه و يشجعه على الاستمرار فى العطاء. أما المسىء فىكون عبئا ثقيلًا على نفسه و على مجتمعه ولكى يتراجع عن غيه و ضلاله على الحاكم أن ينبهه و يحذره و يتغمد اساءته عله يتوب و يعود الى الطريق المستقيم، و قد يتحول من المسىء الى المحسن بعد تأثير النصيحه فى نفسه. و بذلك يكون الحاكم قد عالج الاثنين معا بالاحسان و الانصاف، لأنه بحكم موقعه يعتبر الأب الحنون الذى يفرح بالمجتهدين الناجحين و يحزن الفشل المسيئين الراسبين فجميع الرعيه له الخاصه و العامه و عليه أن يكون لهم جميعا فلا يفرق بين [صفحه ٢٤٩] قريب أو بعيد أو بين غنى أو فقير، و لا يحقد على أحد فالمحسن يشجعه و يكافئه

والمسىء ينبهه ويرشده. فالموعظه الحسنه تؤثر فى النفس أكثر من الزجر و التهديد. و هنا يلفتنا قول الامام على عليه السلام [٣٤٢] فى وصيه لمالك الأشر على مصر: و أشعر قلبك الرحمه للرعيه، و المحبه لهم و اللطف بهم، و لا تكونن سبعا ضاريا تغتم أكلهم؛ فانهم صنفان: اما أخ فى الدين أو نظير لك فى الخلق! تفرط منهم الزلل، و تعرض لهم العلل، و يؤتى على أيديهم فى العمد و الخطأ، فاعطهم من عفوك و صفحك مثل ما الذى تحب و ترضى أن يعطيك الله من عفوه و صفحه، فانك فوقهم، و لى الأمر عليك فوقك، و الله فوق من ولاك!. فما أحرانا نحن اليوم و فى كل يوم الى تمثل حكامنا بهذه الصفات الحكيمه التى يجب أن يتحلى بها الحاكم من العداله النفسيه، و الثقافه الحقوقيه حتى يتمكن من اقامه العدل بين جميع أفراد الرعيه. و عليه أن يملك هواه و يشح بنفسه و يجعل العداله هدفه و غايته ليعطى كل ذى حق حقه بلا أى امتيازات عرقيه أو اجتماعيه أو مذهبيه. - «صدقه يحبها الله: اصلاح بين الناس اذا تفاسدوا و تقارب اذا تباعدوا» على الحاكم أن يسهر على شؤون رعيته فى جميع أحوالها فيصلح بين القوم اذا ما وقع بينهم خلاف و يطفىء النار قبل أن يستفحل أمرها فيقاصص المعتدى و يرضى المعتدى عليه. أما اذا تباعدوا فى رأى فيسعى بكل جهده ليقرب بين وجهات النظر بعد أن يستمع الى أقوال كل طرف منهم. و بذلك يكون قد حفظ شؤون رعيته و صانها من الزلل فيتماسك أفرادها و يتعاون كبيرهم مع صغيرهم و تعم السعاده بينهم. - «ان المشوره لا تكون

الا بحدودها فمن عرفها بحدودها و الا كانت مضرتها على المستشار أكبر من نفعها: [صفحة ٢٧٠] فأولها أن يكون الذى تشاور عاقلا. و الثانيه: أن يكون حرا متدينا. و الثالثه: أن يكون صديقا مواخيا. و الرابعه: أن تطلعته على سررك، فيكون علمه به كعلمك بنفسك، ثم يسر لك و يكتمه، فانه اذا كان عاقلا انتفعت بمشاورته و ان كان حرا متدينا أجهد فى النصيحة لك، و اذا كان صديقا مواخيا كتتم سررك اذا أطلعته عليه، و اذا أطلعته على سررك فكان علمه كعلمك به، فهناك تمت المشوره و كملت النصيحة». الله تعالى أمر بالشورى بين المسلمين فقال سبحانه: «و الذين استجابوا لربهم و أقاموا الصلاه و أمرهم شورى بينهم..» [الشورى: ٣٨] و المشوره أمر ضرورى و منطقى فى اصابه الحق و تصويب الحقائق لكن لمن تكون المشوره؟. للمشوره حدود نبهنا لها الامام الصادق عليه السلام لتكون صائبه فى محلها فعلى الذين نشاورهم أن يكونوا: عقلاء، أصحاب دين، أصدقاء يحفظون السر لك و يبيحونك أسرارهم. هكذا تكون المشوره الصحيحه التى أرادها لنا الله فى كتابه العزيز أما اذا كانت المشوره لمصالح شخصيه و لغايات سياسيه فانها باطله و لا تثمر ثمار خيره. و التاريخ ملئ بالشواهد نذكر منها: المشوره التى حصلت فى السقيفه أثناء انتقال الرسول الأعظم الى الرفيق الأعلى لم تحصل كما أمر سبحانه و تعالى ثم مشوره عمر بن الخطاب فى تعيين عثمان بن عفان خليفه على المسلمين بعد استشارته سته أشخاص أربعة منهم له؟! - «العدل أحلى من الماء يصيبه الظمان». من المثل العليا فى الاسلام تكليف متبعيه القيام بالعدل بين الناس دون تمييز أو تفريق من ناحيه العرق و الدم و الجنس

و الطائفية و ما الى ذلك من فروق. قال تعالى فى كتابه المجيد: «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله و لو على أنفسكم أو الوالدين و الأقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً» [النساء: ١٣٥]. [صفحة ٢٧١] فهذا أمر الهى أمر به الله تعالى المؤمنين ليكونوا قائمين بالعدل بين الناس، و أن يكونوا مبالغين فى تحرى العدل الخالص لوجه الله بعيدا عن كل غرض دنيوى أو هدف شخصى، حتى ولو كانت هذه الشهادة على أنفسهم، أو على والديهم أو أقرب الناس اليهم. و لم يكتف الاسلام بهذا الحد بل أمر المسلمين بمراعاة قواعد العدل حتى مع أعدائهم قال تعالى: «و لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى» [المائدة: ٨]. و العدل أساس الملك، هدفه صيانة حقوق الانسان ليعيش حياه كريمه عزيزه هائنه تدعو الى العمران و عدم الفساد فى الأرض التى لا يرثها الا عبادالله الصالحون. قال تعالى: «و لقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون» [الأنبياء: ١٠٥] أى الصالحون لكل خير و منه الحكم القائم على أساس العدل و سياسه الشعوب سياسه حكيمه سليمه تهدف رضوان الله العزيز الحكيم. لذلك شبه الامام الصادق طالب العدل كطالب الماء فى حاله الظمأ فكم يكون العطشان مشتاق للماء كذلك المظلوم يطلب الحق و يتعشقه. و تحقيق العدالة بين سائر خلق الله يتطلب على الحاكم أن يذل للحق اذا لزمه. من هنا كان قول الامام الصادق عليه السلام: - «العز أن تذل للحق اذا لزمك»، حدث فى عهد عمر

بن الخطاب أن جاء أحدهم و قدم شكوى للخليفة بحق علي بن أبي طالب. و لما حضر الطرفان الى المحاكمة قال عمر لعلي: تفضل و اجلس يا أباالحسن، و ترك الطرف الآخر. فقال له علي: لا يجوز أن أجلس و خصمى واقف، و لا يجوز كنيته دون الآخر فوافق الخليفة و حكم بين الطرفين متماثلين متعادلين حتى أعطى الحق لصاحبه و كان لصالح علي. هذه هي العدالة في الاسلام. فهل يعمل بها حكامنا اليوم؟ نأمل ذلك، و ذكر ان نفعت الذكرى! - «لا تكن أول مشير، و اياك و الرأي الفطير، و تجنب ارتجال الكلام، و لا تشر على مستبد برأيه، و لا على وغد، و لا على متلون، و لا على لجوج» الرأي [صفحه ٢٧٢] الفطير كالخبز الفطير غير ناضج و غير مخمر فهذا لا يستلذه الطاعمون و ذاك لا يستطيعه السامعون. و كذلك الكلام المرتجل يقذف به صاحبه من لسانه دون أن يشحن بشحنات عقله و عندها يحصل الخطأ و تضام الحقيقه في مهدها. أما الكلام المدروس الصادر عن حكمه و تعقل و وعى و تفكير يصيب به صاحبه القصد و يبلغ الهدف الذى يريد. و لهذا سميت البلاغه لأن بها يبلغ صاحبها هدفه المقصود. و المشوره تقال لأصحابها الذين يستحقونها حتى لا تكون رخيصه و بلا فائده فلا تقال لانسان مستبد برأيه لا يثبت على حال واحد و لا يقف موقفا ثابتا يميل مع الريح و يلبس كل يوم بذله حسب الظروف التى تناسب مصالحه. و لا- تقال المشوره لانسان ملحاح لجوج يستعجلك رأيك و لا يستوعب النتائج فتذهب مشورتك باطلا. - «ثلاثه يحتاج اليها الناس طرا: الأمن، و العدل، و الخصب».

انى أعتقد أن هذه العناصر الأساسيه الثلاثه التى تحتاج اليها الناس طرا متعلقه ببعضها و لا غنى لواحد منها عن الآخره. بالخصب متعلق بالعدل و هذا متعلق بالأمن. فالبلاد الآمنه المستقره يسود فيها العدل بين جميع الناس، و من سياده العدل يأتى الخصب المبارك و الخير العميم. و لا يخلو مجتمع من المجتمعات يرغب فى الحياه الهادئه المطمئنه الا و يحتاج الى هذه العناصر الهامه سويه. - «إذا أراد الله برعيه خيرا جعل لهم سلطانا رحيمًا و وزيرًا عادلًا» على السلطان أن يشعر قلبه الرحمه تجاه رعيته فيساعد الضعيف و يحن على المحزون، و يشارك المهموم فى همومه ليخفف عنه منها حتى تشعر الرعيه و كأنه أب لها يخفق قلبه بالمحبه و الرحمه و العاطفه النبيله. و من واجب السلطان أن يختار وزيرًا عادلًا- ينصف عادلًا القوم دون أى مراعاة بين غنى أو فقير، أو قوى أو ضعيف، أو وجيه أو مواطن عادى فالكل أمام الحق سواء. هكذا يجب أن يكون الوزير ساعد السلطان فى صيانه شؤون الرعيه و مصالحها الخاصه و العامه. فالوزير يحمل مسؤوليات كبرى أمام الناس و أمام الله، و من لم يجد فى نفسه هذه القوه للقيام بمهام الوزاره فليتركها الى غيره من العاملين [صفحه ٢٧٣] الناشطين لأن الوزاره و زرر على عاتق حاملها. و قد طلب نبي الله موسى من ربه عزوجل: «واجعل لى وزيرًا من أهلى، هارون أخى، أشدد به أرزى» [طه: ٢٩]. - «العامل بالظلم و المعين له و الراضى به كلهم شركاء». لما قرر الاسلام العدل يعنى أنه رفض الظلم و شدد على الظالمين. قال تعالى: «و أخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون» [الأعراف: ١٦٥]

والمعين على الظلم و الراضى به كلهم شركاء. و هذا ما حصل فى الماضى فى عصر النبى صلى الله عليه و آله و سلم و بعد عصر النبى و فى عصرنا الحاضر حيث بعض الرؤساء و الحكام العرب يتسابقون الى الظالمين ليعينوهم على ظلمهم بعد أن تفنن هؤلاء فى اجرامهم و ظلمهم الشعوب المستضعفه. لقد نسوا قول الله تبارك و تعالى فى عقاب الظالمين و ما سيلقون من نار جهنم. قال تعالى: «و اعتدنا للظالمين عذابا أليما» [الفرقان: ٣٧] و قال تعالى أيضا: «فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين» [الأنبياء: ٢٩]. - «ان الامامه لا تصلح الا لرجل فيه ثلاث خصال: «ورع يحجزه عن المحارم، و حلم يملك به غضبه، و حسنة الخلافه على من ولى حتى يكون له كالوالد الرحيم». على الامام فى الاسلام أن يكون تقيا ورعا يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الآخرون فورعه فى دينه يمنعه من تجاوز حدود الله المرسومه فى التشريع الاسلامى المنزل من عندالله و ليس من صناعه الأشخاص. و عليه أن يكون حليما يدرس أمور رعيته بحكمه و رويه، يتقبل قضاياهم و يحل مشاكلهم برحابه صدر فيكظم غيظه عند الغضب، و يكلمهم على قدر عقولهم و يعاملهم معاملة الأب الرحيم العطوف. و بذلك يحسن رعايتهم و يمتلك قلوبهم و اطاعتهم. - «وجدنا بطانه السلطان ثلاث طبقات: طبقه موافقه للخير و هى بركه عليها و على الرعيه. و طبقه غايتها المحاماه على ما أيديها فتلك لا محموده و لا مذمومه، بل هى الى الذم أقرب. [صفحه ٢٧٤] و طبقه موافقه للشر و هى مشؤومه مذمومه عليها و على السلطان». لا بد لأى شعب من الشعوب أن يتألف

من طبقات ان فى الماضى أو الحاضر الا أن نوع الطبقات يختلف و كذلك مستوى فهمها للحياه الانسانيه المتطوره. فوجدنا طبقه عاقله كريمه مدركه معنى وجودها و مدى تطلعها للحياه الحره الكريمه. و هذه كلها خير لأفرادها و لمجتمعها. و طبقه ثانيه همها مصالحتها الشخصيه تدافع عنها و لا هم لها سوى ذلك فخيرها محدود لا يزيد عن مصالحها. و طبقه شريره معاديه مشؤومه مؤذيه لنفسها و لمجتمعها. و قد حذرنا الامام الصادق عليه السلام من الطبقة الشريره المشؤومه، و بين لنا صفات الطبقة الثانيه التى لا تفيد الا نفسها و خيرها لا يتجاوز حدودها. و طبقه يفيض خيرها على أفراد مجتمعها. و دعانا لنكون من عدادها نفيد أفراد رعيتنا و نفيد الناس جميعا بكل ما عندنا من طاقات. هذا الحديث الصادقى ذكرنى بحديث نبوى شريف يقول: الناس ثلاثه أصناف و هم كالأرض: ١- منها أرض رمليه تشرب الماء كله لنفسها فلا تفيد غيرها من الناس و خيرها محصور بها دون سواها. ٢- و منها أرض قيعان صلبه تحجز الماء و لا تشربه بل يبقى محصورا مده من الزمن حتى يتبخر و ينتهى فهى بذلك لا تفيد و لا تستفيد. ٣- و منها أرض خصبه تشرب الماء فتحى به الزرع و يستفيد منها كل الناس فتستفيد و تفيد، و كذلك هم الناس فى شتى المجتمعات. و ما نلفت اليه أن الطبقة الموافقه للخير، و هى برکه عليها و على الرعيه و موافقه للسلطان فى الوقت نفسه، فمن هو السلطان و ما هى صفاته لكى تطيعه و تكون برکه على الرعيه؟ بلا ريب و لا شك هو السلطان الذى وصفه الامام الصادق عليه السلام فى أكثر من موقع.

فقال عليه السلام: [صفحہ ۲۷۵] «هو من كان الحزم حارسه و الصدق جليسه...» و قال عليه السلام أيضا: السلطان الذى يهتم بأمور المسلمين: «من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم» و هذا انطلاقا من قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم و من سمع رجلا ينادى للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم» و قال عليه السلام فى صفات السلطان أو الحاكم: «ورع يحجزه عن المحارم، و حلم يملكك به غضبه، و حسن الخلافه على من ولى حتى يكون له كالوالد الرحيم». هذه هى صفات الحاكم الذى يجب على الطبقة الخيره أن تطيعه و تتعاون معه.

الحكم النفسى

و قال عليه السلام فى وصف النفس البشرى المتلون به ألوان الحياه و المتغيره بحسب الظروف الصافيه حينا و المتعكره أحيانا مما يؤثر فى حياه الفرد فيعمد مره الى التعويض و مره أخرى الى التصعيد. من هذه الحكم النفسى الصادقه قال عليه السلام: - «لا يطمعن ذو الكبر فى الثناء الحسن، و لا الحب فى كثرة الصديق، و لا السىء الأذب فى الشرف، و لا البخيل فى صله الرحم، و لا المستهزىء بالناس فى صدق الموده، و لا القليل الفقه بالقضاء. و لا المغتاب فى السلامه، و لا الحسود فى راحه القلب، و لا المعاقب على الذنب الصغير فى السؤود، و لا القليل التجربه المعجب برأيه فى الرياسه». فى التشريع الاسلامى الرجل المناسب فى المكان المناسب، و طالب الولايه لا يولى و يعطى كل ذى حق حقه و لا مجال للتدخلات السياسيه أو القبليه من بعيد أو قريب. لذلك حذرنا الامام الصادق عليه السلام من الأخذ بالمظاهر و التأكيد على الجوهر الخالص: فالثناء الحسن لا

يقدم و لا- يؤخر في النفوس الكبيره، و كثره الأصدقاء لا- تزيد [صفحه ٢٧٦] في ماهيه الحب، و صدق الموده لا- تؤثر في المستهزى ء بالناس و كذلك صله الرحم بالبخيل، و القضاء بجاهل الفقه، و السلامه في المغتاب، و راحه القلب في الحسود، و لا السؤود على المعاقب على الذنب، و لا المعجب برأيه في التسلط و حب الرياسه. و الأصل يبقى الأصل و الشجره الطيبه أصلها ثابت و فرعها في السماء، و لا تتأثر اذا رشقها المفسدون بالحجاره. - «لا يصلح من لا يعقل، و لا يعقل من لا يعلم، و الصدق عز، و الجهل ذل، و الفهم مجد، و الجود نجاح، و حسن الخلق مجلبه للموده، و العالم بزمانه لا- تهجم عليه اللوابس، و الحزم مشكاه الظن، و العاقل غفور و الجاهل ختور؛ و ان شئت أن تهان فاخشن، و من كرم أصله لان قلبه، و من خشن عنصره غلظ كبده، و من فط تورط و من خاف العاقبه تثبت». العلم أساس العقل و العقل أساس كل صلاح، و لا عز للجاهل و لا مجد، و الكرم صفه نفسيه ترفع من قدر صاحبها و تجلب له الموده. و الأصل الكريم يلين الطبع أما الطبع يغلظ الطبع الخشن و يفسد القول و خير الأمور أوسطها فلا- افراط و لا- تفريط و من حاسب نفسه سلم. - «لا تعتد بموده أحد حتى تغضبه ثلاث مرات» الغضب نقيض الرضا رذيله من الرذائل الخلقيه التي نهى عنها الاسلام، لذلك جعل الحلم من صفات المتقين الذين يستحقون رضوان الله فلايستسلمون للغضب بل يكظمون الغيظ و يمسكون ما في النفس من الغضب بالصبر. و الغيظ هو أعلى درجات

الغضب. و الرسول الأعظم عد امتلاك الغضب من المجاهده و من امارات البطوله قال صلى الله عليه و آله و سلم: «ليس الشديد بالصرعه انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب» [٣٤٣]. و قال الامام على بن أبى طالب عليه السلام: «اذا أردت امتحان انسان فعائنه عند غضبه لا عند رضاه» لأن الانسان فى حاله الغضب حاكم جائر غير منصف فهو لا يرى وقت غضبه صوابا لذلك تأتي أحكامه بعيدة عن الحق و قد جعل الاسلام العفو [صفحه ٢٧٧] من صفات المؤمنين، و خاصه عند الغضب قال تعالى: «و الذين يجتنون كبائر الاثم و الفواحش و اذا ما غضبوا هم يغفرون» [الشورى: ٣٧]. و قال لقمان الحكيم: «ثلاثه لا تعرفهم الى فى ثلاثه: لا تعرف الحلیم الا عند الغضب، و لا الشجاع الا عند الحرب، و لا تعرف أخاك الا اذا احتجت اليه». لذلك نبهنا الامام الصادق عليه السلام أن لا نعتد بموده أحد من الناس حتى تغضبه، فعند ذلك نعرفه على حقيقته. فيكون الغضب ميزان المعرفه الصحيح و محك الاخوان الدقيق. - «ليس لك أن تأمن الخائن و قد تجربته و ليس لك أن تتهم من ائتمنت». على العاقل أن يتروى فى اختيار الاخوان و تجربته لهم أكبر برهان لصدقهم فى سلوكهم و معاملاتهم. و بعد تجربته يتبين الخائن من الأمين، فالأول لا مجال للتعامل معه و الثانى يتروى فى اصدار الحكم عليه قبل اتهامه. من هنا كان قول الامام على عليه السلام: «ترو فى اختيار الصديق و ترو فى تركه». و الامام الصادق قد حذر من الخائن بعد تجربته فى أكثر من موقع فقال فى حديث آخر: «احذر من الناس ثلاثه: الخائن، و النمام، و

الظلم ثم وضح لنا الأسباب: «لأن الخائن كما خان غيرك يخونك، و من نم اليك سينم عليك، و من ظلم لك سيظلمك». لقد وضع الخيانه فى الدرجه الأولى ثم النميمه ثم الظلم، ثلاث صفات من الرذائل نهى عنها الاسلام و عاقب عليها. - «المغرور فى الدنيا مسكين، و فى الآخره مغبون، لأنه باع الأفضل بالأدنى، و لا تعجب من نفسك فربما اغتررت بمالك و صحه جسدك لعلك تبقى، و ربما اغتررت بطول عمرك و أولادك و أصحابك لعلك تنجو بهم، و ربما اغتررت بجمالك و اصابه مأمولك و هواك فظننت أنك صادق و مصيب و ربما اغتررت بما ترى من الندم على تقصيرك فى العباده، و لعل الله يعلم من قلبك بخلاف ذلك، و ربما أقمت نفسك على العباده متكلفا و الله يريد الاخلاص، و ربما توهمت أنك تدعو الله و أنت تدعو سواه، و ربما حسبت أنك ناصح للخلق و أنت تريدهم لنفسك، و ربما ذممت نفسك و أنت تمدحها على الحقيقه». [صفحہ ۲۷۸] من الصعب أن يغش الانسان الناس و الأدهى أن يغش نفسه، و هذه هى حال المغرور الذى لا يقدر وزنا صحيحا لنفسه و لا يضع نفسه فى المكان الذى يستحق. فهو مسكين فى الدنيا لكره الناس له، و مغبون فى الآخره لبعده عن الحق و الرشاد. فبعض الناس يغترون بمالهم حيث يقدرون كل الأمور حتى المعنويه منها بالمال، فيتوهمون أنهم يستطيعون شراء الضمائر كما يشترون السلع من الأسواق. و البعض الآخر يغترون بصحتهم الجيده و لا يفكرون أنها صائره الى الهلاك و الفناء «كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذوالجلال والاکرام» [الرحمن: ۲۶]. و البعض يغتر بأولاده

و كثره أصحابه، ان كل ذلك لا يفيد شيئا كما يتوهم الملوك و أرباب العشائر و القبائل و نسوا أو تناسوا وعد الله للذين آمنوا و عملوا الصالحات أن لهم الجنة. قال تعالى: «و بشر الذين آمنوا و عملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار» [البقره: ٢٥]. و قال تعالى أيضا: «و بشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا» [الاسراء: ٩] و كثير من الآيات التي تركز على الأعمال الصالحات. و قد يغتر البعض أنهم يصيرون في كل ما يقولون و ما يحبون ولا يعيرون وزنا لنقد الناس لهم فتأتى أقوالهم مغاليه و أعمالهم مبتوره. و البعض يغتر بمظاهر العباده فيتكلف و يتصنع و يتظاهر بخلاف ما يضممر في نفسه متناسيا أن الله تعالى يعلم ما تكن الصدور و أنه أقرب اليه من جبل الوريد. و البعض يحسب نفسه مرشدا صالحا للناس و هو يريدهم لخدمته و مصالحه متوهما أنهم ضعفاء جاهلون فيبدو و كأنه يذم نفسه و هو يمدحها، لأسن من مدح نفسه ذمه الناس، و من جهل حدود نفسه وقع في النقصان و العمل الصالح هو الميزان الصحيح لتقدير الناس في الدنيا و الآخره. - «من وقف نفسه موقف التهمه فلا- يلومن من أساء الظن به. و من كتم سره كانت الخيره بيده، و كل حديث جاوز اثنين شاع، وضع أمر أخيك على أحسنه، و لا- تطلبن بكلمه خرجت عن أخيك سوءا و أنت تجد في الخير لها محملا، و عليك باخوان الصدق فانهم عده عند الرخاء و جنه عند البلاء، و شاور في حديثك الذين [صفحه ٢٧٩] يخافون الله و أحب الاخوان على قدر التقوى، و اتق

خيار النساء و كن من شرارهن على حذر، و ان أمرن بكم فى المعروف فخالفوهن حتى لا يطمعن منكم فى المنكر». العاقل هو من ابتعد عن مكان التهم و صان نفسه من الرذائل، لأن الذى يعاشر الأشرار يكن منهم، و ان لم يكن منهم اتهم من قبل الأخيار. و من كتم سره بقى أمره بيده و خلص من نقد الناس له، و عليه أن لا يطلب أخيه فى كل أعماله بل يترك له مخرجا على يعود عن غيه. كما عليه أن يحسن اختيار الأصدقاء المخلصين لأنهم عدو له عند السراء و الضراء. و اذا أراد المشوره فليشاور أهل الدين لأنهم صادقون مخلصون لا- يضمرون الا- الخير للبعيد و القريب. أما النساء فحذر الامام من خيارهن متخذا قول جده أميرالمؤمنين الامام على بن أبى طالب قاعده أساسيه له، ثم أمر بمخالفتهن حتى لا يطمعن فى المنكر.

الحكم الاقتصاديه

و فى العلوم الاقتصاديه كان للامام عليه السلام جولات موفقه نذكر بعضها على سبيل الذكر لا الحصر. فقال: - «ان السرف يورث الفقر و ان القصد يورث الغنى». الا أن بين الاسراف و البخل رتبه اذا زاد أحدهما على الآخر وقع فى النقصان فمن صرف دون أن يحسب وقع فى الفقر دون أن يدري، و من يبخل على نفسه و على عياله خوفا من الفقر فقد فعل الفقر و عاش عيشه الفقراء و أفضل حل فى هذا المجال هو الاقتصاد ننفق على أنفسنا ما نحتاجه و نقتصد الباقي لحين الحاجه اليه، و كما يقول المثل: القرش الأبيض لليوم الأسود. و الانفاق فى الاسلام يجب أن يكون فى سبيل الله و على مصالح الطبقة المحتاجه و قد رغب القرآن فى هذا الانفاق

لأنه فضيله ساميه يقضى على الفوارق الاجتماعيه فى الدنيا و يكسب مرضاه الله فى الآخره. قال تعالى: [صفحه ٢٨٠] «مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبه أنبتت سبع سنابل فى كل سنبله مائه حبه والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم» [البقره: ٢٢٦]. كما وصف الله الانفاق فى سبيل الله تجاره رابحه تنفع صاحبها فى الدنيا و الآخره. قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجاره تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون فى سبيل الله بأموالكم و أنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون» [الصف: ١١ - ١٠]. فهذه التجاره العظيمه لا تبور و هى التى تعاطاها المجاهدون المؤمنون أيام النبی صلی الله علیه و آله و سلم فى حروبه ضد المشركين و الكفار و التى يخوضها اليوم المجاهدون فى جنوب لبنان و فى البقاع الغربی حیث يجاهدون بأنفسهم من أجل كرامه المسلمين و الحفاظ على الأرض الاسلامیه من اليهود المعتدين الآثمین فبوركت سواعدهم و بورك نضالهم. و لنوجه أموالنا حیث يجب الله أن یوجه قال الامام الصادق علیه السلام: - «انما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجهوها حیث و جهها الله عزوجل لم یعطكموها لتكثروها». ان من یكتر المال و لا ینفقه حیث أمر الله سبحانه و تعالى یقع فى اثم کبیر یجازى علیه جزاء عسیرا. قال تعالى: «و الذين یكثرون الذهب و الفضة و لا ینفقونها فى سبیل الله فبشرهم بعذاب أليم» [التوبه: ٣٤]. - «الدين غم فى الليل و ذل فى النهار». غم فى الليل لأن صاحبه لا ینام و اذا نام لم یهنا فى نومہ یتقی قلقا مهموما و ذل فى النهار:

من مطالبه الناس له و طرق أبوابه مما يجعله خجلا- ذليلا و لا يخفى أن الحياء من الدين كما قال الامام الصادق: «مقرونان معا فاذا ذهب أحدهما اتبعه الآخر». فالذى يعمل حساباته بدقه و يحسن التوفيق بين المصروف و المدخول لا يقع فى هم الدين و لا يغتم فى الليل و يذل فى النهار بل (يمد رجليه قدر بساطه) و لهذا قال الامام الصادق للذين يخافون الفقر: [صفحه ٢٨١] - «ضمنت لمن اقتصد أن لا- يفتقر» و عمليه الاقتصاد عمليه واسعه الجوانب عميقه الأبعاد لها قواعدها و أصولها العلميه يتقنها أصحاب الاختصاص الذين يعرفون طرق زياده الانتاج فى الزراعه و الصناعه و التجاره، و طرق توزيع الانتاج فى الأمكنه المناسبه و المقادير المناسبه، و تصدير الفائض و حمايه المحصول حتى يحافظ على سعره فى السوق المحلى و الأسعار الخارجيه. فالدوله التى تدرس اقتصادها دراسه علميه صحيحه فتعمل على زياده انتاجها و تساعد العاملين فى هذا المجال و تحمى أسواقها من الغزو الخارجى لايمكن أن تقع فى حبال الفقر و تعيش سعيده موفوره الكرامه. - «كسب الحرام يبين فى الذريه» وضع الاسلام نظاما اقتصاديا عادلا- فمنع الغش و عين مقادير الكسب و بين التجاره الحلال و نهى عن التجاره الحرام. كالربا مثلا الذى اعتبره منكرا اقتصاديا غليظ الاثم لأنه يتنافى مع تعاليم الاسلام الانسانيه. و مال الربا هالك ممحقوق لا يعطى و لا يثمر و هو كسب حرام ان لم يبين فى المرابى عاجلا- يبين فى ذريته آجلا- قال تعالى: «يمحق الله الربا و يربى الصدقات» [البقره: ٢٧٦] [٣٤٤]. و قد حرم الاسلام الربا تحريما قاطعا. قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله

و ذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله و رسوله، و ان تبتم فلکم رؤوس أموالکم لا تظلمون و لا- تظلمون. و ان كان ذو عسره فنظره الى ميسره و أن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون» [البقره: ۲۷۸ - ۲۸۰] و الرسول الأَـعظم لعن آكل الربا و موكله و كاتبه و شاهديه و قال: هم فيه سواء [۳۴۵]. و سبب تحريم الاسلام للربا لأنه يوهن العلاقات الاجتماعيه و يسبب العداوه و البغضاء بين الأفراد، فيفقد التعاون بينهم، و تنضب المحبه من قلوبهم، و يولى الاخلاص الى غير رجعه، و يندب الوفاء حظه على هذه الحاله المزريه، و تصرخ المروءه صرختها المدويه لتحمل عصاها و ترحل الى مكان آخر يقدرونها الناس حق [صفحه ۲۸۲] قدرها. و هذا ما يحصل فى عصرنا الحاضر عصر التكالب على الماده و جمع المال، بعيدا عن الشفقه و الشعور الانسانى الذى أودعه الله فى قلوب المؤمنين: «و ان كان ذو عسره فنظره الى ميسره». فى هذا الزمن التعيس عندما قال: العفاف غطونى بورق التين، و قالت النذاله زينونى بالوسامات، و قال الشر: ألبسونى ملابس الصلاح، و قال الخداع: ضعوا رداء الاخلاص على كتفى، و قالت الخيانه، ضعوا تاج الأمانه على رأسى. و قال الغش: ألبسونى رداء التواضع. قال الحق عندها: اتركونى عريانا فانى لا أخجل! [۳۴۶] و الدين الاسلامى دين يسر و ليس دين عسر، و هو يحث على التصدق بالعفو عن المعسر، و كل انسان يمر بحالات مختلفه فيها اليسر و فيها العسر، و هكذا هى الحياه بشتى ألوانها. - «كل ذى صناعه مضطر الى ثلاث خلال يجتلب بها

الكسب: أن يكون حاذقا بعمله، مؤديا للأمانه فيه، مستميلا لمن استعمله» بعد أن حرم الاسلام الكسب الحرام عين الكسب الحلال و شجع عليه. ثم وضع شروطا له. فعلى الصانع: «أن يكون حاذقا بعمله» اتقان العمل واجب في التشريع الاسلامي، و هذه نظره حضاريه متطوره ترفع من شأن الأوضاع الاجتماعيه و تساعد على نموها. قال الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم: «من أراد منكم عملا فليتقنه» و الاتقان هو أعلى درجات الحذق في العمل. و الشرط الثاني للصانع المسلم: أن يؤدي الأمانه في عمله. الغش في العمل حرام، و الصانع الذي يغش ليس بمسلم. قال الرسول الأعظم «من غشنا ليس منا» فبعد الاتقان، الأمانه في العمل ليحافظ على شرف العمل و معامله الناس معامله حسنه و صريحه لا لبس فيها و لا خداع. و من يعمل بهذه الشروط، يتقن عمله بحذق و يؤديه بأمانه، يستميل الناس اليه يحببهم فيه. و بذلك يكسب مالا حلالا في هذه الدنيا، و يكسب رضوان الله عليه في الآخره. [صفحه ٢٨٣] - «ان من بقاء المسلمين و الاسلام أن تصير الأموال عند من يعرف حقها، و يصنع فيها المعروف، و ان من فناء الاسلام و المسلمين أن تصير الأموال في أيدي من لا يعرف فيها الحق، و لا يصنع فيها المعروف» فيا سبحان الله! الامام الصادق امام كل زمان، فلو كان بيننا اليوم و رأى كيف يتصرف المسلمون العرب بأموالهم فماذا يقول!! المال سلاح خطير جدا في بناء المجتمعات المتحرره، فهو ذو حدين: فاذا كان في أيدي المسلمين المخلصين الذين يحصلون المال الحلال و ينفقونه بالطرق الحلال، ففي ذلك بقاؤهم و بقاء الاسلام. أما اذا حصلوه بطرق

غير شرعيه كالقمار و تجاره المخدرات و غير ذلك من الطرق التي حرمها الاسلام، ثم وضعوه في أيدي أعداء الاسلام الذين يكيدون المكائد للمسلمين، فبعمله هذا يكون قد ساهم في فناء الاسلام و المسلمين. كما هو حاصل اليوم حيث نرى أصحاب الأموال المقنطره من العرب يضعون أموالهم في المصارف الأمريكية و الأوروبية فيفيدون بها أعداء الاسلام و يحرمون من نفعها اخوانهم في الدين و المصير!! فكان الأولى بهم أن يقيموا بأموالهم المكنوزه هذه مشاريع انمائه في البلاد الاسلاميه فيفيدون و يستفيدون. - «انما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجهوها حيث وجهها الله و لم يعطكموها لتكنزوها». أنعم الله على عباده بنعم لا- تحصى منها المال، و هو وسيله هامه من وسائل العيش و الانماء. و المال في الاسلام هو مال الله و صاحب المال يحوله كيفما شاء لكن بشروط، أهمها: مرضاهالله عزوجل. فاذا وجه هذه النعمه وجهها الصحيح و المشروع في العمل الحلال و الربح الحلال كسب رضى الله و بالتالى رضى عبادالله المحتاجين فقد يقوم بمشاريع انتاجيه مفيده للمسلمين، في الزراعه أو الصناعه أو الزراعه فيستفيد العامل المسلم و رب العمل في الوقت نفسه ربحا حلالا زلالا لا مشوبه فيه. أما اذا اكتنز المال في خزائنه خوفا من الفقر فكأنه يحرم نفسه و يحرم غيره من اخوانه العمال المسلمين الذين تنتظر سواعدهم القويه وهممهم العاليه هذه النعمه الهامه. و قد نبه الله عزوجل المسلمين الأغنياء من اكتناز المال و عاقب عليه [صفحه ٢٨٤] فقال تعالى: «.. الذين يكتزون الذهب و الفضه و لا- ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم تحمى بها جباههم و جنوبهم و ظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم

فذوقوا ما كنتم تكتزون» [التوبه، ٣٤ و ٣٥] لذلك وضع الاسلام الحل المناسب فشرع الزكاه اختبارا للأغنياء و مساعدته للفقراء. فقال الامام الصادق عليه السلام: - انما وضعت الزكاه اختبارا للأغنياء، و معونه للفقراء، و لو أن الناس أدوا زكاه أموالهم ما بقى مسلم فقيرا محتاجا، و لا مستغن بما فرض الله عزوجل عليه. و ان الناس ما افتقروا و لا احتاجوا و لا جاعوا الا بذنوب الأغنياء، و حقيق على الله عزوجل أن يمنع رحمته ممن منع حق الله في ماله، و أقسم بالله الذى خلق الخلق و بسط الرزق، أنه ما ضاع مال فى بر و لا فى بحر الا بترك الزكاه، و أن أحب الناس الى الله عزوجل أسخاهم كفا، و أسخى الناس من أدى زكاه ماله، و لم يبخل على المؤمن بما افترض الله عزوجل لهم فى ماله. «الزكاه فى التشريع السلامى صدقه، و فى اللغه تعنى: الطهاره و سمي الله الصدقه المفروضه زكاه لأنها تطهر النفس. قال تعالى: «خذ من أموالهم صدقه تطهرهم و تزكيهم بها» [التوبه: الآيه ١٠٣] تطهر نفوسهم من أرجاس البخل و الأثره و الطمع و الزكاه حق معلوم للمحرومين عند الأغنياء، قال تعالى: «و الذين فى أموالهم حق معلوم للسائل و المحروم» [المعارج: ٢٤ - ٢٥]. و قد شدد الاسلام على الزكاه فجعلها مع التوبه من الشرك. قال تعالى: «فان تابوا و أقاموا الصلاه و آتوا الزكاه فإخوانكم فى الدين» [التوبه: ١١] فقد اقترنت الزكاه بالصلاه دائما، لأن الصلاه عمود الدين و الزكاه قنطريته، ن عبر عليها نجا. و للزكاه أثر جليل على المجتمع، فمن مظاهرها التكافل الاجتماعى و الأخوه الانسانيه، فعدم استئثار الفرد على أخيه بما

يكون أحوج اليه منه، يشيع عداله اجتماعيه رفيعه المستوى، عداله تنبع من داخل الفرد و لا تفرض عليه، فهو يشعر أن ما فى يده يجب أن يسخره بدافع شخصى لقضاء حاجه أخيه، لأن الأخوه هى الرباط الوثيق الذى يجمع أفراد المجتمع و يجعل منهم جسما واحدا، اذا أصيب [صفحه ٢٨٥] أحد أعضائه تداعت له سائر الأعضاء بالحمى و السهر. و الأخوه بلا ريب أرفع شأننا من المال، و ما جعل المال الا صونا لها و عندما يشعر الطرف الآخر الذى يعطى أن فى يد أخيه لقضاء حوائجه يكون بلا ريب أدعى فى نفسه للحفاظ عليه و يحب الازدياد بين يديه بلا طمع أو غيره أو حسد. و عندما يكون المال للجميع دون مفاضله أو منه، يتحقق عندها التوازن الاجتماعى، و تزول الفوارق بين الأفراد فيذهب الفقر و يختفى الفقراء على الأرض الاسلاميه. فالزكاه بمفهوم الامام الصادق و الشرع الاسلامى تقوم بأداء دور السماواه و تحقيق العداله الاجتماعيه، حتى يكون الناس طبقه واحده لا يفضل أحدهم على الآخر الا بصفاته الشخصيه الموهوبه له تكوينيا لا تشريعا. أما روح الزكاه فهى عدم الاستئثار على الأخ بما هو أحوج اليه، فتقوم الفريضة بتأديه هذا الدور فى الحدود الممكنه، لأن المال مال الله جعل خواتيمه فى الأرض لصالح عباده، فلا فضل لمجتميه الا- فى ايصال ما ائتمن عليه. و الزكاه حق مفروض فى المال غير متروك لوجدانيات الأفراد و لا لمدى احسانهم، حق تأخذه الدوله و تقاتل عليه، و ليس احسانا فرديا من يد الى يد، و من متفضل عليه. فالمطلوب من المسلمين العرب الأغنياء أن يتقيدوا بأحكام الله و يؤدوا الزكاه ابتغاء وجه الله و ليس من

غرض خاص قال تعالى: «و ما تنفقون الا ابتغاء وجه الله و ما تنفقوا من خير يوف اليكم و أنتم لا تظلمون» [البقره: ٢٧٢].

الحكم العلميه

- «أطلبوا العلم و لو بخوض اللجج، و شق المهج». قالوا: العلم نور يهتدى به أهل البصائر الى سواء السبيل، و العلم غذاء الروح يحييها و يمتعها و يرقى في مدارج الحياه السعيده. و بالعلم تخلص الانسان من خشونه الحياه الجاهليه و عرف حدوده و نظم حياته و وسع أفقه، و أدرك مسؤوليته، و كسب حرите، و علم حقوقه في الحياه الكريمه. و بالعلم عرف الانسان ربه و اهتدى الى الدين الحنيف: قال تعالى: «انما يخشى الله من عباده العلماء» [فاطر: ٢٨]. [صفحه ٢٨٦] لأن العلماء قد اهتدوا الى سواء السبيل بنور علومهم فخافوا الله و كأنه يراهم في حركاتهم و سكناتهم، فكسبوا رضاه و اطمأنوا في حياتهم. و العلماء ورثه الأنبياء فبعد أن كسبوا رضوان الله كسبوا أيضا محبه الناس و احترامهم و تقديرهم، فكانوا مميزين في مجتمعهم جباههم عاليه و أياديهم بيضاء و روائح أعمالهم عطره جملها العطاء و جللها الثناء. قال تعالى: «قل هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون» [الزمر: ٩] و قال الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم: «العلم فريضة على كل مسلم و مسلمه» و قال الامام على عليه السلام: «اطلب العلم من المهد الى اللحد». و هذا ما دفع بحفيده الى القول: اطلبوا العلم و لو بخوض اللجج و شق المهج. و بعد أن حرض الامام الصادق عليه السلام على طلب العلم و بذل الجهود في تحصيله أكد على كيفية تحصيله فقال: - «ان هذا العلم عليه قفل و مفتاحه

السؤال». العلوم مسجونه في خزائن أصحابها و لا- يمكن الحصول عليها الا بسؤال طلابها. فمن أراد معرفه عليه بالسؤال، ولكن عليه أن يعرف كيف يسأل و من يسأل و ماذا يسأل؟ فطلاب العلم يأخذون علومهم من أصحابها المعروفين، و من مكامنها الصالحه. و على العلماء أن يعلموا طلابهم لوجه الله ليفيدوا اخوانهم و يسعدوا مجتمعهم. أما العالم الذى يعلم و يخبىء مفاتيح علومه فكأنه لا يعلم و يصبح كالغنى البخيل يكثر أمواله فلا يستفيد و لا يفيد. و علينا أن نكون كما يريدنا الامام الصادق أنهارا فياضه تجرى باستمرار لينهل منها كل المتعطشين لكسب العلوم بشتى أنواعها. فلا نبخل بسؤال ما نعلم، و لا نتذمر من أسئله الطالبين. نجيبهم برحابه صدر و نهتم بجميع أسئلتهم الكبيره و الصغيره حبا بهم و عطفاً عليهم. - «طلبه العلم على ثلاثه أصناف: فاعرفهم بأعيانهم و صفاتهم: ١- صنف يطلبه للجهد و المراء. [صفحه ٢٨٧] ٢- و صنف يطلبه للاستطاله و الختل. ٣- و صنف يطلبه للفقه و العقل. فصاحب الجهد، و المراء متعرض للمقال فى أندية الرجال يتذاكر العلم، و صفه الحلم، قد تسربل بالخشوع، و تخلى عن الورع فصدق الله من هذه خيشومه. و صاحب الاستطاله و الختل: ذو خب و ملق، يستطيل على مثله من أشباهه و يتواضع للأغنياء من دونه. و صاحب الفقهِ و العقل ذو كآبه و حزن يعمل و يخشى، و جلا داعيا مشفقاً على شأنه، عارفاً بأهل زمانه، مستوحشا من أوثق اخوانه». التاريخ يعيد نفسه و ما كان فى عصر الامام الصادق نجده اليوم فى مجتمعنا نجد الناس مختلفين فى نشأتهم و مواهبهم و أهدافهم. فمنهم من يطلب العلم ليتفاخر به و يقال

عنه أنه من المتعلمين. و صنف آخر يطلبه ليميز به عن أقرانه و يظهر أمام أفراد مجتمعه متعاليا. و صنف ثالث يطلب العلم ليكتسب معرفه و ينور قلبه بالايمان، و يغذى فكره بالمعرفه العلميه يصلح بها نفسه و يفيد غيره من اخوانه مشفقا عليهم عارفا بأحوالهم، مستوحشا من أوثق العناصر فيهم. - «العاده على كل شىء سلطان». يقول علماء النفس العاده طبيعه ثانيه، لأن من اعتاد على شىء ألفه و أحبه، و من أحب شيئا تعلق به و أصبح جزءا من كيانه لا يقدر على تركه أو البعد عنه و بذلك تتسلط العاده على نفسه و يصبح أسيرها. و لا يخفى أن بعض العادات سيئه تؤذى صاحبها بعد أن تجرفه فى تيارها و عندها قد يحاول الرجوع الى الشاطىء فلا يقدر على العبور. و بعض العادات حسنه تفيد الانسان و ترفع من شأنه و تجعله محبوبا بين أفراد مجتمعه لا ينغص له عيش و لا يرفض له طلب و كأنه يفيدهم باحسان على حد قول أبى الطيب المتنبي: و قيدت نفسى فى ذراك مجبه و من وجد الاحسان قيذا تقيدا [صفحه ٢٨٨] لكن صاحب الاراده القويه يحد من سلطان العاده عليه و يتحرر الى حد من السيطره عليه. و مقاومه هوى النفس خلق من أخلاق الاسلام العظيم و قد عظم الله تعالى و نوه بشأن من يفلح فى مقاومه هواه: «و أما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى، فان الجنة هى المأوى» [النازعات: ٤٠ - ٤١]. - «لو يعلم السائل ما عليه من وزر ما سأل أحدا أحدا، و لو يعلم المسؤول اذا منع، ما منع أحد أحدا». يذكر الامام الصادق عليه السلام

السائل و المسؤول بما عليهم من واجبات تجاه أنفسهم فيقول للسائل: ان عليه وزرا كبيرا اذا سأل من غير حاجه، و كذلك على المسؤول اذا امتنع عن العطاء و هو قادر عليه... و يقول عليه السلام للمسؤول أن يفتح باب خزائنه على مصراعها فلا يمتنع عن اجابه أى سائل بل يجيب بكل ما يعلم برحابه صدر و بشاشه وجه حبا بالعطاء. و بهذا تتكامل الحياه و يسعد الانسان. -«من سأل من غير حاجه فكأنما يأكل الجمر». - لأنه يتعود على الكسل، و يكون عضوا عاطلا- في المجتمع، و أكثر من هذا فهو بسؤاله يحرم المستحقين الذين يجب ان يتفقدهم الأغنياء. و قد أعطانا جميع الحالات للسائل و المسؤول و طريقه طرح السؤال، و أفاد بها جميع الخلق. - ان الله يحب معالي الأمور و يكره سفاسفها». فمن منا أراد العطاء عليه أن يعطى أفضل ما عنده من عطاء و أجود ما يعلم من المعارف. و لا يمكنه ذلك الا أن يتقن عمله اتقانا كاملا حتى يكون عطاؤه محمودا. و بذلك يكون الامام قد نبه المسلمين على الجوده في صناعاتهم و اتقان أعمالهم و كأنه يذكرنا بحديث جده الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم: «من عمل منكم عملا- فليتقنه» و لا- ريب أن الاتقان هو أعلى درجات الأمور التي أحبها الله لعباده الصالحين. [صفحه ٢٨٩] - «القضاء أربعة: قاض قضى بالحق و هو لا يعلم أنه الحق فهو في النار. و قاض قضى بالباطل و هو لا يعلم أنه باطل فهو في النار. و قاض قضى بالباطل و هو يعلم أنه باطل فهو في النار. و قاض قضى بالحق و هو يعلم أنه

الحق فهو فى الجنة. المعرفة أمر ضرورى لجميع القضاء و الأمر الضرورى أيضا اقتران المعرفة مع الضمير الحى. فمن علم و لم يعلم أنه عالم فهو جاهل. و من لا- يعلم و لا- يعلم أنه لا- يعلم فهو فى قمة الجهل، أما الذى يعلم و يعلم أنه يعلم فهو فى قمة المعرفة و بذلك يكسب رضى الله و رضى الناس معا.

الحكم الفلسفيه

- «دراسة العلم لقاح المعرفة و طول التجارب زياده فى العقل، و الشرف و التقوى و القنوع راحة الأبدان». عن طريق العلم يتكسب الانسان معارفه، و كما تتلصح الأزهار لتثمر و تنتج كذلك الأفكار كل فكره منها تسرع لتقترن بالفكره التى تناسبها و تنسجم معها، و كل معرفه تتلحق مع جماعتها التى تعشقها. و الذى يزيد فى هذا التلاحم و يقوى الصلات بينها طول التجارب فالتجربه محطه علميه كبرى فى تاريخ التقدم الحضارى، و عمليه ناجحه فى تصنيف العلوم و المعارف، و من هذا التصنيف المعرفى ترقى الانسان فى مدارج حياته السعيده. و كما قالوا: العقل بحيره تصب فيها الأنهر أو السواقى المتحدره من الحواس الخمس عند الانسان: فكلما كانت هذه الحواس قويه و سليمه كلما أتت بمعلومات دقيقه و غزيره تغذى العقل و تعطيه دفعا جديدا يفجر فيه مواهب عظيمه و قوى خلاقه مبدعه. و عندما يتغذى العقل عطاء مباركا يتحرك فى اتجاهات شريفه و نبيله تدفعه فى طريق التقوى و القناعه. [صفحه ٢٩٠] و هل أرقى من التقوى التى تحكم ما بين الانسان و الله تبارك و تعالى و ما بين الانسان و اخوانه من عباد الله الصالحين؟ و التقوى تصب فى أكثر آيات القرآن الأخلاقية و الاجتماعيه، و المراد

بها أن يتقى العبد ما يغضب الله و ما فيه ضرر لنفسه أو ضرار لغيره، فتكون النفس و الحاله هذه فى وقايه و خوف من الله عزوجل و الخوف من الله يستدعى العلم بالمخوف، من هنا كان الذى يعلم الله أكثر يخشاه أكثر، و بطبيعته الحال الذى يخشاه هو الذى يتقيه (انما يخشى الله من عباده العلماء) [فاطر: ٢٨] و هل أفضل من القناعه؟ قالوا عنها أنها كنت لا يفنى. تبعد صاحبها عن الأنانيه البشعه و الطمع القاتل الذى يفرق بين الاخوان و يجعلهم فى قلق و حيره و بهتان. و عندما تقترن القناعه بالتقوى يعملان بصدق على راحه الأبدان و سعادته الانسان فى كل زمان و مكان. كل هذه المكتسبات تأتي بنتيجه دراسه العلم الذى هو لقاح المعرفه على حد قول الامام الصادق الذى كان نفسه طيب اللقاح البشرى و الله سبحانه و تعالى فتح للانسان نوافذ عبر حوسه الخمس ليتواصل مع العالم الخارجى، و ليتواصل العالم الخارجى معه فينتج عن ذلك التواصل المعرفه التى ملأت الكيان الانسانى بألوانها الحقيقه حيناً و المزيفه حيناً آخر و لتبيان ذلك يطرح الامام الصادق عليه السلام الطريقه و المنهج الذى يهدى العقل الى سواء السبيل فينجيه من التفكير الخاطىء و يحدد له التفكير الصحيح. فهل نسيح وراء كل موجه معرفيه و نحط عند أى جزيره فكريه نصل اليها و تحت أى شجره نعمر تحتها؟ شجره المعرفه تنبت فينا بالفطره و تنمو فى داخلنا مع سواقى الحواس و النوافذ، تجلب الماء الذى يجعل منه كل شىء حى. هذه الشجره الطيبه تحتاج الى لقاح لتنتج الثمر الطيب و اللقاح الصحيح حتى لا تطرح ثمرا خبيثا. و الامام عليه السلام يرشدنا الى

طريقه تلقيحها بالدراسه العلميه اى الأخذ بالطريق و الأسلوب و المنهج العلمى فى التفكير بكل تفاصيله و قواعده المتميزه عن المنهج البدائى العشوائى. [صفحہ ۲۹۱] ينادى الامام عليه السلام بنساء واضح جلى لا لبس فيه: أن المعرفة لقاحها العلم، العلم بما يتضمن من مختلف الأصول و الفروع، و من مجاهل مختلفه و متعدده، لا- كما يتهمون الدين الاسلامى بالمثاليه المطلقه أحيانا و لما يثبتته الامام عليه السلام من حقائق معرفيه، يطلب منا الأخذ بالمعرفه العلميه ثم يزيدنا تأكيدا حين يقول: ان طول التجارب بحد ذاته يزيد فى العقل و ينميه سواء أعطى حقائق ثابتة أو لم يعط. و هنا يظهر موضوع ادعاء الجاهليين على الاسلام من أصحاب المنهج التجريبي. بأن الاسلام لا يأخذ به. لكن أى دعوه أصدق و أوضح من دعوه الامام الصادق فى هذا الحديث، الى الأخذ بالتجارب و التى يعطيها ميزه الزيادة فى العقل الذى به يعاقب جل و علا، و به يثيب؟! هذا فى الجانب الروحى أو العقلى للانسان، أما فى الجانب المادى يتوجه الامام عليه السلام الى انسانيه الانسان فيعطيه الطريقه الصحيحه للمحافظه عليه من النقص و العيب و المرض. و يعطيه ثلاثه أدويه للمعالجه الدائمه نتيجه تعب من بحث العقل فى دراسه العلم ليلقح المعرفة بطول التجارب مما يزيد فى غنى العقل. فيطلب له: الشرف أى السمو و العلو و الترفع بحيث يذكرنا بأجواء الآيه الكريمه (و كلوا من طبيات ما رزقناكم) [البقره: ۱۷۲] كما يذكرنا بالتعالى عن الماديات الدنيئه التى تطمع الأبدان بها لشهواتها و لذاتها الرخيصه الزائله و التى تتعامى عن اللذات الحلال. فان كان الانسان شريفا نظيفا يأخذ منها ليريح بدنه المتعب، بينما يلقى العكس لو أخذ بالدناءه

المتعبه للأبدان. و التي تأخذ منها أكثر مما تعطىها من لذه و سعادته وراحه. أما الأسلوب الشريف فيجده الانسان بتقوى الله التي حددها الشرع الاسلامي ليعلم المسلم الحلال و الحرام فيأخذ بالحلال ليريح نفسه و يترك الحرام الذي و ان أعطى اللذات المؤقتة فانه سوف يشعر بالندم الذي يفسد راحه البدن و يجعل النفس في حاله قلق و تعب دائمين. و كى يكون الامام عليه السلام أكثر تحديدا لهذه التقوى أعطى عنوانا عاما لمبادئه ألا و هى القناعه. التي قالوا عنها: أنها كنز لا يفنى. فالانسان العاقل يقتنع بالاعتدال فلا اسراف و لا تقتير، بل خير الأمور [صفحه ٢٩٢] أوسطها. هذا الحد الذي يلجم رغبات البدن و ملذاته المتطلع دائما الى المزيد. و هنا يبدأ العقل بنشاطاته الفكرية التي تساعد على متابعه الحركه في خدمه الجوهر فيأخذ بمعدل وسط كل ما يحتاجه في حياته السعيده المتطورة من أجل انطلاقه جديده في اتجاه الرقى و الصعود نحو المعرفه الصحيحه التي توصل صاحبها الى الخالق العظيم سبحانه و تعالى. - «اذا كان الله قد تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا؟ و ان كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا؟ و اذا كان الحساب حقا فالجمع لماذا؟ و اذا كان الخلف من الله فالبخل لماذا؟ و اذا كانت العقوبه من الله عزوجل النار فالمعصيه لماذا؟ و ان كان الموت حقا فالفرح لماذا؟ و ان كان العرض على الله حقا فالمكر لماذا؟ و ان كان الشيطان عدوا فالغفله لماذا؟ و ان كان كل شىء بقضاء و قدر فالحزن لماذا؟ و ان كانت الدنيا فانيه فالطمأنينه لماذا؟». ينفذ الامام الصادق عليه السلام بكلماته المتسائله كالماء بين طيات النفس الانسانيه بهدوء و قوه ليشعل في

الفكر و القلب شوق البحث عن الحقيه أو حب المعرفة المفيده. سؤال كبير يتفرع منه أسئله عده، يتناول مفهوم الرزق الذى يتواجه به الانسان مع عده وجوه له فى أغلب لحظات حياته بجسده و روحه مما يجعله حاجه ملحه أو مسأله ترتبط بالوجود مباشره على طول طريق الحياه الدنيا و كأنها المركبه التى بها تصل الى الجنه ان سارت فى الطريق الصواب، أو النار ان سارت فى الطريق الخطأ... فيتدرج فى سؤاله المجيب و يصعد بنا مراحل فكرية تصل فى نهايتها الى أن نفتح أعيننا لنطرد الغفله و نعود لسؤال كل هذه الأسئلة مره جديده و جديده حتى نؤمن بهذا الحديث و بعقيدته الراسخه. فى البدء اذا كان الله جل و علا قد تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا؟ يصيب الامام بسهمه الأول الحاله النفسيه التى يعيش فيها أغلب الناس و التى تسبب قلقا فى التفكير و فى تدبير المقومات الأساسيه للعيش و أسباب الرزق، فلا بد للانسان أن يهتم بهذه المسأله و يبقى عندها ملوما محسورا يفكر و يتساءل من أين و كيف و بما أحصل الرزق لنفسى الراغبه، و هل من أوجدنى قد تكفل بذلك؟ أم أننى: رب رزقى الأوحده؟. يهتم الانسان بذلك حتى يشرد أو يسرح فى آلام هذا الاهتمام ناسيا أو [صفحه ٢٩٣] متناسيا أن ربه المؤمن به قد تكفل له بهذا الرزق و ما عليه هو الا أن يسعى ليؤمن الأسباب و ليس أن يقعد مهتما فى معرفه تحصيل الرزق، أو يهاجر تاركا دينه وراء ظهره من جراه اهتمامه أيضا فلماذا - يقول الامام الصادق - تذهب فى اهتمامك بعيدا و أنت مؤمن بقلبك ان الله ربك و رب العالمين قد

تكفل برزقك أفلا تفعل ما تؤمن به؟! ثم يصعد الامام عليه السلام درجه ثانيه فيسأل و ان كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا؟. و كأنه يرجع بهذا السؤال وجه الذى يسأله لينظر فى عينى الامام الصادق بعدما مال بوجهه عنه حين سأله السؤال الأول و كأنه يقول للامام لماذا غيرى عنده الرزق و أنا محروم منه؟ فيجيبه الامام بأن الله ربك قد قسم الرزق لعباده جميعا، فعبد أن تؤمن بأن ربك قد تكفل برزقك!... و قد قسم لك حسب أيامك فى الدنيا من الرزق ما يكفيك حتى مماتك؟. فأين القناعه! ثم يصعد الامام درجه أخرى ليسأل عن افاده (الجمع) و يؤمن الانسان بيوم الحساب، و يعلم أن هذا اليوم سينشر فيه ما كان يجب عليه دفعه؟! و قد يكون هناك انسان قد جمع ثم دفع. أما الذى جمع فيخل يسأله الامام: ان الرزق الذى معك هو من الله ربك و قد يسره بين يديك لتعمل به فلماذا تحفظه فى طمعك و أنانيتك مع علمك أن الذى أعطاك اياه قد يأخذه منك ساعه يشاء أو يزيد عليه ساعه يشاء، فلماذا تبخل و ربك الكريم قد أعطاك و ربك الكريم قد أمرك بالدفع أم أن لست مؤمنا بكرم ربك؟؟. ثم يأخذ بنا الامام الصادق فى صعوده المتسائل ليرعبنا ان نحن أصرينا و شددنا على الرزق الذى بين يدينا حين أننا وضعناه مكان قلوبنا فيصرخ بنا الامام عليه السلام ألم تعلموا أن النار جزاء - من عصى ربه فلماذا هذه الاستهانه و هذه اللامبالاه؟. فربما يجيب الامام أحدنا بقوله ان جمع الرزق يسبب الفرح للانسان يجيب الامام قائلا: أو لم تؤمن بالموت فما قيمه هذه الفرحة ان قربت ساعتك و أنت

عاص؟؟. [صفحہ ۲۹۴] بل أكثر من ذلك ما بعد الموت و القبر و الحساب ألم تؤمن بهذا اليوم العظيم يوم لا ينفع مال و لا بنون الا- من أتى الله بقلب سلم؟ و الحساب سيكون أمام ربك الخالق الرازق القوي الجبار الذي تعرض عليه كل أعمالك و كل ما جمعت أم أنك تمكر و الله خير الماكرين؟ انك تمكر على نفسك ليس الا، أما الله فسيفضح مكرك أمامك، يوم الحساب العظيم. ثم ينبه الامام الصادق الانسان الى العدو الذي يدفع الانسان للاهتمام برزقه أو حرصه أو جمعه أو بخله أو معصيته أو فرجه أو مكره و يقول له: ان الشيطان هو من يدفعك للابتعاد عن ايمانك بأن الله هو المتكفل بالرزق و مقسمه و رب الحساب و الخلق و العقوبه و الموت و العرض فانتبه أيها الانسان و لا تغفل عن ذلك طرفه عين و كن صاحبيا دائما مع نداء ربك المؤذن لك... و قد يخلص البعض الى الوقوع بالحزن من جراء الخساره أو من عدم ما جمع و يجمع فيلسم الامام جراحه و حزنه و يقول له ناصحا: أن لا- يفرح دائما فيبتر أو أن يحزن دائما فييأس و يقنط، بل أن يعيش دائما بين الرجاء و الخوف، و أن لا يطمئن في هذه الحياه الدنيا أبدا، أو أن يعيش حاله الاستسلام، فهذه الدنيا فانيه فانيه، و أما الايمان الصحيح و الأعمال الصالحه فباقيه باقيه. هذه الفلسفه الصادقيه أو الحكمه المحمديه تأخذ الانسان في طريق الشك و التساؤل، و تواجهه مع فطرته السليمه التي فطره الله جل و علا عليها، و الايمان الصادق الذي لم يتلوث بمصائب الدنيا لتوقظ الانسان الغافل الى يقظته

و لتحرك فى قلبه الميت و فكره الخامل التساؤل و حب التفكير، و ذلك ليصعد الانسان بعلمه الراسخ الى درجه ايمانيه أعلى فى دربه للوصول الى لقاء ربه الرازق الأوحى. - «نجوى العارفين تدور على ثلاثه: الخوف، و الرجاء، و الحب. فالخوف فرع العلم، و الرجاء فرع اليقين، و الحب فرع المعرفة، فدليل الخوف الهرب، و دليل الرجاء الطلب، و دليل الحب ايثار المحبوب على ما سواه فاذا تحقق العلم بالصدر خاف، و اذا صح الخوف هرب، و اذا هرب نجا». لا تتوقف خيول العلم عند الامام الصادق عليه السلام بل هى فى سعى دائم [صفحه ٢٩٥] متواصل فى كل أنحاء الأرض البكر و السماء البكر، فهى العاديات فى الصبح اذا تنفس و هى الكواكب المشرقه فى الليل اذا عسعس. تجلب الخير العميم لأبناء الانسان المتعطش لمعرفة الطريق الصحيح، الطريق المستقيم و خصوصا العارفين الذين اتخذوا العرفان سيلا للقاء ربهم و محبوبهم. و هنا يوجه امام العارفين، الامام الصادق، أبناء هذا الطريق فيحدد فهم معالمه من البدايه و حتى النهايه، و يرى نجواهم تدور على ثلاثه عناصر أساسيه: الخوف و الرجاء و الحب. و لا ننسى هنا فى أجواء هذا الحديث العرفانى أن الامام الصادق عليه السلام يتكلم الى جميع الطبقات الاجتماعيه على حد سواء، أعنى للبادئين فى هذا الطريق و سالكيه، أو لمن ارتقى فيه الى آخر درجاته؛ فيحدد الزاد اللازم للسالك: الخوف و الرجاء و الحب. ثم يعطى مصادرها بوضوح حتى لا يضيع السالك فيمن يخاف أو يرجو أو يحب. فالخوف أولا مصدره العلم، فالذى يخاف الله أكثر يعطيه أكثر و الذى يطيعه أكثر علمه أكثر، علم الصراط المستقيم، و علم القرآن الكريم و

علم آل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم: المفسرين و الميسرين والدالين الى ما هو خطأ و ما هو صواب حتى لا تكون من المغضوب عليهم و لا الضالين. قال تعالى: (انما يخشى الله من عباده العلماء). و كيف يخاف الانسان ملكا ان لم يعلم بقوته و عظمته و جبروته و جلاله و عدله و حكمته؟! و كيف يخاف الانسان ملكا ان لم يعلم بعرشه و حضرته و الساجدين بين يديه و وسع كرسيه؟؟. و الرجاء مصدره اليقين، فبعد أن يعلم الانسان بعظمه ربه و ما يعلمه و ما يخفيه عليه أن يلقن قلبه ما فتح به عقله فيزيل الحجب الصيغه عن قلبه الغافل الراقد ليمطر شتاء علمه ببرقه و رعد المخيخف و الخاطف للأبصار على صدر قلبه الذى رانت على اقفاله غفلته و معصيته؛ عندها يزيل الحجب العازله ليدخل العلم الذى تعلمه الى مجسد البدن و يؤدى عبادته الأقرب و الأفلح لربه العليم. عند ذلك يرى بعين اليقين ما يعلم ليحصل منه الرجاء. و الحب الذى تولده المعرفة. [صفحه ٢٩٦] فحين يحول الانسان بصره التائه الى نفسه الى داخل أعماقه و ينظر بقوه علمه و يقين رجائه تحصل له المعرفة بنفسه، المعرفة الحقيقه التى تعرفه بخالقه العظيم القدير. و لا يحصل الحب بدون المعرفة، فمعرفة جمال خلق الله، جمال الأرض و السماء و الكون، و مال النفس البشريه و ما فيها من بلاد يهاجر فيها الانسان ليشاهد ما تستلذه النفس من روائع و عجائب و خيال يتولد على جزر التأمل بركان عظيم يتفجر أمام دهشه الناظرين العارفين!! و هل هناك حب من دون دهشه؟ و حين العوده من تلك الرحله

الى بر الواقع لا نرى الانسان الا كالتائر المذبوح يرتعش من الشوق الى رحله ثانيه و ثالثه و أبديه من سكره الحب التي غمرت روحه المهاجره. تلك هي النظره المتولدته من المعرفه، النظره الأولى تولد الميل و منه الرغبه و منها الحب. ثم يعود بنا الامام فى رحلته النجوى ليعطينا الدليل على نجاح و فلاح ما مررنا به من خوف و رجاء و حب فيشير الى من هرب بأنه خائف، و الى من طلب بأنه الراجى، و الى من آثر المحبوب على سواه بأنه عاشق. فكما قال الامام السجاد فى دعاء أبى حمزه الشمالى عند السحر «هذا مقام الهارب اليك من النار» أو «هذا مقام الهارب منك اليك» نرى درجه الخوف التي تمتلك الانسان أن العالم الهارب الى ربه بكل جوارحه تاركاً وراءه كل ما يشغله، يرجو النجاه بنفسه، و لا يفضح هذا الرجاء الا الطلب، الطلب من الله عزوجل التوفيق فى المسير و السبيل الى النجاه خوفاً من قطاع الطرق و المستكبرين الذين قد يظهرون فى أى وقت ليسرقوا كل الزاد و يقتلوا المسافر الذى جهل أن كل ما أراد من خوف و رجاء و حب لن يحصل له بدون الطلب من الرب المهيمن رب العالمين. أما دليل الحب فهو ايثار ما تطمع به النفس أو الجسد من لذه على ما يطلبه المحبوب من طاعه و عباده تؤلم النفس و تؤلم الجسد ألماً لا بد منه للتخلص من الأورام الخبيثه بالخوف و الرجاء و هما يدا الطيب الجراح المسبب للألم و واهب الحياه و السعاده. [صفحہ ۲۹۷] و هكذا يخاف الانسان فيرتعش قلبه فى صدره خافقاً دائماً بأسماء الله الحسنى فيهرب مترقباً متخفياً من

القوم الظالمين فى ليله المدلهم نحو النار التى يأنس بها فى الوادى المقدس طوى، فهو لا يعلم بما فعل و قد تأكد بما عمل باليقين بأنه مقتول لا محاله، فيهرب و يهرب الى عند حبيبه نحو عرشه العظيم لينجو بنفسه و يلتقى المحب بحبيبه. و هنا يبين لنا الامام الصادق عليه السلام ترابط الجواهر الثلاثه للوصول الى جنه الملتقى بدءًا بالخوف ثم الرخاء و أخيرا الحب الذى أكثر من عرفه و أكبر من عرفه هو حبيب الله النبى الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم فهذا هو الطريق و هذا هو الزاد و هذه هى السوق، فهل نخاف الموت من الجوع فنشترى الزاد و نمضى الى الحبيب، أم نبقى فى الزوايا الحالكة و الروائح النتنة؟! [صفحہ ۲۹۸]

فى رحاب الفلسفه

اشاره

مثلما كان جعفر بن محمد اماما فى العلوم الدينيه و الفقيهيه، فقد كان اماما طويل الباع بمعظم العلوم المدينه من فلسفيه و اجتماعيه و نفسيه و اقتصاديه... لأنه يرى فيها ما يساعده على فهم العلوم الدينيه. و قد وضع تعريفا للعلم حيث قال: ان استشاره القلب هى روح العلم، و الصدق هدفه، و الالهام دليله، و العقل مستقره، و الله موجهه». و من مثل هذه الكلمات التى ترشح بالروحانيه و الخير يمكن للقارىء أن يدرك الذوق اللغوى الرفيع للامام الصادق عليه السلام. و لا غرابه فى الموضوع فهو ابن آبيه و أجداده، أهل بيت رسول الله عليهم السلام.

فلسفه الخلق

فى حلقه من حلقات دروسه جاءه ملحد يزهو بنفسه و يهمس الحاده فى أذنه أنه سيتغلب على كل حجه للامام الصادق عليه السلام فأجابه عليه السلام بأجوبه معجزه مدادها سحر العلم و نفاذها ضياء العقل. يقول الامام الصادق: الأرض تدور.... و الفلك يدور [۳۴۷] و ان لهذا الكون خالقا حكيما لا يعجزه [صفحہ ۲۹۹] شىء لكن أحد من الناس لم ير هذا الخالق، فكيف يعبدون خالقا لا يرونه رأى العين..؟ و يتابع الملحد أسئلته بلهجه يتمطى فيها روح الغرور يقول: كيف يعبد الله الخلق و لم يروه؟ فيقول له الامام: «رأته القلوب بنور الايمان و أثبتته العقول بيقظتها اثبات العيان، و أبصرته الأبصار بما رأته من حسن التركيب و احكام التأليف... ثم الرسل و آياتها، و الكتب و محكماتها، و اقتصرت العلماء على ما رأته من عظمته دون رؤيته». فقال الملحد: أليس هو قادرا أن يظهر لم حتى يروه فيعرفوه، فيعبدونه على يقين؟. قال الامام: ليس للمحال جواب [۳۴۸]. قال الملحد: فمن أين أثبت أنبياء و رسلا؟ قال عليه السلام، انا

لما أثبتنا أن لنا خالقا متعاليا عنا، و عن جميع ما خلق و كان ذلك الصانع حكيمًا، لم يجز أن يشاهده خلقه، و لا أن يلامسوه و لا أن يباشرهم و يباشروه، و يحاجهم و يحاجوه، ثبت أن له سفراء فى خلقه و عباده يدلونهم على مصالحهم و منافعهم، و ما به بقاؤهم، و فى تركه فناؤهم، فثبت الآمرون و الناهون عن الحكيم العليم فى خلقه، و ثبت عن ذلك أن له معبرين و هم: الأنبياء و صفوته من خلقه، و حكماء و مؤدبين بالحكمه، مبعوثين عنه، مشاركين للناس فى أحوالهم على مشاركتهم لهم فى الخلق و التركيب، مؤيدين من الحكيم العليم بالحكمه و الدلائل و البراهين و الشواهد، من احياء الموتى و ابراء الأكمه و الأبرص فلا تخلو الأرض من حجه يكون معه علم يدل على صدق مقال الرسول و وجوب عدالته». فقال الملحد: من أى شىء خلق الله الأشياء؟ قال الامام عليه السلام: من لا شىء. قال: كيف يوجد شىء من لا شىء؟ قال الامام عليه السلام: ان الأشياء اما أن تكون خلقت من شىء، أو من غير [صفحه ٣٠٠] شىء، فان كانت الأشياء خلقت من شىء كان معه فان ذلك الشىء قديم، و القديم لا يكون حديثا و لا يتغير، و لا يخلو ذلك الشىء من أن يكون جوهرًا واحدًا، فمن أين جاءت هذه الألوان المختلفه و الجواهر الكثيره الموجوده فى هذا العالم من ضروب شتى؟ و من أين جاء الموت ان كان الشىء أنشئت منه الحياه حيا؟ أو من أين جاءت الحياه ان كان ذلك الشىء ميتًا؟ «و لا يجوز أن ينشأ من حى و ميت قديمين لم يزالا، لأن الحى لا يجىء

منه ميت و هو لم يزل حيا... و لا يجوز أيضا أن يكون الميت قديما لم يزل لما هو به من الموت، لأن الموت لا قدره و لا بقاء». و يبهت الملحد و ينهر. كلابن يحسب نفسه محلقا فاذا به فاشلا نادما.. أمام ذلك المنطق الباهر باستدلالة المفحم بحججه فتململ و تلعثم و كأنه يبىء نفسه من مفاسد الالحاد... و يسنده الى غيره: من أين قالوا ان الأشياء أزليه؟؟ فيجيبه الامام: «هذه مقاله قوم جحدوا مدبر الأشياء، فكذبوا الرسل و مقالاتهم و الأنبياء و ما أنبأوا عنه، و سموا كتبهم أساطير، و وضعوا لأنفسهم دينا بآرائهم و استحسانهم». ثم وضع أمامه براهين أخرى واقعية عن حدوث العالم فيقول له: «و ان الأشياء تدل على حدوثها من دوران الفلك بما فيه سبعة أفلاك، و تحرك الأرض و من عليها، و انقلاب الأزمنه، و اختلاف الحوادث التى تحدث فى العالم من: زياده و نقصان، و موت و بلى، و اضطرار الأنفس الى الاقرار أن لها صناعا و مدبرا» [٣٤٩] ثم تابع عليه السلام: «ألا ترى أن الحلو يصير حامضا، و العذب مرا، و الجديد باليا، و كل الى تغير و فناء». و يعلق الشيخ أبوزهره على هذه المناظره فيقول: «و هذه المناظره تدل على أمرين، أحدهما أن الصادق كان على علم دقيق [صفحه ٣٠١] بالفلسفه و مناهج الفلاسفه، و على علم بمواضع التهافت عندهم، و أنه كان مرجع عصره فى رد الشبهات، و قد كان بهذا جديرا، و ذلك لانصرافه المطلق الى العلم، و لأنه كان ذا أفق واسع فى المعرفه لم يتسن لغيره من علماء عصره، فقد كانوا محدثين و فقهاء أو علماء فى الكلام، أو

علماء فى الكون، و كان هو كل ذلك». و الأمر الثانى الذى تدل عليه هذه المناقشه أن الزنادقه صنف واحد فى كل العصور، يضربون على وتر واحد: أصل الوجود، فانك تقرأ أو تسمع كلام زنديق هذه الأيام، فتجده يسأل هذه الأسئلة التى وجهها هذا الزنديق الى أبى عبدالله جعفر الصادق - حفيد على بن أبى طالب، و محمدا رسول الله، فهى وراثه يتوارثها الزنادقه فى كل جيل» [٣٥٠].

فلسفه التوحيد

سأل هشام بن الحكم تلميذ الصادق عليه السلام فقال: الله. مم هو مشتق؟؟ قال عليه السلام: يا هشام الله مشتق من (اله) يقتضى مألوها، و الاسم غير المسمى، فمن عبد الاسم دون المسمى، المعنى، فقد كفر و لم يعبد شيئا، و من عبد الاسلام و المعنى فقد كفر، و من عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد. أفهمت يا هشام؟ فطلب هشام مزيدا من الشرح أسطع وضوحا. فيجيبه الامام كاشفا عن المعنى موضحا كل الخفايا. قال هشام: زدنى. قال الامام عليه السلام: «ان الله تسعه و تسعين اسما، فلو كان الاسم هو المسمى، لكان كل اسم منها الها، ولكن الله معنى يدل فهذه الأسماء كلها غيره». ثم يزيد موضحا فيقول: «يا هشام الخبز اسم للمأكل، و الماء اسم للمشروب، و الثوب اسم للملبوس، و النار اسم للمحروق، أفهمت يا هشام فهما تدفع به، و تناضل به أعداءنا المتخذين مع الله الها غيره؟. [صفحه ٣٠٢] قال: نعم فهمت» [٣٥١]. و من محاضره له جوابا على سؤال: هل يوصف الله؟. فقال: لا يوصف بكيف؟ و لا أين؟ و لا حيث؟. و كيف أصفه و هو الذى كيف الكيف حتى صار كيفا، فعرفت الكيف بما كيف الناس من الكيف... أم كيف أصفه بأين، و

هو الذى أين الأين حتى صار أيننا، فعرفت الأين بما أين لنا من الأين. أم كيف أصفه بحيث، و هو الذى حيث حيث حتى صار حيثنا فعرفت حيث بما حيث لنا من حيث. «فالله تبارك و تعالى داخل فى كل مكان، و خارج من كل شىء، لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار» [٣٥٢]. و يقول لهشام: «ان الله تعالى لا يشبه شيئا، و لا يشبهه شىء و كلما وقع فى الوهم فهو بخلافه».

فلسفه التنزيه

قال فى احدى محاضراته لطلابه فى تنزيه الله: «من زعم أن الله فى شىء أو على شىء أو يحول من شىء الى شىء، أو يخلو منه شىء، أو يشتغل به شىء... فقد وصفه بصفه المخلوقين، و الله خالق كل شىء لا يقاس بالقياس و لا يشبه بالناس، لا يخلو منه مكان، و لا يشتغل به مكان، قريب فى بعده، بعيد فى قربه ذلك الله رب العالمين لا اله غيره». و فى نفى شبهه الجسم و الصورة قال: «ان الجسم محدود متناه، و الصورة محدوده متناهيه، فاذا احتمل الحد احتمل الزيادة و النقصان و اذا احتمل الزيادة [صفحه ٣٠٣] و النقصان كان مخلوقا». الحد احتمل الزيادة و النقصان، و اذا احتمل الزيادة و النقصان كان مخلوقا». و يلتبس على أحدهم قول الامام، فيسأله: ماذا أقول؟. فيلطف به الامام، و يعلمه كيف ينزه الله عزوجل عن الجسم و الصورة فيقول له: لا- جسم و لا صور... و هو مجسم الأجسام، و مصور الصور.. لم يتجزأ و لم يتناه، و لم يتزايد، و لم يتناقص، لو كان كما يقولون لم يكن بين المخلوق و الخالق فرق، و لا بين المنشىء

قيمه الحكم الصادقيه

تعد الحكم الصادقيه من التعاليم الاسلاميه الراقيه التي تفيد رجل الدين في فقهه و الأديب في أدبه، و المحدث في أحاديثه، و المربي في تنشئه طلابه، و المشرع في تشريعاته، و المفكر في ميادين معارفه، و المثقف في توسيع ثقافته، و عالم الاجتماع في بناء مجتمعه بناء قويما، و اصلاح شؤون أمته اصلاحا سليما. لكن من المؤسف أن هذه الحكم ما تزال مبعثره في بطون الكتب، هنا و هناك، و لم نجد حتى الآن من تصدى لجمعها و شرح غوامضها [٣٥٤]. و الحقيقه أن الحكم الصادقيه غذاء روحى غزير، و رصيد كبير من الأخلاق و الثقافه و الآداب الانسانيه. و لا بد لكل عاقل منصف أن يتعرف بأهميه ذلك، و سوف يأتى اليوم الذى تبرز فيه هذه الآثار، بالصوره المطلوبه لتكون منهجا تربويا أخلاقيا، يعتز به المسلمون، و تكون موضع اهتمام و تقدير. [صفحه ٣٠٤] و هذه الحكم التى ذكرتها غيظ من فيض، و جزء من ذلك التراث العظيم، و هى على سبيل الذكر لا-الحصر تكشف لنا وجهه نظره عليه السلام فى كثير من قضايا الانسان و المجتمع. و الامام الصادق كغيره من الأئمه المعصومين كان حريصا على معالجه القضايا الاجتماعيه التى عرضها و وصف لها العلاج المناسب لحلها. لقد تعلم من جده سيدالشهداء أبى عبدالله، كيف يصلح شؤون الأمة الاسلاميه متذكرا قوله عليه السلام: «ما خرجت أشرا و لا بطرا و انما خرجت من أجل الاصلاح فى أمه جدى صلى الله عليه و آله و سلم.» و الامام الصادق حاول بأى طريقه اصلاح النفوس قبل اصلاح النصوص التى اعتمدها الحكام العباسيون، و حارب العادات الرذيله و دعا الى

اعتناق الفضائل الحميده. لقد صور لنا عليه السلام النفس الانسانيه فى جميع حالاتها و كشف عن جميع عقدها و انفعالاتها، و جعل لها حدودا و مقاييس تطمئن اليها فى حاله رضاها و غضبها و أمنها و خوفها، و اطمئنانها و قلقها. و عليها أن تلتزم بهذه التعاليم الناجحه و قد بينها فى كثير من حكمه و تعاليمه و مواعظه و أجوبته و وصاياه. و خلاصه القول أن هذه الحكم القويمه التى يقرها العقل، يعترف بها الوجدان و يرتاح لها الضمير الحى، و يشهد لها الواقع بصحتها و صوابها تعد: خلاصه تعاليم اسلاميه تهدف الى سعادته الفرد فى حياته، و بعد مماته، و الى اصلاح الأمه الاسلاميه فى سياستها و رعايتها و صونها الحريه التى نادى بها الاسلام. و الامام الصادق أرسل هذه الدرر من النصائح و المواعظ لتكون بين يدي الآباء و الأجداد و ليضعوها بين أيدي الأبناء و الأحفاد. فكان عليه السلام رسول النصح يرسل مواعظه عبر العصور معلما راشدا و فيصلا بين الحق و الباطل لقد كان عليه السلام من أعظم الشخصيات الاسلاميه التى أدت واجبها و قامت بدورها فى الدعوه الى الله عزوجل، فظهرت فى معترك الحياه ببطوله خارقه و جهاد رائع يبعثان فى نفوس الأمه قوه الايمان، و صحه العقيده، و مقاومه الهوى، و التسابق الى الخير، و الاخلاص و الوفاء و المحبه و الأخوه فى الاسلام و تعظيم شعائر ابتغاء وجه الله [صفحه ٣٠٥] و أعدادا ليوم الحساب [٣٥٥]. لقد أراد أن يعالج المشاكل السياسيه و الاداريه و الاجتماعيه التى كان يموج بها العالم الاسلامى فى عصره [٣٥٦]، على ضوء ما جاء به الاسلام فى مبادئه القويمه و تعاليمه السمحه الانسانيه،

بعيدا عن المصالح الشخصية و الأهداف الخاصة، فكان عليه السلام يدعو الناس الى التسلح بالقوى المعنويه، و الشجاعه الفرديه، التي لا- تقف أمامها أى قوه، الا الايمان بالله و رسوله و اليوم الآخر. و هذه القوه هى أعظم قوه تضمن للأمة الاسلاميه النصر و الفلاح و السؤود. لأن المؤمن قوى القلب قوى الاراده، مجاهد صبور، واثق بنصرالله و تأييده، فهو عزوجل يذل له كل الصعاب، و يهون عليه كل العقبات، و به وحده سبحانه و تعالى يتغلب على ميوله و شهواته (الجهاد الأ-كبر) و ينشأ عن ذلك الايثار و المحبه، و التضحيه، و نكران الذات، و التفانى من أجل صلاح المجتمع [٣٥٧] و الشاهد الناطق لهذه المثل العليا الاسلاميه ما يقدمه المقامون الاسلاميه فى جنوب لبنان و فى البقاع الغربى و فى فلسطين و فى ايران و الايمان المطلق بالله تعالى يجعل فى نفوس المسلمين و عيا مستنيرا و ادراكا واقعيا سليما يعثهم على التمسك بالفضائل التي دعا اليها الاسلام، و الابتعاد عن الرذائل التي نهى عنها. و بالوعى الاسلامى يدفع خطر العابثين بمقدرات الأمة الاسلاميه، و لا يجعلها فريسه لكل طامع معتدى كما يدفع عنها أيضا أمواج الفتن و تيارات الآراء المدسوسه الباطله.

افضل الجهاد

اشاره

جاهد أهل البيت بكل ما عندهم من طاقات، و ان جهادهم كله فى سبيل الله لأن الأمة الاسلاميه مكلفه بتحقيق العداله على الأرض. و نقصد بالعداله الاسلاميه و ليس العداله المزيفه التي يتكلم بها مجلس الأمن من الدولى، الذى يعمل على اصدار القرارات فقط!! [صفحه ٣٠٦] و أهل البيت كان جهادهم فى سبيل الله عملا بقول الله: «و جاهدوا فى الله حق جهاده» [الحج: ٧٨] و قال تعالى أيضا: «و

قاتلوا فى سبيل الله» [البقره: ٢٤٤]. ولا ريب أن سبيل الله هو الحق، و كل جهاد هو فى سبيل الدين و الأمه الاسلاميه لدفع الظلم عنها و مناصره المستضعفين فى شتى أنحاء الأرض، لا فرق بين جنس و جنس و لون و لون و دين و دين. و قال تعالى مخاطبا أمه محمد صلى الله عليه و آله و سلم: «و كذلك جعلناكم أمه وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا» [البقره، ١٤٣] أى لتكونوا شهداء على الناس فى تقصيرهم و غلوهم فتقوموا باظهار عوجهم بالأسلوب الذى ترونه مناسبا. قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «جاهدوا المشركين بأموالكم و أنفسكم و ألسنتكم» [٣٥٨] فمن أهل البيت عليه السلام من جاهد بماله، و منهم من جاهد بنفسه، و منهم من جاهد بلسانه و كله جهاد فى سبيل الله. فالامام على عليه السلام جاهد بماله و نفسه، و ابنه الامام الحسين عليه السلام جاهد بنفسه و استشهاد من أجل اعلاء كلامه الحق و الاصلاح أمه جده صلى الله عليه و آله و سلم و عقيله بنى هاشم السيده زينب جاهدت بلسانها فرفعت صوتها فى وجه الحكام الظالمين محرضه القوم على المطالبه بحقهم و الدفاع عن أنفسهم فقالت مخاطبه يزيد، الحاكم الظالم المنحرف عن الاسلام: و لئن جرت على الدواهى مخاطبتك، انى لأستصغر قدرك، و أستعظم تقريعك و أستكثر توبيخك ولكن العيون عبرى، و القلوب حرى، الا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء. و لئن اتخذتنا مغنما لتجدن و شيكا مغرما حين لا تجد الا ما قدمت يداك و ما ربك بظلام للعييد، و الى الله المشتكى و عليه المعول».

و هذه بلا- ريب من أفضل الجهاد. «أفضل الجهاد كلمه حق تقال بين يدي سلطان جائر». و الامام زين العابدين جاهد ضد الحكام الظالمين و حذر من معونتهم [صفحه ٣٠٧] فقال عليه السلام: «اياكم و صحبه العاصين، و معونه الظالمين» [٣٥٩]. و زيد بن علي جاهد استشهد ضد الحكام الطغاه... و الامام الصادق عليه السلام أمضى حياته كلها جهادا متواصلا ضد ملوك عصره فالدوله الأمويه لم تتخذ الاسلام نظاما فى حريه الرأى و الاجماع الصحيح من أهل الحل و العقد، بل دعت الى محاربتة و ارتبطت أشد الارتباط بفوضى الجاهليه. و بدل أن تجمع شتات المسلمين فرقت ذلك الجمع الذى جمعه المصلح الأعظم بدعوتة المباركه. فالاسلام أمر بوحدہ المسلمين و هم عملوا على تفريقهم، و الاسلام نهى عن اراقه الدماء و قد ولغوا فيها بقدر، و الاسلام أمر بالعدل و الاحسان و قد جاروا فى الحكم و أساؤوا السيره فى الأمه. و اذا قلبنا تاريخ الجاهليه أدركنا أنه تمثل فى عصرهم بأوضح صورہ، و نوجز القول: أنهم تمردوا على نظم الاسلام و أوامره و شرعه المقدس الذى يحفظ سلامه الأمه و سعاده البشر عامه. و لا- ريب أن التعاليم الاسلاميه التى تكفلت للأمه السعاده فى اتباعها تحتاج الى اراده سليمه فى التنفيذ و التطبيق. و لا يقوم بهذه المهمه الا الحاكم العادل الذى يفضل المصلحه العامه على مصلحته الشخصيه، و الذى يغذى الأمه بعلمه النмир و تعاليمه القويمه لتتال السعاده فى الدارين الحياه الدنيا و الحياه الآخره. و لا يخفى على ذوى البصائر أن الاسلام مجموعہ نظم و قوانين سماويه هبطت الى الأرض بواسطه الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم فهو الذى تولى

تطبيقها فى حياتها، و من اختاره لذلك بعد وفاته بأمر المشرع الأعلى رب العالمين جل جلاله. «و ربك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخير» [القصص: ٦٨] و الامامه منصب الهى كالنبوه، فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوه و الرساله فكذلك يختار للامامه من يشاء، و يأمر نبيه بالنص عليه و أن ينصبه اماما للناس من بعده للقيام بالوظائف التى كان على النبى القيام بها؛ سوى أن الامام لا [صفحه ٣٠٨] يوحى اليه كالنبى، و انما يتلقى الأحكام منه عزوجل. فهو صلى الله عليه و آله و سلم مبلغ عن الله، و الامام مبلغ عن النبى، و الامامه متسلسله فى اثنى عشر اماما كل سابق ينص على اللاحق و هو معصوم - كالنبى - عن الخطأ و الخطيئه، و الا- لزاله الثقه. قال تعالى: «انى جاعلك للناس اماما قال و من ذريتى قال: لا ينال عهدى الظالمين» [البقره: ١٢٤] لأن الغرض الأساسى: تكميل البشر و تزكيه نفوسهم بالعمل الصالح قال تعالى: «هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة» [الجمعه: ٢] و لا ريب أن فاقد الشىء لا يعطيه و الناقص لا يكون كاملا- و الامام الصادق هو سادس الأئمه الأثنى عشر، و ولى أمر المسلمين، و هو الانسان الكامل الذى اختاره الله عزوجل و أوصى به والده الامام الباقر عليه السلام اختاره الله لتطبيق ذلك النظام المقدس فى عصره مهما كلف الثمن. و حسبك دليلا على نزاهته خصومه - على كثره عددهم و اختلاف عقائدهم - كلهم يشهدون بكفاءاته و نزاهته و أهليته. و فى عصره كانت الأنظار متجهه

اليه، وقد طلب منه قواد الثوره أن يباعوه خليفه لثقه المجتمع به، لكنه امتنع عن ذلك لما يراه وراء سير الحوادث. و شاهد الامام عليه السلام بأم عينه ضياع ملوك عصره و ابتعادهم عن الاسلام و سيرتهم الملتويه فى منهجهم السياسى المائج بالاضطرابات و الثورات... و كان همهم الأوحدا اشباع رغباتهم من أى طريق كان. فخالقوا الكتاب و السنه و وقفوا حاجزا دون سعادته الأمه التى اختارها تعالى «خير أمه أخرجت للناس» و سوف نعرض بعض الحوادث التى جرت فى عصر الامام لنقف على ما تحمله من تلك الأوضاع الشاذة، و نقدر جهاده المستمر حتى انتقاله الى جنه المأوى...

موقف الامام من الظالمين

اشاره

كان موقفه فى تلك الفتره موقف المصلح و المرشد و الواعظ يراقب الحوادث عن كثب و يشارك المسلمين فى مآسيتهم، و يتألم لتلك الفضائح و الجرائم لكن أعوانه قلبه و يده سلاء، فما العمل؟ لم يترك الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر [صفحه ٣٠٩] و ارشاد الناس الى الحق و الخير، مع شدة المراقبه عليه من الحكام و نصب الحبائل له و المكاييد ليلحقوه كما ألحقوا أباه و جده بشهداء آل محمد. لكن العناية الالهيه تدفع شرهم عنه فى كل مكيدته. كان يحذر الأمه من مخالطه أهل الجور و بيث تعاليمه فى معارضتهم و هذا ما كان يقلقهم لكنهم لا يستطيعون الحاق الأذى به لمحبه الجماهير له. و من مواعظه لأئمه و تحذيراته لهم قوله: «اياكم أن يخاصم بعضكم بعضا الى أهل الجور، أيما مؤمن قدم مؤمنا فى خصومه الى قاضى أو سلطان جائر ففضى عليه بغير حكم الله فقد شركه فى الاثم. أيما رجل كان بينه و بين أخ له مماراه فى حق فدعاه

الى رجل من اخوانكم ليحكم بينه و بينه فأبى الا أن يرافعه الى هؤلاء، كان بمنزله الذين قال الله عزوجل فيهم: «ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك و ما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت و قد أمروا أن يكفروا به و يريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا» [النساء: ٦٠]. و مما حذر به أيضا قوله: «اتقوا الحكومه فان الحكومه للامام العالم بالقضاء، العادل بالمسلمين كنبى أو وصى نبى». و سأله رجل عن قاض بين فرقتين يأخذ من السلطان على القضاء الرزق؟ فأجابه عليه السلام: «ان ذلك سحت.» و قال: العامل بالظلم، و المعين له، و الراضى به كلهم شركاء ثلاثتهم». و كان عليه السلام يحث الناس و يدعوهم الى مقاطعتهم و عدم الركون اليهم، و يدعو الأمه الى الاتحاد ضد أولئك الظالمين امتثالا لقول الله تعالى «و لا تركنوا الى الذى ظلموا فتمسكم النار و ما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون» [هود: ١١٣] و هو بصفته امام زمانه يث النصيحه بين طبقات ذلك المجتمع و يواصل جهاده فى سبيل الدعوه الاصلاحيه، ليفك أسر الأمه من يد من أفسدوا ذلك المجتمع الصالح. و قد عاصر كثيرا من ملوك عصره و ما ركن لهم، و ما استطاعوا أن يستميلوه. من الذين عاصرهم: عشره ملوك من بنى أميه و هم: [صفحه ٣١٠] عبدالملك بن مروان تولى بعد عهد أبيه مروان سنه ٦٥ هـ و بقى الى سنه ٨٦ هـ الوليد بن عبدالملك تولى سنه ٨٦ هـ و توفى سنه ٩٥ هـ و مدته ولايته ٩ سنوات؛ سليمان بن عبدالملك تولى سنه ٩٦ بعهد من أبيه عبدالملك و استمر

حتى سنة ٩٩ هـ؛ عمر بن عبدالعزيز تولى الحكم سنة ٩٩ وبقى الى سنة ١٠١ هـ؛ يزيد بن عبدالملك تولى سنة ١٠١ وبقى حتى سنة ١٠٥ هـ؛ هشام بن عبدالملك ولى الأمر بعهد من أخيه يزيد سنة ١٠٥ وبقى الى سنة ١٢٥ هـ الوليد بن يزيد بن عبدالملك ولى بعهد من يزيد سنة ١٢٥ هـ وبقى فى الحكم سنة وشهرين ابراهيم بن الوليد بن عبدالملك تولى سنة ١٢٦ هـ كانت مده ولايته ثلاثه أشهر و مروان بن محمد الملقب بالحمار تولى سنة ١٢٧ وبقى حتى سنة ١٣٢ هـ و به انتهى الحكم الأموى. و عاصر من ملوك العباسيين: عبدالله بن على بن عبدالله بن العباس المعروف بالسفاح، و أخيه المنصور الدوانيقى و قد حاول المنصور أن يستميل الامام الصادق ليوهم الناس أن ولايته على حق فأرسل اليه: لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟.. و كان المنصور يظن أن ينال من الامام جوابا ايجابيا اذ أنه كان سلطان العصر و مهاب الجانب! فكان جواب الامام عليه السلام: «ما عندنا من الدنيا ما نخافك عليه و لا- عندك من الآخرة ما نرجوك له، و لا- أنت فى نغمه فنهنيك عليها، و لا- تعدها نغمه نعزيك عليها، فلم نخشاك؟» قال له المنصور: «تغشانا لتنصحننا». فأجابه الامام عليه السلام: «من أراد الدنيا فلا ينصحك، و من أراد الآخرة فلا يصحبك» انه الجواب السديد و الجرىء الذى يتناسب مع كبار الطغاه! و عظم هذا الجواب على المنصور ولكنه يعرف منزله الامام الصادق فى مجتمعه فأضمر له الشر منتظرا الوقت المناسب و من جهاده صلى الله عليه و آله و سلم تجاه مجتمعه: نهيه عن

فض الخصومه لدى الحكام الظالمين: لقد منع المرافعه عند حكام الجور، و أمر بمقاطعتهم، و قد أقام جماعه من [صفحہ ۳۱۱] كبار أصحابه حكاما من قبله، ينظرون في الخصومات، و يحكمون بكتاب الله و سنه نبيه صلى الله عليه و آله و سلم و قد أمر عليه السلام بالرجوع اليهم، و المرافعه عندهم و قال: أيما رجل كانت بينه و بين أخ له مماره في حق، فدعاه الى رجل من اخوانكم ليحكم بينه و بينه، فأبى الا أن يرفعه الى هؤلاء، كان بمنزله الذين قال الله عزوجل فيهم: «ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك و ما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت و قد أمروا أن يكفروا به» [النساء: ۶۰] و كان يعلن عليه السلام بأن المرافعه الى أولئك الحكام اثم، و أن حكمهم غير نافذ، لأن الحكومه للامام العادل بالحكم، العالم بالقضاء، كنبى أو وصى نبى، و هو صلى الله عليه و آله و سلم أحق بالحكم، و أمر بالرجوع لمن جعله من قبله للحكم بين المتنازعين. و قد نبه جماعته: «اياكم أن يخاصم بعضكم بعضا الى أهل الجور، و أيما مؤمن قدم مؤمنا في خصومه الى قاض أو سلطان جائر فقضى عليه بغير حكم الله فقد شركه في الاثم». و قال في جواب من سأله عن ذلك: «ما أحب أن أعقد لهم عقده، أو وكيت لهم وكاء، ان الظلمه في سرداق من نار، حتى يحكم الله بين العباد».

حثه على مساعده المحتاجين

كان هو عليه السلام المثل الأعلى في مساعده الضعفاء و أبناء السبيل. دخل عليه عمار السباطى، فقال له: يا عمار انك رب مال كثير فتؤدى ما افترض الله عليك من

الزكاه؟ قال: نعم. قال الامام عليه السلام: فتخرج الحق المعلوم من مالك. قال: نعم. قال عليه السلام: فتصل قرابتك؟ و تصل اخوانك؟ قال: نعم. قال عليه السلام: يا عمار المال يفنى، و البدن يبلى، و العمل يبقى و الديان حى لا يموت. يا عمار، ما قدمت فلم يسبقك، و ما أخرت فلن يلحقك. و لشده اهتمامه بمساعدته الضعفاء، و قضاء حوائج المؤمنين، كان يرى أن الاعراض عن [صفحة ٣١٢] المؤمن المحتاج للمساعدة استخاف به، والاستخاف بالمؤمن استخفاف به عليه السلام. و جاء ذلك موضحا فى قوله قد كان عنده جماعه من أصحابه: ما لكم تستخفون بنا؟ فقام اليه رجل من أهل خراسان فقال:.. معاذ الله أن نستخف بكم أو بشىء من أمركم!. فقال عليه السلام: انك أحد من استخف بى. فقال الرجل: معاذ الله أن أستخف بك!! فقال عليه السلام: و يحك ألم تسمع فلانا و نحن بقرب الجحفة، و هو يقول لك: احملنى قدر ميل فقد و الله أعيت. فوالله ما رفعت له رأسا، لقد استخففت به، و من استخف بمؤمن فىنا استخف، و ضيع حرمه الله عزوجل. و قال له رجل من أصحابه: جعلت فداك: بلغنى أنك تفعل فى عين زاد (اسم ضيعه) شيئا أحب أن أسمعه منك. فقال عليه السلام: نعم كنت أمر اذا أدركت الثمره أن يثلم فى حيطانها الثلم، ليدخل الناس و يأكلوا، و كنت أمر أن يوضع عشر بنيات يقعد على كل بنيه عشره، كلما أكل عشره جاء عشره أخرى، يلقي لكل نفس منهم مد من رطب، و كنت أمر لجيران الضيعه كلهم: الشيخ و العجوز و المريض، و الصبى، و المرأة، و من لا يقدر، أن يجىء فىكون لكل انسان مدا، فاذا أوفيت القوام و

الوكلاء أجرتهم أحمل الباقي الى المدينة، ففرقت في أهل البيوت و المستحقين على قدر استحقاقهم، و حصل لى بعد ذلك أربعمائه ديناراً و كانت غلتها أربعة آلاف. و قال مصادف: كنت عند أبى عبد الله الصادق فدخل رجل فسلم عليه فسأله عليه السلام كيف خلفت من اخوانك؟ فأجاب الرجل و أحسن الثناء و أطراهم. فسأله الامام: كيف عياده أغنيائهم لفقرائهم؟ فقال الرجل: قليله. قال الامام: كيف صلته أغنيائهم لفقرائهم فى ذات أيديهم؟ فقال الرجل: انك تذكر أخلاقاً قل ما هى فيمن عندنا. قال الامام: فكيف يزعم هؤلاء أنهم شيعتنا؟! و قال اسحاق بن عمار: دخلت على أبى عبد الله الصادق. فنظر الى بوجه [صفحه ٣١٣] قاطب فقلت: ما الذى غيرك لى؟. قال عليه السلام: الذى غيرك لاخوانك، بلغنى يا اسحاق أنك أقعدت ببابك بوابا يرد عنك الفقراء. فقلت: جعلت فداك انى خفت الشهره. فقال الامام: ألا خفت البليه! كان عليه السلام يبذل جهده فى توجيه الناس و تقويم أخلاقهم و اصلاح شؤونهم ما استطاع، و يدعو ذوى اليسر الى الانفاق على ذوى العسر، و أن يوسعوا على المضيق منهم حتى يمنعوهم من ذل السؤال. و كان ينفق حتى لا يبقى شيئاً لعياله [٣٦٠].

حثه على العمل و الرزق الحلال

و من جمله تعاليمه حثه على طلب المال من حله و يدعو أصحابه الى التكسب فى الأسواق و يرى ذلك عزا لهم. يقول المعلى بن خنيس: رآنى أبو عبد الله عليه السلام و قد تأخرت عن السوق، ما لى أراك و قد تركت غدوك الى عزك؟! فهو عليه السلام يدعو الى الكسب الحلال لينال المرء عزه له و لا يكون عائلاً على الناس فيهان. و لقد أخبر عن رجل قال: لأقعدن و لأصلين، و لا صومن و لأعبدن

الله، فأما رزقى فيأتيني... فقال الامام عليه السلام: هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم. وقال له رجل: انا لنطلب الدنيا و نحب أن نؤتاها. قال عليه السلام: ماذا تحب أن تصنع بها؟ فقال الرجل أوسع بها على نفسي و عيالي، و أصل بها قرابتي، و أتصدق و أحج و أعتمر. فقال عليه السلام: ليس هذا طلب الدنيا، هذا طلب الآخرة. [صفحة ٣١٤] و كان الامام الصادق يطلب الرزق الحلال بنفسه. قال أبو عمر الشيباني: رأيت أبا عبد الله الصادق و بيده مسحاه يعمل في حائط له و العراق يتصبب، فقلت: جعلت فداك، أعطني أكفك. فقال لي: اني أحب أن يتأذى الرجل بحر الشمس في طلب المعيشه. و قال المفضل بن قره: دخلنا على أبي عبد الله في حائط له (بستان) و بيده مسحاه يفتح بها الماء و عليه قميص، و كان يقول: اني لأعمل في بعض ضياعي و ان لي من يكفيني ليعلم الله أني أطلب الرزق الحلال.

حثه على صله الرحم

كان من حسن سيرته و مكارم أخلاقه يصل من قطعه، و يعفو عن أساء اليه، و يحاول أن يزيل من القلوب الضغائن و الأحقاد التي تبعث على الكراهه و الفرقة و قد ورد أنه وقع بينه و بين عبد الله بن الحسن كلام، فأغلظ عبد الله في القول ثم افترقا و ذهبا الى المسجد، فالتقيا على الباب. فقال الصادق لعبد الله بن الحسن: كيف أمسيت يا أبا محمد؟ فقال عبد الله بخير - يقول المغضب. قال الصادق: يا أبا محمد أما عملت أن صله الرحم تخفف الحساب؟. ثم تلى قوله تعالى: «و الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل و يشخون ربهم و يخافون سوء العذاب» [الرعد: ٢١]. فقال عبد الله: فلا تراني بعدها قاطعا رحما.

ان كل هذه الفضائل التي تساهم في بناء مجتمع اسلامى سليم قويم و النشاط فى تحقيقها تعد فى عداد الجهاد الأكبر الذى دعا اليه الاسلام من أجل سعادة الانسان فى الدارين الدنيا و الآخرة. [صفحه ٣١٥]

الخاتمه

أيها الامام. أيها الامام العظيم، أيها الامام العليم، أيها الامام الحليم ترى هل و فيتك حقك و أنا أقفو خطاك فى هذا البحث المتواضع؟ لكن يا مولاي: «ان الهديه على مقدار مهديها». عشت معك ساعات و أياما و شهورا فى هذا العام المبارك ١٤١٧ - الموافق ١٩٩٦ م و أنا أتقل بين روائع عطاياك فى المراجع و المصادر المعطره بذكرك، فوجدتك فى جميعها عظيما منيرا و رائعا بليغا و معلما كبيرا. وفتت خاشعا أمام وقع خطاك حائرا أمام نمير عطاياك. يا امامى الحبيب. أنت واسع كالمدى و أنت غزير كالفيض و أنت كريم كالغيث فأى عقل منير و أى علم و فير و أى اجتهاد كبير!. أنعم الله عليك فأجزلت بنعمه على كل انسان و استمرت هذه النعم عطره فى عمق الوجدان، ناصعه على صدر الزمان لأنها نهلت من عطر النبوه و رحيق العتره. نورت أمامنا طريق جدك المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم و سهلته أمامنا حتى نقفو خطاك، و وضحته بعزمك الملحاح لنبلغ به محطات جليله و نحقق بواسطته غايات نبيله. جمعت العلم من مكانه العميقه و رصعته بجهودك النشيطة و قدمته للأمة لتفجر به طاقاتها الكريمة. [صفحه ٣١٦] و جمعت المعرفه و رسمت منها سياسه الأممه لتصلح أمورها و تنظم حياتها و تعيش حريتها و تكون كما أراد مولاها خير أمه أخرجت للناس تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر. فمن تكون

هذه الأمه ان لم تلبك النداء؟. و من نكون ان لم نترسم خطاك؟ و نعمل جاهدين على كسب رضاك فيا ليت عصورنا كلها تقفو خطاك، و يا ليت الجميع يلبون نداك فيحبون في الله كما أردت، و يكرهون في الله كما أوصيت و يعملون في سبيل الله كما عملت. فسلام عليك يوم ولدت و سلام عليك يوم توفيت و سلام عليك يوم تبعث حيا. و هذه الصفحات التي حررتها من دم قلبي و نور عيني أرفعها اليك يا مولاي رمزا للحب و الولاء، و تمسكا بحبل العتره الأطهار آملا منك القبول. العبد الفقير حسين ابراهيم الحاج حسن شمسطار ١٣ رجب ١٤١٨ هـ الموافق ١٣ تشرين الثاني ١٩٩٧ م

باورقي

[١] الأحزاب الآيه ٣٣.

[٢] أصول الكافي ج ١ ص ٢٨٥.

[٣] الأحزاب الآيه ٦.

[٤] المناقب ج ٢ ص ٣٤٤ و كشف الغمه ص ٢٢٦ و أعيان الشيعة ج ٢ ص ١٧١.

[٥] الامام الصادق لمحمد أبي زهره ج ١ ص ١٥٣.

[٦] راجع الفهرست للشيخ الطوسي و رجال النجاشي و الامام الصادق و المذاهب الأربعة لأسد حيدر.

[٧] الجعد من الشعر خلاف السبط.

[٨] الشم: ارتفاع قصبه الأنف و انتصاب الأرنه طرف الأنف و يكنى به عن الآباء.

[٩] الامام الصادق لمحمد أبي زهره ص ٧٥.]

[١٠] ذكر أهل السير أن المنصور العباسي كتب الى عامله على المدينه أن ينظر الى من أوصى اليه الصادق عليه السلام فيقدمه و يضرب عنقه، و لما كتب له بأسماء الأوصياء قال: ليس الى قتل هؤلاء من سبيل و هنا يظهر الغرض من هذه الوصيه.

[١١] الارشاد ص ٢٨٩.

[١٢] الارشاد ص ٢٧١.

[١٣] كفايه الأثر.

[١٤] المصدر نفسه.

[١٥] بحار الأنوار ج ١١ ص ١٠٨ و القصص الآيه ٥.

ج ١ ص ٢٩ و ج ٢ ص ٣٩٨.

[١٧] الفهرست ص ٣٠٨.

[١٨] لسان الميزان ج ١ ص ٢٤.

[١٩] الفهرست ص ٣٠٨.

[٢٠] نفسه ص ٥٠ و كشف الظنون ج ٢ ص ٤٤٤.

[٢١] نفسه ص ٢٥٠ و ذكر له ٢٥ كتابا.

[٢٢] راجع تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٤٨.

[٢٣] الفهرست للشيخ الطوسي ص ٤٥.

[٢٤] الخصال ج ١ ص ٧٧.

[٢٥] المناقب ج ٤ ص ٢٤٨.

[٢٦] تذكره الحفاظ ص ١ ص ١٦٦.

[٢٧] المناقب ج ٤ ص ٢٥٥.

[٢٨] من أمالي الامام الصادق لمحمد الخليلي ج ٤ ص ١٥٧.

[٢٩] الممل و النحل ج ١ ص ١٦٦.

[٣٠] الفصول المهمه ص ٢٢٢.

[٣١] تذكره الحفاظ ج ١ ص ١٦٦.

[٣٢] كتاب الجفر جلد جفر كتب فيه الامام الصادق عليه السلام لآل البيت كل ما يحتاجون الى علمه و كل ما يكون الى يوم القيامة.

[٣٣] الأعلام ج ٢ ص ١٢١.

[٣٤] المصدر نفسه.

- [٣٥] الامام الصادق ص ٦٥ و ٦٨.
- [٣٦] حليه الأولياء ج ٣ ص ١٩٢.
- [٣٧] المصدر نفسه.
- [٣٨] رسائل الجاحظ للسندوبي ص ١٠٦.
- [٣٩] النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٨.
- [٤٠] تاريخ العرب ص ١٧٩.
- [٤١] كتابه جعفر بن محمد ص ٦.
- [٤٢] مقدمه كتاب الهفت و الأضله ص ١٥ - ١٦ عارف تامر، و الأب أ.عبده خليفه اليسوعى.
- [٤٣] هذا ما قاله المفيد فى الارشاد.
- [٤٤] الرعد الآيه ٢١.
- [٤٥] تستشان: أى يكون لك شأن و منزله.
- [٤٦] أعيان الشيعة ٤ ق ٢ / ٢٠٧ و مطالب السؤل ج ٢ ص ٥٧ و صفوه الصفوه ج ٢ ص ٩٥ و الفصول المهمه ص ٢١٠ و كشف الغمه ص ٢٣٣.
- [٤٧] الخصال ص ٩٧ - الحشر الآيه ٩.
- [٤٨] أمالى الشيخ الصدوق ص ٤٩١.
- [٤٩] راجع هذه الوصيه فى تحف العقول.
- [٥٠] القصص الآيه ٨٣.
- [٥١] أعيان الشيعة ج ٢ ص ٢٠٥ و

حليه الأولياء ج ٣ ص ١٩٥.

[٥٢] روضه الكافي ص ١٤٣ و المعارج الآيه ٤.

[٥٣] أئمتنا للحاج على دخيل عن الروضه من الكافي ص ٤٩.

[٥٤] نفسه عن عقاب الأعمال ص ٢٨٨.

[٥٥] العلق الآيه ١ - ٥.

[٥٦] القلم الآيه ١ - ٢.

[٥٧] الاسراء الآيه ٩.

[٥٨] الطلاق الآيه ١١.

[٥٩] البقره الآيه ٣٠.

[٦٠] ص الآيه ٢٦.

[٦١] المائده الآيه ٣.

[٦٢] الجمعه الآيه ٢.

[٦٣] راجع كتاب اقتصادنا للامام الشهيد الصدر ص ١٩ و ما بعدها.

[٦٤] الرعد الآيه ١١.

[٦٥] علم الاجتماع الأدبي للمؤلف ص ٦٩.

[٦٦] الملك الآيه ١٥.

[٦٧] المائده الآيه ٨٧.

[٦٨] القصص الآيه ٦٠.

[٦٩] القصص الآيه ٧٧.

[٧٠] النافقون الآيه ٨.

[٧١] البقره الآيه ٣٠.

[٧٢] انظر: البقره الآيه ٤٣ و ٨٣ و ١١٠ و النساء الآيه ٧٧ و ١٠٣ و الأنعام الآيه ٧٢ و الأعراف الآيه ٢٩ و يونس الآيه ٨٧ و الحج الآيه ٧٨ و النور الآيه ٥٦ و المائده الآيه ٥٥ و الأنفال الآيه ٣ و التوبه الآيه ٧١ و النمل الآيه ٣ و لقمان الآيه ٤ و غيرها كثيرات.

[٧٣] من حديث الامام القائد الى الطلبة السعوديين المقيمين في ايران ٢٤ - ذى الحجه - ١٤٠٠ هـ.

[٧٤] ألقى هذا الحديث في ايران بتاريخ ٢ - ٥ ١٩٨٠ م.

[٧٥] نظره عامه في تاريخ الفقه الاسلامى ص ١٩٣.

[٧٦] الطبرى ج ٩ ص ١٤٢.

[٧٧] تاريخ الطبرى ج ٩ ص ١٤٢ حوادث سنه ١٣٢ هـ.

[٧٨] الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٢١٢ حوادث سنه ١٣٥ هـ.

[٧٩] نفسه ج ٦ ص ١٢.

[٨٠] الفجر الآيه ٥ - ٦ - ٧.

[٨١] حور العين لأحمد بن فارس ص ٢١٠.

[٨٢] أبوأيوب: هو سليمان بن مخلد كاتب المنصور و المقرب منه، قلده الدواوين و وزاره و كانت له عند المنصور منزله رفيعه،

حتى قالت العامه: انه قد سحر أبا جعفر و بعد ذلك غضب عليه و نكبه و صادر أمواله سنه ١٥٣ هـ و الربيع بن يونس بن أبي فروه مولى كيسان، كان من أعيان الدوله تولى نفقات المنصور ثم قلده الوزاره و قلد ابنه المفضل بن الربيع الحجابه.

[٨٣] هذا الحديث ورد في مطالب السؤل.

[٨٤] فقرات من الدعاء الثانى فى الصحيفه السجديه.

[٨٥] نهج البلاغه خطبه رقم ٨٧.

[٨٦] نهج البلاغه خطبه رقم ١٠٩.

[٨٧] حياه الامام الحسين بن على: باقر شريف القرشى ج ٢ ص ٢٨١.

[٨٨] أئمتنا ١ / ١٥١.

[٨٩] نفس المصدر.

[٩٠] الدعاه: الخفض و الطمأنينه.

[٩١] المماظه: شده المنازعه.

[٩٢] تحف العقول للشيخ الجليل أبى محمد الحرانى ص ٢٣٠.

[٩٣] الكافى ج ١ ص ٢٢١.

[٩٤] مقتل الامام الحسين (ع) للسيد عبدالرزاق المقرم ص ١٣٩.

[٩٥] روضه الكافى ج ٨ ص ٣٣٠.

[٩٦] راجع روضه الكافى للشيخ الكلينى حديث رقم ٤١٢ و ينابيع الموده: الحافظ سليمان بن ابراهيم القندوزى الحنفى، دارالكتب العراقيه.

[٩٧] حياه الامام الباقر للشيخ القرشى ص ١٧٢ عن طبقات ابن سعد ج ٩ ص ٤٦٣.

[٩٨] حليه الأولياء و طبقات الأصفياء الأصفهانى مجلد ٣ ص ٢٠٦.

[٩٩] حياه الامام الباقر للشيخ القرشى ص ١٧٢.]

[١٠٠] حليه الأولياء و طبقات الأصفياء مجلد ٣ ص ٢٠٦.

[١٠١] مختصر بصائر الدرجات ص ٩٧.

[١٠٢] وسائل الشعية ج ٦ ص ٤٢٩ - ٤٣٠.

[١٠٣] الامام الصادق للشيخ محمد حسين المظفرى ج ١ ص ٩٦.

[١٠٤] آل عمران الآيه ٢٨.

[١٠٥] الامام الصادق للشيخ محمد حسين المظفرى ص ٩٦.

[١٠٦] البقره الآيه ١٧١.

[١٠٧] الأنعام الآيه ١٢٠.

[١٠٨] الامام الصادق للشيخ محمد حسين المظفرى ص ٤٠ - ٤٣.

[١٠٩] المناقب ج ٢ ص ٣٤٥ و الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج ٢ ص ٣٥ و الامام الصادق للمظفرى ج ١ ص ٢٥٩.

[١١٠] رجال الكشى

[١١١] الكافي ج ٥ ص ٢٨٩.

[١١٢] المحاسن ص ٤٠٠.

[١١٣] الكافي ج ٤ ص ٩.

[١١٤] راجع حليه الأولياء ج ٣ ص ١٩٤ و أعيان الشيعة ج ٤ ص ٣١.

[١١٥] الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج ٤ ص ٣٩.

[١١٦] النحل الآيه ١٢٥.

[١١٧] فصلت الآيه ٣٤.

[١١٨] انظر الحديث في الفصل السابق.

[١١٩] حليه الأبرار للسيد هاشم البحراني ج ٢ ص ١٤٥.

[١٢٠] الامام الصادق (ع) محمد حسين المظفر ج ٢ ص ٥٣.

[١٢١] المصدر نفسه.

[١٢٢] بصائر الدرجات ج ٥ الباب ١١ ص ٢٤٣.

[١٢٣] راجع كتاب الامام الصادق للأستاذ رمضان لاوند ص ١٨٢ - ١٨٥ و كتاب الامام الصادق للشيخ المظفر ج ١ ص ٢١١ -

٢١٢.

[١٢٤] هو عبدالكريم بن أبى العوجاء، خال معن بن زائده، يقول جرير بن حازم كان بالبصره سته من أصحاب الكلام: واصل بن عطاء، و عمر بن عبيد، و بشار بن برد و عبدالكريم ابن أبى العوجاء، و رجل من الأزد، فكانوا يجتمعون فى مجلس الأزد فأما عمر و واصل فقد صارا الى الاعتزال، و أما عبدالكريم و صالح فصححا الثنويه و أما بشار فبقى متحيرا و كان عبدالكريم يفسد الأحاديث فتهدهه عمرو بن عبيد فلحق بالكوفه فدل عليه محمد بن سليمان فقتله وصلبه و ذلك سنة ١٦١ هـ و لما أخذ لتضرب عنقه قال: وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم الحلال و أحل الحرام لسان الميزان ج ٤ ص ٥١.

[١٢٥] هو عبدالله بن المقفع ولد سنة ١٠٦ فى قرية من قرى فارس اسمها جور و موضعها فيروزآباد، و يقول ابن النديم: ان اسمه بالفارسيه (روزبه) و معناه المبارك و أسلم أبوه (راذويه) فتسمى روزبه بعبدالله و تكنى بأبى محمد و كان حسن الأدب، واسع العلم، حاد الذكاء، و

يعد في طليعه الكتاب الحاذقين وقد استعمله بعض الولاة للكتابة في دواوينهم. رمى بالزندقة و الالحاد و حقد عليه المنصور
لأمر سياسي، و فقتله سفيان بن يزيد قتله شنيعه حيث أمر بتنور فأسجر ثم أمر بابين المقفع فقطع و ألقى في التنور و أطبق عليه.

[١٢٦] الاحتجاج لأبي منصور الطبرسي ص ٣٣٥ و في كتاب الكافي للكليني و غيرهما مناظرات رائعة للامام أبي عبد الله مع
الزندقة.

[١٢٧] نفسه ج ٢ ص ٧٨.

[١٢٨] النساء الآيه ٣.

[١٢٩] المناقب ج ٢ ص ٣٣٧ و البحار ج ٤ ص ١١٣٧.

[١٣٠] أئمتنا لعلی محمد علی دخیل ص ٤٦٢ عن التوحيد ص ١٣٣.

[١٣١] التوحيد ص ١٢٤.

[١٣٢] سبأ الآيه ١٨.

[١٣٣] آل عمران الآيه ٩٧.

[١٣٤] طه الآيه ٤٤.

[١٣٥] الاحتجاج لأبي منصور الطبرسي ص ٣٦٢ - وفات الأعيان ج ١ ص ٢٩٢.

[١٣٦] التوبه الآيه ٢٩.

[١٣٧] التوبه الآيه ٦٠.

[١٣٨] الاحتجاج لأبي منصور الطبرسي ص ٣٦٢.

[١٣٩] راجع الامام الصادق لمحمد أبوزهره صفحه ١١٣ و عباس محمود العقاد في كتابه: أبو الشهداء الحسين بن علي ص ٤٣ -
٤٤.

[١٤٠] الامام الصادق محمد جواد فضل الله خصائصه مميزاته ١٢٩،.

[١٤١] الامام الصادق محمد أبوزهره ص ١٢٨.

[١٤٢] الامام الصادق محمد جواد فضل الله ص ١٢٨.

[١٤٣] منجد الأعلام ماده صدق.

[١٤٤] الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي ص ٢٠١.

[١٤٥] الامام الصادق لعبد الحلیم الجندی المستشار الثقافی فی المجلس الأعلى للشؤون الاسلامیه فی مصر القاہرہ ١٩٧٧ م ص ٢١٩.

[١٤٦] الامام الصادق الشيخ محمد أبوزهره ص ٢٠.

[١٤٧] الامام الصادق رمضان لاوند ص ١٧.

[١٤٨] منجد الأعلام ماده صدق.

[١٤٩] المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٢٥٠.

[١٥٠] الارشاد للشيخ المفيد ص ٢٥٧.

[١٥١] كشف الغمه ج ٢ ص ١٥٥.

[١٥٢] أئمتنا الحاج على محمد على دخيل عن الدلائل و المسائل ص ٥٢.

[١٥٣]

راجع الفهرست لابن النديم ص ٥١٤ و أعيان الشيعة ج ١٥ ص ١١٦.

[١٥٤] تؤكد المصادر أنه عاش في النصف الأول من القرن الثامن للميلاد، وقد اتصل بالبرامكة الذين كانوا يحافظون على «التقية» في علاقاتهم مع الامام الصادق عليه السلام أما نسبه فيتصل بقبيله الأزدي و مسقط رأسه في طوس من أعمال خراسان. يؤيد ذلك الشهرستاني و الأب لويس شيخو اليسوعي. و هناك اجماع على وفاته في طوس سنة ١٩٦ هـ ولكن من المؤسف أن القدامى لم يفصحوا عن مكان قبره، غير أن الصحف الايرانية تناقلت سنة ١٩٧٢ م خبراً مفاده: أنه أثناء اجراء أعمال تسطيح طريق جديد خلف الجبل المحاذي للحدود العراقية عثر العمال على بناء قديم دلت الكتابات المنحوتة على صخره أنه مدفن جابر بن حيان، و اذا صح هذا الخبر في تلك المنطقه (الرسنان) الواقعه شرقي الحدود العراقيه يمكن القول: أنه بعد هروبه من بغداد لجأ الى أقرب جبال من بغداد واقعه في ايران و ذلك بعد تركه الكوفه و مختبره الكيماوى و منزله و جميع ما يملك و توجه الى الشرق. و قول ابن النديم: كان جابر بن حيان رياضيا و فيلسوفا و عالما بالفلك و طبيبا له مؤلفات في المنطق و الفلسفه و علم الباطن و علم الجبر. هذه الثقافه الموسوعيه يصفها جابر أنه تلقاها من سيده الامام جعفر عليه السلام ويردها جميعها الى ملهمه الذى يطلق عليه اسم (مصحف الحكمة) و يقول: و لم يبق أمامى الا جمعها و ترتيبها.

[١٥٥] الفهرست لابن النديم ص ٥١٤.

[١٥٦] دائرهاالمعارف ج ٦ ص ٤٧٨.

[١٥٧] أشعه من حياه الصادق ص ٣٦.

[١٥٨] أعيان الشيعة ج ١٥ ص ١١٦.

[١٥٩] قال السيد الأمين: و قد علمه الامام الصادق عليه السلام طريقه

تحضير مداد مضيء يستخدم في كتابه المخطوطات الثمينه لا مكان قراءتها في الظلام و علمه طريقه صنع صنف من الورق غير قابل للاحتراق - الأربست - أشعه من حياه الصادق ص ٣٩.

[١٦٠] الفهرست ص ٥١٤.

[١٦١] راجع الارشاد ص ٢٥٤ و المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٢٤٧ و أعلام الورى ص ٢٨٤.

[١٦٢] كتابه الامام الصادق عليه السلام ١ / ١٥٣.

[١٦٣] و هو الكتاب الذى أملاه الامام الصادق على تلميذه المفضل بن عمر الجعفى الكوفى، المتوفى فى نهايه القرن الثانى للهجره فى زمن المأمون. و قد أراد به مؤلفه أن يثبت وحدانيه الخالق عن طريق التأمل فيما خلق.

[١٦٤] كتاب منسوب الى الامام الصادق مطبوع مع جامع الأخبار، أسلوبه لا يشبه سائر كلمات الأئمه و آثارهم و الله العالم.

[١٦٥] أئمتنا ج ١ ص ٤٣٤ عن الأعلام ح ٢ ص ٩١.

[١٦٦] و بعض هذه الرسائل موجود فى مكتبه الأسد بدمشق رقم عام ٥٣٧٣ و رقم ٩٥٩٤ و رقم ٣٨٤٧ و رقم ١٠٠٤٢ و رقم ٨٠ و رقم ١٣٨٣.

[١٦٧] الامام الصادق لمحمد أبوزهره ص ١٠٢ و أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١١ و كشف الظنون ج ٢ ص ٣٤٤ و أعيان الشيعة ج ١ ص ٦٦٨ - ٦٦٩.

[١٦٨] الامام الصادق محمد حسين المظفرى ج ١ ص ٢٢٤ عن بحار الأنوار.

[١٦٩] الامام الصادق ص ١٢٥ و سورة الحشر الآيه ٢.

[١٧٠] طه الآيه ٨٢.

[١٧١] الأعلى الآيه ٢.

[١٧٢] الامام الصادق ج ١ ص ١٩٩ و محمد جواد فضل الله - الامام الصادق ص ٣٣٧.

[١٧٣] راجع كتاب الثوم و العمر المديد للعماد مصطفى طلاس و فيه فصل خاص من فوائد الثوم الطبيه فأورد سبعين فائده منها: تنقيه الدم - اباده الجراثيم - ضغط الدم - مفعول

العفونه - حصر البول....

[١٧٤] البقره الآيه ٦١.

[١٧٥] رواه الترمذى عن أبى العالیه مرسلا الى النبى (ص).

[١٧٦] راجع الامام الصادق لأحمد مغنيه ص ١٦٦ - ١٧٢ بيروت ١٩٥٦ و الامام الصادق علم و عقيدته. و الامام الصادق محمد الحسين المظفرى ص ١٩٨ - ١٩٩.

[١٧٧] الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢٠ و الخلاصه للخزرجى ص ٥٤.

[١٧٨] الامام الصادق و المذاهب الأربعة أسد حيدر ج ٢ ص ٤٩.

[١٧٩] أشر: طغى بالنعمة فصرفها فى غير وجهها.

[١٨٠] ذبل النبات: قل ماؤه و ذهب نضارته. و ذبلت بشرته: قل ماء جلدته.

[١٨١] اللحاء: قشر العود أو الشجر.

[١٨٢] سوره الأنعام الآيه ١٢٩.

[١٨٣] البقره الآيه ١٠٩.

[١٨٤] تحف العقول لابن شعبه الحرانى ص ٣٣٥.

[١٨٥] القلم الآيه ٤.

[١٨٦] المجازات النبويه للشريف الرضى.

[١٨٧] المائده الآيه ٨.

[١٨٨] الأنعام الآيه ١٥٢.

[١٨٩] تحف العقول البحرانى ص ١٠٦.

[١٩٠] المصدر السابق تحف العقول ص ١٠٧.

[١٩١] المصدر نفسه تحف العقول ص ١٠٧.

[١٩٢] المائده الآيه ٢.

[١٩٣] الحجرات الآيه ١٣.

[١٩٤] الحجرات الآيه ١٠.

[١٩٥] المجازات النبويه للشريف الرضى ص ٢٤١.

[١٩٦] جاء فى القاموس: عال الشىء فلانا غلبه، و ثقل عليه و أهمه.

[١٩٧] أى لا تتعبه الأثقال، يقال: آده الأمر أودا: بلغ منه المجهود و من ذلك قوله تعالى: «وسع كرسيه السماوات و الأرض و لا يؤده حفظهما» أى لا يتعبه حفظهما.

[١٩٨] شرح النهج لابن أبى الحديد ج ٣ ص ١٥.

[١٩٩] أصول الكافى للكلينى ج ٢ ص ٣٣٤.

[٢٠٠] أصول الكافى للكلينى ج ٢ ص ٣٣٤.

[٢٠١] الامام الصادق و المذاهب الأربعة أسد حيدر ج ٢ ص ٤٢ - ٤٧.

[٢٠٢] الامام الصادق للشيخ المظفر ص ٣٤.

[٢٠٣] شرح ميميه أبى فراس ص ١١٩.

[٢٠٤] رسائل أبى بكر الخوارزمى ص ٧٨ طبعه ١٣١٢ هـ و الظالم المجرم كان الدوانيقي.

[٢٠٥] الحياه السياسيه للامام الرضا السيد جعفر مرتضى

[٢٠٦] مناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٥٧ و بحار الأنوار ج ٤٧ ص ١٧٨.

[٢٠٧] تاريخ الطبري ج ١٠ ص ٤٤٦.

[٢٠٨] الأغاني للأصفهاني ج ٥ ص ٢٢٥.

[٢٠٩] العقد الفريد ج ٢ ص ١٨٠ و الامام الصادق للشيخ محمد أبوزهره ص ١٣٩.

[٢١٠] كشف الغمه ص ٢٠٨.

[٢١١] الامام الصادق أسد حيدر ج ٢ ص ٣٠٢.

[٢١٢] أعيان الشيعة السيد محسن الأمين ج ١ ص ٦٦١.

[٢١٣] مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٧٢.

[٢١٤] الامام الصادق أسد حيدر ج ٢ ص ٢٠ و هو يعني هشام بن الحكم.

[٢١٥] مقاتل الطالبين للأصفهاني ص ٣٣٧.

[٢١٦] أعلام الوري ص ٢٧٧.

[٢١٧] بحار الأنوار للمجلسي ص ٢١٧ دار احياء التراث العربي بيروت.

[٢١٨] رجال الكشي ص ٢٢٧.

[٢١٩] بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٢٢٥.

[٢٢٠] بحار الأنوار ص ٢١٣ - ٢١٤.

[٢٢١] أعلام الوري للطبرسي ص ٢٧١.

[٢٢٢] البحار ج ٤٧ ص ١٦٢ و سورة ابراهيم الآية ٤٦.

[٢٢٣] نفسه ص ١٢٠.

[٢٢٤] نفسه ص ٢٠٤ روايه صفوان.

[٢٢٥] نفسه ص ١٩٧.

[٢٢٦] البقره الآيه ٣٠.

[٢٢٧] الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج ٤ ص ٢٩١.

[٢٢٨] بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٣٧٢ نقلا عن الكافي ج ٢ ص ٢٢٢.

[٢٢٩] بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٣٩٠.

[٢٣٠] بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٣٩٠.

[٢٣١] الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج ٤ ص ٢٩١.

[٢٣٢] أصول الكافي ج ٢ ص ٧٦.

[٢٣٣] حياه الامام موسى بن جعفر ج ١ ص ٩٨.

[٢٣٤] الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج ٢ ص ٣٦١.

[٢٣٥] راجع الأصول العامه للفقه المقارن ص ٣٠٣.

[٢٣٦] الفصول المهمه لابن الصباغ المالكي ص ٢٢٤ طبعه الأعلمی.

[٢٣٧] الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج ١ ص ٣٧٤.

[٢٣٨] أصول الكافي ج ١ ص ٢٩٢ و سوره الرعد الآيه ٧.

[٢٣٩] نفسه ج ١ ص ١٩٣.

[٢٤٠] نفسه ج ٢

[٢٤١] حياه الامام موسى بن جعفر ج ١ ص ٩٨.

[٢٤٢] أصول الكافي ج ٢ ص ٧٦.

[٢٤٣] الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج ٤ ص ٢٩١.

[٢٤٤] حياه الامام الصادق للقرشي. ص ١٣٦.

[٢٤٥] الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج ٤ ص ٣٢٢.

[٢٤٦] حياه الامام موسى بن جعفر ج ١ ص ٩٩.

[٢٤٧] بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٣٧٢ و الكافي ج ٢ ص ٢٢٢.

[٢٤٨] بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٣٧٢.

[٢٤٩] بحار الأنوار ج ٤ ص ٣٧٣ نقلا عن الكافي ج ٥ ص ١٠٦.

[٢٥٠] تحف العقول ص ٢٣٠.

[٢٥١] روضات الجنات ج ٣ ص ٣٤٤.

[٢٥٢] وسائل الشيعة ج ١١ ص ١١٦ - ١١٧.

[٢٥٣] مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٣٦.

[٢٥٤] البقره الآيه ٢٥٦.

[٢٥٥] الشعراء الآيه ٢١٩.

[٢٥٦] هود الآيه ٧٥ أواه: كثير التأوه و منيب: راجع الى الله سبحانه و تعالى.

[٢٥٧] المنافقون الآيه ٦٣.

[٢٥٨] مثل أسماء الرجال الذين يسروا للناس أسرار الطبيعه على مقاييس الطبيعه: الوات نسبة Watt و الفرد نسبة الى Faraday و الامبير نسبة الى Ampere و الفولت نسبة الى Volta و الاهم نسبة الى Ohm و الميجهرتز نسبة الى Hertz و رونتجن نسبة الى Rontigen و هم انجليزيان و فرنسي و ايطالي و ثلاثه من الالمان.

[٢٥٩] حليه الأولياء و طبقات الأصفياء للأصبهاني ج ٣ ص ١٩٤.

[٢٦٠] المائدة الآيه ٨.

[٢٦١] المناقب ج ٤ ص ٢٣٩.

[٢٦٢] فقه الامام جعفر الصادق للعلامة محمد جواد مغنيه ج ٦ ص ٢٧١.

[٢٦٣] فقه الامام جعفر الصادق لمحمد جواد مغنيه ج ٦ ص ٢٥٦.

[٢٦٤] نفسه ج ٦ ص ٢٧٣.

[٢٦٥] نفسه ج ٦ ص ٢٧٣.

[٢٦٦] نفسه ج ٦ ص ٢٦٢.

[٢٦٧] النحل الآيه ٨٩.

[٢٦٨] يس الآيه ٨.

[٢٦٩] المناقب ج ٤ ص ٢٢٧.

[٢٧٠] أئمتنا للحاج علي محمد علي دخيل ج ١

[٢٧١] المناقب ج ٤ ص ٢٣٦.

[٢٧٢] الفرقان الآيه ٤٣.

[٢٧٣] التغابن الآيه ١١.

[٢٧٤] الروابط الاجتماعيه فى الاسلام للمؤلف ص ١٧١ الكهف الآيه ١١٠.

[٢٧٥] فقه الامام الصادق محمد جواد مغنيه ج ٤ ص ٢٠٥.

[٢٧٦] وسائل الشيعه ج ١٣ ص ٨٧ و فقه الامام الصادق. ج ٤ ص ٥٨.

[٢٧٧] نفسه ج ١٣ ص ٨٦.

[٢٧٨] حليه الأولياء ج ٣ ص ١٩٤.

[٢٧٩] فقه الامام الصادق محمد جواد مغنيه ج ٦ ص ٦٥.

[٢٨٠] نفسه ج ٣ ص ١٦٢.

[٢٨١] فقه الامام الصادق للحر العاملى ج ٣ ص ٥٠.

[٢٨٢] راجع كتاب الوسائل للشيعه.

[٢٨٣] نهج البلاغه ج ٣ ص ٨١.

[٢٨٤] وسائل الشيعه ج ١٧ ص ٣٠٩.

[٢٨٥] الأنبياء الآيه ٩٢.

[٢٨٦] الامام الصادق و المذاهب الأربعة ج ٥ ص ٧٥.

[٢٨٧] كشف الغمه ص ٢٤٠ و أعيان الشيعه ج ٤ ص ١٥٩ و الامام الصادق للمظفرى ج ١ ص ١٢٥.

[٢٨٨] فقه الامام جعفر الصادق محمد جواد مغنيه ج ٤ ص ٢٥٨.

[٢٨٩] الختن: كل من كان من قبل المرأه مثل الأب و الأخ المناقب ج ٤ ص ٢٧٣.

[٢٩٠] أشعه من حياه الصادق ج ٣ ص ٥٨ و انظر الأستاذ عبدالعزيز سيد الأهل في كتابه: جعفر بن محمد ص ٥٩ و الصواعق المحرقة ص ١٩٩.

[٢٩١] توحيد المفضل ص ١٢.

[٢٩٢] نفسه ص ١٥.

[٢٩٣] نفسه ص ٢٢.

[٢٩٤] نفسه ص ٣٨.

[٢٩٥] نفسه ص ٣٢.

[٢٩٦] نفسه ص ٣٢.

[٢٩٧] سيأتي الكلام حول الاجتهاد في الفصل اللاحق.

[٢٩٨] مناقب الشافعي للفخر الرازي ص ٥١.

[٢٩٩] جامع أسانيد أبي حنيفة ج ١ ص ٢٢٢.

[٣٠٠] تاريخ العلويين محمد أمين غالب ص ١٤٠.

[٣٠١] تاريخ بغداد ج ٢٤٤.

[٣٠٢] خطط الشام لمحمد كرم علي ج ٦ ص ٢٥٢.

[٣٠٣] المصدر نفسه ص ٢٥٢.

[٣٠٤] الكامل لابن الأثير ج ٩ ص ١٢٣.

[٣٠٥] الامام الصادق و المذاهب

الأربعة لأسد حيدر مجلد ١ - ٢ ص ٢٤٣.

[٣٠٦] المصدر السابق ص ٢٤٤.

[٣٠٧] المعجم الوسيط ج ٢ (عصم).

[٣٠٨] عقائد الاماميه ص ٣٥.

[٣٠٩] المناقب ج ٢ ص ٣٦٥ و المذاهب الأربعة ج ٤ ص ٩.

[٣١٠] الأحزاب الآيه ٢٣ و راجع الامام الصادق محمد جواد فضل الله.

[٣١١] الكافي ج ١ ص ٧٤ و يس الآيه ٨٢.

[٣١٢] نفسه ج ١ ص ٧٤ - ٧٥.

[٣١٣] الزام الناصب ج ١ ص ١٨٥.

[٣١٤] الرعد الآيه ٣٨.

[٣١٥] الصحيحه السجديه ص ٢٢٦.

[٣١٦] الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٢٤٣.

[٣١٧] تاريخ الطبري ج ٧ ص ١٧٢.

[٣١٨] الامام الصادق محمد جواد فضل الله ص ٢٤٢.

[٣١٩] اذا استثنينا الشعر في جميع العصور.

[٣٢٠] راجع الفن و مذاهبه في النثر العربي للدكتور شوقي ضيف.

[٣٢١] ثمره شجره في الهند لعله شجر الأناناس كما نسميه اليوم.

[٣٢٢] مثل الرياضيات و الفيزياء و الكيمياء و العلوم الطبيعه و ما شابهها.

[٣٢٣] سده خوره: سكنه جوع.

[٣٢٤] جعفر بن محمد لسيد الأهل ص ٨٤.

[٣٢٥] لقمان الآيه ١٢.

[٣٢٦] معجم متن اللغه ج ١ ص ١٢٠.

[٣٢٧] البقره الآيه ٣٢ و الآيه ١٢٩.

[٣٢٨] فصلت الآيه ٤٢.

[٣٢٩] غريب القرآن للجستاني ص ١١٨.

[٣٣٠] راجع أئمتنا للحاج على محمد على دخيل ج ١ ص ٥.

[٣٣١] الامام الاصادق و المذاهب الأربعة ص ٣٤٧.

[٣٣٢] الاسراء الآيه ٢٣.

[٣٣٣] يونس الآيه ٣٠.

[٣٣٤] الزمر الآيه ٩.

[٣٣٥] المجازات النبويه للشريف الرضى ص ٣٥.

[٣٣٦] المجازات النبويه ص ٤٤٠ و الرداء هو الثوب الذى يستر أعلى الجسم و الازار هو الذى يستر أسفل الجسم و كان من عادة العرب لبس ثوبين ازار و رداء فعبر الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فى جانب ما يفهمه العرب و يعقلونه.

[٣٣٧] القصص الآيه ٧٧.

[٣٣٨] رواه مسلم و راجع المجازات النبويه للشريف

الرضى.

[٣٣٩] الممتحنه الآيه ٩.

[٣٤٠] ابراهيم الآيه ٤٢.

[٣٤١] راجع الأنبياء الآيه ٩٠: «يسارعون فى الخيرات».

[٣٤٢] من حسن المصادفه أننا فى هذه الأيام المباركه نحتفل بمولده عليه السلام المصادف فى ١٣ رجب.

[٣٤٣] رواه مسلم و راجع المجازات النبويه للشريف الرضى.

[٣٤٤] يمحوق يهلك المال الذى يدخل فيه. و يربى: يزيد فائدتها فى الدنيا و أجرها فى الآخره.

[٣٤٥] رواه مسلم.

[٣٤٦] راجع الروابط الاجتماعيه فى الاسلام للمؤلف ص ٣٩٥.

[٣٤٧] فيسبق بذلك الفلكى البولونى «كوبر نيكوس ب ٧٧٨ عاما.

[٣٤٨] الاحتجاج للطبرسى ج ٢ ص ٧٨.

[٣٤٩] الامام الصادق محمد الحسين المظفرى ج ١ ص ٢١٣.

[٣٥٠] الامام الصادق، الشيخ أبوزهره، ص ١٠٢.

[٣٥١] الاحتجاج أحمد بن على الطبرسى ج ٢ ص ٧٢ طبع النجف ١٣٨٦ هـ.

[٣٥٢] التوحيد للشيخ الصدوق باب النهى عن الصفه بغير ما وصف نفسه.

[٣٥٣] أصول الكافى باب النهى عن الجسم و الصوره.

[٣٥٤] آمل أن أعطيها لبعض طلابى فى قسم اللغه العربيه الدراسات العليا لهذا العام الدراسى (١٩٩٥ - ١٩٩٦).

[٣٥٥] راجع الروابط الاجتماعيه فى الاسلام للمؤلف ص ٢٣٨ و ما بعدها - دارالمرتضى.

[٣٥٦] نهايه الدوله الأمويه و قيام الدوله العباسيه.

[٣٥٧] الروابط الاجتماعيه للمؤلف.

[٣٥٨] رواه أحمد و النسائي.

[٣٥٩] تحف العقول ص ٢٧٨.

[٣٦٠] كشف الغمه للأريبي ج ١ ص ٢٢٣.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصهبان
الغمامة

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩